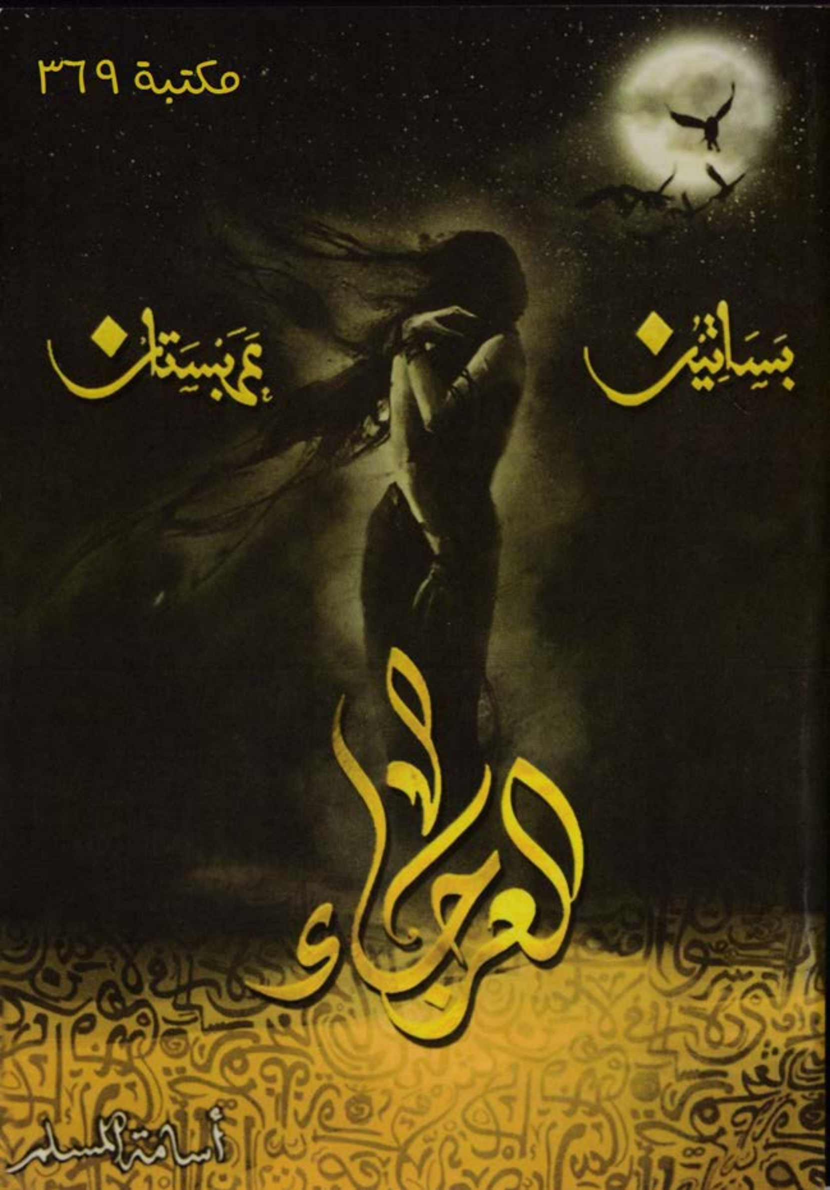

مكتبة ٣٦٩
بساتين عربستان
العرجاء
أسامة المسلم

مكتبة | 369



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المسلم، أسامة
العرجاء. / أسامة المسلم - الدمام، ١٤٤٠هـ
٥١٢ ص؛ ١٤ سم
ردمك: ٤- ٥١- ٨٢٥٨- ٦٠٣- ٩٧٨

١ -القصص العربية - السعودية　　أ. العنوان
ديوي ٨١٣،٠٣٩٥٣١　　٩٨٦/ ١٤٤٠

رقم الإيداع: ٩٨٦/ ١٤٤٠
ردمك: ٤- ٥١- ٨٢٥٨- ٦٠٣- ٩٧٨

تصميم الغلاف: @ahmedmss

مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع

ADAB BOOK

مسؤول النشر: للتواصل
0597777444

الموقع الإلكتروني:
www.daapd.com
مركز الأدب العربي
@Services_Book
@Services_Book
مركز الأدب العربي
adabarabic7
services_book@outlook.sa

المملكة العربية السعودية- الدمام

لطلب إصدارات مركز الأدب العربي
@Adab_Book
00966594447441

دولة الإمارات العربية المتحدة　مكتبة الأدب العربي　00971569767989
مملكة البحرين　مكتبة فخر الدين　0097366753587
جمهورية مصر العربية　مركز الأدب العربي　00201120102172

العرجاء

الجزء الرابع

من بساتين عربستان

مكتبة | 369

الكاتب

أسامة المسلم

@osamahalmuslim

@osamahalmuslim

Komontage

١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م

اللهم أنزل على قبرها الضياء والنور
والفسحة والسرور
اللهم اقبلها في عبادك الصالحين
واجعلها من ورثة جنة النعيم

«من لا تغربهم وتغرهم الحياة هم المخلدون بحق..»

أسامة المسلم



«استراحة المحارب الحقيقي

هي المــوت فقط . .»

نافجة بنت أملج



أنا لن أرحل..

ولن أبقى هنا..

سأكون خالدة..

تمهيد

في زمنٍ غابرٍ ولى..

في غفلة من قبائل أرض العرب..

استيقظ خطرٌ كان يتربص بهم منذ عقود..

خطر تجسد بهيئة رجلٍ..

لقبه أتباعه بـ(الماران).. كاهن..

تبعه من تبعه بدعوى نبوءاتٍ لا تخطئ يراها في يقظته ومنامه..

ثار هذا الكاهن على حاكمه..

سلب عرشه بمعاونة أتباعه المغيبين..

ليس ليعتليه.. بل ليحطمه..

ويستبدل به كرسياً خشبياً متهالكاً في بيته الحجري..

انتفض الناس معه..

التف جيش الحاكم السابق حوله..

ينتظرون نبوءته الجديدة..

نبوءته التي ستأخذهم لأرضٍ قاحلة..

لا يُرى خيرها للمبصر ولا يُشاهد جمالها البصير..

غير مُدركين أن السماء لم تتحدث معه قط..





الكهل المُخنزِر

بعد مرور حولٍ كامل على توليه الحكم خرج (الماران) على شعبه وأوهمهم أنه رأى في منامه أرضهم الموعودة التي يجب أن يزحفوا نحوها ليحكموها، وأن الأرض التي يقفون عليها الآن ليست سوى جزءٍ يسير من مملكتهم العظمى التي قدرها الله لهم. بالطبع لم يكن الماران حقيقةً مهتمًا برفع شأن معتقداته بقدر رفع عدد مفاتيح خزائنه، فهو ليس زاهدًا كما كان يُظهر للجميع فحبه للمال تجاوز حبه لأي شيءٍ آخر، وهذا المال لم يكن لينمو إلا بالتهام وغزو أراضٍ وشعوب جديدة.

ابتهج الناس بالنبوءة، ولكن بهجتهم تلك كادت تنقشع عندما أخبرهم زعيمهم الروحي أن الأرض الموعودة هي بحرٌ من الرمال تسبح على أرضٍ جرداء قاحلة تعرف بـ«أرض العرب»، لكن إيمانهم



بما يُتلى عليهم على لسان ذلك الـ(ماران) منعهم من الاعتراض وسخروا وقتهم وقوتهم لتحقيق تلك النبوءة. استهدافه لعربستان كان لظنه أنها الأضعف بين الشعوب المجاورة له في الجنوب وأنهم لن يتمكنوا من صد زحفه المدجج بالمال والسلاح.

انتظر (الماران) اللحظة المناسبة لدخول «أرض العرب»، فهو لن يتمكن من دخولها والسحرة في الشرق يملكون شأنًا وسطوة فيها فهم أعداء أزليون للكهنة ويحاربونهم حيث وجدوهم، وهذا الكاهن لم يكن مختلفاً عن غيره بل كان أسوأ لأنه ليس كاهناً حقيقيّاً بل تاجرًا لبس عباءة الكهنوت ليحظى بدعم بسطاء العقول.

كان يعد العدة أيضًا لإبادة أبرز وأقوى السحرة فيها قبل أن يتحرك نحو ديارهم، لكن «الأقدار المباركة» كما أسماها (الماران) عجلت بزوال معظم رؤوسهم بعد ما نشب صراعٌ دامٍ بينهم وبين سحرة الفرس قضى الكثير من السحرة العتاة نحبه آنذاك ليُفسح بذلك له الطريق للانتقال لخطوته التالية في تحقيق «نبوءته» المزعومة.

بدأ الزحف.. ولم تكن الجحافل الأولى السائرة نحو أرض العرب



وتحديداً لغربها في «الحجاز» جنوداً أو فرساناً مدججين بالسلاح بل تجارًا محملين بالأموال..

غزوتهم الأولى استهدفت «سوق الحجاز الكبير».. ابتاعوا كل شيء من محلات ودكاكين بما حوت.. حرروا المقترضين بقروضٍ جديدة ميسرة بفوائد ضخمة ومدروسة كبلوا بها الناس ديوناً لن يتمكنوا من سدادها أبداً لأنها تتضخم يوماً بعد يوم.

خلال أقل من عامين تمت السيطرة على معظم منافذ البيع والشراء في «الحجاز»، وكان التجار الجدد الذين عرفوا بـ(اليعاقبة) حريصين على عدم الظهور للعلن بشكلٍ مباشر في التعامل مع الناس، فقد أوكلوا ذلك لبعض التجار العرب والعجم ليكونوا وكلاءهم في جميع تعاملاتهم كي لا يصطدم الناس بهم عند نشوب خلاف. عندما انتهى (الماران) من إحكام سيطرته على التجارة بـ«الحجاز» أمر أتباعه من (اليعاقبة) بالبدء بالتحرك نحو «اليمامة» و«حضرموت» واتباع النهج نفسه للسيطرة على التجارة في تلك المناطق، لكن ما حدث هو أن قوافله التجارية بدأت تتعرض للسرقة والنهب من قطاع الطرق خلال ترحالهم بين هذه المناطق مما كبدهم خسائر كبيرة في الأموال وأحيانًا الأرواح.

أمر (الماران) قائد جيشه بإرسال قوات لحماية القوافل المهاجرة بتجارتها من «الحجاز» وكان ذلك أول دخول لجنود من أرض (الماران) لشبه الجزيرة، وبسبب سيطرة (اليعاقبة) على التجارة هناك قاموا بالترويج لتلك القوات على أنها أتت لحماية مصالح الناس وأنهم ليسوا غزاة بل حماة وأصدقاء. ومع ذلك مانع الكثير من التجار وأهالي البلدة ما يحدث، وكانت طريقة (الماران) في التعامل معهم هي بخطفهم وتصفيتهم. مع مرور الشهور التي تحولت لسنوات أصبح وجود جيش (الماران) وفرسانه أمراً مقبولاً في غرب الجزيرة وأجزاءٍ من جنوبها واتخذوها قاعدة لهم للتوسع نحو بقية أجزاء أرض العرب.

اعتمد (الماران) على شراء الولاءات والذمم في التعامل مع القبائل من خارج غرب الجزيرة المعارضة لوجود شعبه وجيشه في أرض العرب، وإذا لم يتمكن من ذلك ألحقهم بكل من اعترضه من قبل. وجد (الماران) دومًا طريقةً ما للحصول على تحالف القبائل المعارضة؛ لذا وكمرضٍ خبيث كان (اليعاقبة) يظهرون وينتشرون في كل مكان في أرجاء شبه الجزيرة ويبدؤون بتأسيس مؤسساتهم



المالية التي لا تلبث أن تسيطر على كل مفاصل الاقتصاد في المنطقة بالمال القذر.

البلاد الوحيدة التي شكلت عائقًا أمام (الماران) وطموحاته كانت «هجر» بسبب بعدها الجغرافي ونظام الحكم الحصين فيها، فحاكمها لا يستقبل الغرباء بسهولة وعلى الأخص التجار منهم؛ فهو يمنحهم حق التجارة في «سوق هجر» من شروق الشمس حتى مغيبها فقط وبعدها يقوم بإخراج كل الغرباء خارج أسوار المدينة، ومن يرغب بالتجارة مرة أخرى داخل البلد عليه الانتظار حتى تفتح المدينة أبوابها صباح اليوم التالي لذا شَقَّ عليهم تأسيس وزرع نطفة للـ(يعاقبة) على أرض «هجر».

لم تكن «هجر» وحاكمها العائق الوحيد أمام الكاهن الكبير لاختراق شرق أرض العرب بل كان هناك عائقٌ أكبر ظهر له فجأة بعد سنواتٍ من التوسع على هيئة امرأة.. ساحرة..

تلك الساحرة عُرفت بـ(العرجاء) وكانت كالكابوس للـ(ماران) وجيشه من التجار والمحاربين فقد أفسدت الكثير من صفقاته لشراء شيوخ القبائل وكشفت الكثير من الجواسيس العرب الذين



يعملون لمصلحته وقتلتهم أو سلمتهم لقبائلهم ليقتلوهم بأنفسهم. كانت (العرجاء) كالشبح.. لا يراها أحد من أتباع (المارن) لكنهم يتعرضون لأذاها وعقابها كل يوم.

تطور الأذى الذي كانت تلحقه (العرجاء) بالكاهن الكبير كل يوم عندما بدأت تغتال التجار الكبار من (اليعاقبة) لتخليص الناس من هم الديون المتراكمة عليهم، وكذلك وحدت الكثير من القبائل العربية التي كان بينها عداء تاريخي طويل وشجعتهم على طرد جيش وتجار (المارن) من أرضهم بتحفيز وإشعال النخوة العربية في أفئدتهم، فتحولت أرض العرب وقبائلها لحركة ردعٍ كبيرة تضرب شعب الكاهن كل يوم وتكبده خسائر هدمت معظم إنجازاته في المنطقة.

قرر (المارن) في نهاية المطاف الخروج من أرضه والتوجه لأرض العرب والاستقرار في «الحجاز» حيث كانت قوته الأكبر، للإشراف بنفسه على قمع القبائل المعارضة لتوسعه وتصفية العرجاء بأسرع وقت. خبر قدوم الكاهن للحجاز كان له أثرٌ كبيرٌ في رفع معنويات أتباعه المنهكين من تصدي القبائل العربية لهم لكن بهجتهم تحولت



لخيبة عظيمة بعد ما وصلهم نبأ تراجع (الماران) عن تلك الخطوة لأسبابٍ مجهولة وأنه سيبقى في أرضهم في الوقت الحالي.

العرجاء كانت كالأسطورة بين القبائل العربية، فقليل من الناس قابلها وجهاً لوجه من قبل ولا يرون إلا أثرها حتى إن بعض الشائعات حكت عن موتها منذ زمن بعيد وأن كل ما يُنسب إليها لم يكن سوى من عمل من آمنوا بقضيتها وخلفوها من بعدها، وما عزز ذلك هو أنها عندما كانت تريد التواصل مع شيوخ القبائل تقوم بذلك بطريقة لا تكشف هويتها تحسباً لأي محاولة لاغتيالها. كما أشيع أيضاً أن الشيخ الوحيد الذي قيل عنه إنه أكثر شيوخ القبائل لقاءً بها هو الشيخ (حماد) شيخ قبيلة (الحيادرة) إحدى أكبر القبائل في جزيرة العرب آنذاك.



ذو العينين

عاصفة رملية هوجاء تعصف في أشد مناطق أرض العرب قحالة..

صحراء جافة صفراء على مد البصر..

يخرج من بين رمال العاصفة رجلٌ يمتطي ناقة بيضاء..

تلثم الرجل بقطيفته مُنزلاً رأسه مجنباً عينيه تلك الأتربة..

تهدأ الزوبعة.. يشد الرجل الملثم خطام دابته ليوقفها..

يفك الرجل لثامه ويمعن النظر في الأفق بحثاً عن مكانٍ وُصف له..

مسح الرجل حبيبات الرمل عن جبينه وخاطب ناقته:

«يبدو أننا لن نجد المكان بسهولة..»

تصدر الناقة رغاءً طويلاً..



طبطب الرجل على عنق ناقته قائلاً: ما الأمر ؟

تتحرك الناقة بخطواتٍ متسارعة في الصحراء المفتوحة أمامها في تعجبٍ من صاحبها الذي لم يثنِها عن ذلك واكتفى بالتشبث بخطامها والنظر أمامه. قطعت الناقة وهي تهرول مسافة ليست بالقصيرة تحولت هرولتها خلالها لعدوٍ متسارع حتى ظهر في الأفق مرجٌ أخضرُ كبير أثار دهشة الرجل وتعجبه من وجود مثل هذه البقعة الخضراء اليانعة وسط الصحراء. توقفت الناقة بعد أن دخلت المرج بمسافة وأنزلت رقبتها الطويلة وبدأت ترعى في العشب الأخضر. ترجل الرجل عن سنامها وبدأ بالسير في المرج يتمعنه بنظره في دهشة لم تزل..

(الرجل) محدثاً نفسه بصوتٍ مسموع خلال دهشته وانبهاره:

إذاً ما بلغني كان حقيقياً..

(صوتٌ يحدثه من خلفه) : وما الذي بلغك ؟

أدار الرجل نظره نحو مصدر الصوت بسرعة ليرى رجلاً آخر يشبهه تماماً.. بل كان مطابقاً له في كل شيء حتى ملابسه وبعد تردد

وجيز قال: من أنت ؟

(الرجل الغريب) بتهكم: أنت..

(الرجل) محاولاً إخفاء خوفه: هل أنت من الجان ؟

(الرجل الغريب) وهو يجلس على الأرض ضاحكاً: هات ما عندك ولا تطل الحديث..

(الرجل) بتردد: أنا..

(الرجل الغريب) وهو يشير للناقة التي ترعى من العشب: ناقتك لن تتوقف عن الرعي حتى ينفجر بطنها وهذه هي المدة التي يمكنك فيها الحديث معي

وجه الرجل نظره نحو ناقته ورأى أنها بالفعل لا تزال تأكل من المرج بشراهة وقد بدأت بطنها بالانتفاخ فقال على عجالة بتوتر ظاهر:

أتيت بحثاً عن ذي العينين..!

(الرجل الغريب) بشيء من الضيق والتجهم: كم أكره هذا اللقب.. لقد وصلت.. ماذا تريد ؟

(الرجل) باستغراب: سمعت أن (ذا العينين) أعمى وأنت مبصر الآن..

(ذو العينين): أنا أكمه ولست أعمى.. لكن لا أظنك أتيت إلى هنا لمناقشة تاريخ بصري وإبصاري.

(الرجل) وهو يقترب من (ذي العينين) ويقف أمامه: إذا كنت حقّاً هو فستعرف الغرض من زيارتي.

(ذو العينين) يمد يده اليمنى بين الأعشاب الطويلة التي كان يجلس بين أغصانها قائلاً: أنت تريد مني أن أزهق لك روحاً..

(الرجل): نعم صحيح

(ذو العينين):.. شخصٌ أهدر كرامتك أمام قبيلتك..

(الرجل): نعم..

(ذو العينين) يُخرج سهماً أحمرَ براسٍ ذي نصلٍ أسود ويقول: وأنت تخشى الاقتراب منه لذا لجأت إليّ..

(الرجل): حسناً لقد تيقنت من هويتك.. الموت هو الشيء الوحيد الذي سيشفي غليلي



(ذوالعينين): وهل أخبرك من دلك علي عن الثمن الذي أتقاضاه مقابل طلبك هذا ؟

(الرجل) مشيراً للحمولة فوق ناقته: لا لكني أحضرت ما يكفي من الأموال.

(ذو العينين): هل تظن أن شخصاً مثلي يبحث عن المال ؟

(الرجل): ماذا تريد إذاً ؟

(ذو العينين): شيئاً منك..

(الرجل) بارتياب: ماذا تقصد ؟

(ذو العينين): لا تضيع الوقت فناقتك ستهلك بعد عدة قضمات.

(الرجل) بصوتٍ مرتفع ومتوتر: حسناً!.. حسناً!.. موافق!

رفع (ذو العينين) كفه فتوقفت الناقة عن الرعي..

(الرجل) ملتقطاً أنفاسه من توتره السابق: لو ماتت تلك الناقة فلن أتمكن من العودة لدياري.. ماذا الآن ؟

(ذو العينين): هل أحضرت أثرًا ؟

(الرجل) مخرجاً حبلاً قصيراً من جيبه: هل يفي بالغرض ؟

مـد (ذو العينين) يــده وأخذ الحبل دون أن يجيب على سؤاله وربطه في قصبة السهمِ الأحمر ذي النصل الأسود ثم قرب النصل لشفتيه وبدأ يتمتم ببعض الطلاسم غير المفهومة للرجل، وعندما فرغ وضع السهم على الأرض خرجت حية قرناء والتفت حول السهم وبصقت بعضَ سمها على رأسه الأسود ثم انسلت داخل المرج. بعد ذلك أخرج (ذو العينين) بيده اليسرى من بين النباتات قوساً من القصب وشد السهم الأحمر لأقصاه ثم أطلقه لعنان السماء.

(الرجل): ماذا تفعل ؟

(ذو العينين) واضعاً القوس في حجره: نصل السهم المسموم لن يهبط إلا في جسد صاحب الأثر..

(الرجل) بشيء من الحماس: متى ؟.. الأن ؟!

(ذو العينين): «الكيف» عندي و«المتى» عندهم..

(الرجل): يجب أن أعرف متى لأرى ذلك بعينيَّ!

(ذو العينين): وكيف تنوي القيام بذلك بعد أن أتقاضى أجري ؟

(الرجل): وما علاقة ذلك بأجرك ؟

(ذو العينين): ألم تسأل نفسك لِمَ يلقبونني بـ(ذي العينين) ؟

غليظ الكبد



رجلٌ عجوز بلحيةٍ بيضاء طويلة يجلس على كرسي خشبي في منزلٍ حجري متواضع. يُطرق بابه بثلاث طرقاتٍ خفيفة تبعها تحرك لدرفة الباب صاحبه صريرٌ كاسر للهدوء الذي يعم المكان. وقف عند الباب رجلٌ ضخم بدت عليه علامات القوة ممسكاً بيده رأس امرأة فُصل للتو عن جسدها والدماء لا تزال تقطر من عروق عنقها الممزقة على أرض المنزل الخشبية. دخل خلفه رجلٌ آخر يرتدي ملابسَ تشبه ملابس الرجل العجوز لكنها أكثر تكلفًا، ووقف مُنزلاً رأسه للأسفل احترامًا لأنه أقرب تلاميذه ويده اليمنى. بقي العجوز صامتًا خلال وقوفهما لفترةٍ وجيزة ثم قال:

«كم أصبح العدد الآن ؟»



(التلميذ) مشيرًا للرجل الضخم الممسك برأس المرأة بالخروج قبل أن يبدأ هو بالحديث:

لقد أعدمنا أكثر من مائتي ساحرة منذ أن بدأنا بتطهير أرض العرب أيها الماران المبجل، وتلك الساحرة التي كان حارسي الخاص يحمل رأسها كانت تحوم حول منزلك اليوم لكن الحراس الموكلين بحمايتك استطاعوا القبض عليها وقتلها في الحال.. أعتقد أن (العرجاء) هي من قامت بإرسالها لاغتيالك.

(الماران): العرجاء لم تعد بحاجة لتحفيز أحد لاغتيالي لقد أشعلت فتيلاً ألهب قلوب العرب ضدنا، وهذه الساحرة التي قتلتها للتو تحركت باختيارها، ومحاولتها قتلي نابعة عن رغبتها الشخصية فقط.. لقد خسرنا الكثير من الثقة والولاء بين صفوف العرب الموالين لنا بسبب تلك العرجاء..

(التلميذ): سيستسلمون في نهاية المطاف.. ولو بالقوة أيها المبجل.

(الماران) وهو يقبض على طرف لحيته البيضاء سارحًا أمامه: لن تخضع عربستان وتلك العرجاء تدب على رمالها.. القبائل العربية

جعلتها رمزاً لكفاحها ضدنا ويستمدون قوتهم منها.. اقتلوها وستنكسر شوكتهم جميعاً وسيركعون تحت أقدامنا أذلاء.

(التلميذ): سنجدها.. لقد نشرنا الجواسيس والقتلة المأجورين في جميع بقاع أرض العرب والأخبار تشير..

(الماران) مقاطعاً تلميذه بنبرة هادئة لكن حازمة: فرسانك وجواسيسك لن يتمكنوا وحدهم من الإيقاع بها.. كنت أظن أنها ستكون مجرد عقبة بسيطة في طريقنا لكنها يوماً بعد يوم تصبح سدّاً منيعاً أمام مخططاتنا..

(التلميذ): القبائل تساعدها في الاختباء وهذا مصدر قوتها الوحيد.

(الماران): لا تخدع نفسك بهذا الحديث الفارغ.. القبائل هي من تطلب العون منها.. ألم تمزق وحدها فريقاً كاملاً من أقوى رجالك خارج حدود «اليمامة» قبل عدة أشهر ؟

(التلميذ) بتحرج: بلى لكن..

(الماران): ألم تقم بصلب الكاهن الذي أرسلته لاستمالة حاكم (هجر) ليكون حليفاً لنا ؟



صمت التلميذ ولم يقاطع حديث الماران..

(الماران): تلك المرأة ليست مجرد «ساحرة» متمردة.. إنها قلب العرب النابض وهي من تؤجج حربهم ضدنا سواءً أتينا بالسلم أم الحرب.

(التلميذ): نحن نملك قوة كافية للسيطرة على الحجاز بأكملها لو تحركنا بكامل قواتنا، أنا لا أفهم حقيقة سبب تأجيل بسط نفوذنا بقوة الجيش بسبب ساحرة واحدة.. العرب ضعفاء والكثير منهم خونة ويمكن شراؤهم بالمال.. وجودك هنا يا سيدي بعيداً عن أرض الحجاز يقلل من عزيمة رجالنا.. عندما أعلنت عن قرار توجهكم المبارك للانتقال للحجاز استبشرنا خيراً وارتفعت معنويات الجميع لكن قرارك السريع بالتراجع والعدول عن ذلك أصابنا وأصاب شعبنا في مقتل وأثار الشكوك حول..

(الماران) مقاطعاً: حول من ؟.. حولي ؟.. هل بدأتم تفقدون إيمانكم ؟

(التلميذ): العفو أيها المبجل. لكن قرار تراجعكم عن الذهاب لعربستان كان غريباً..

(الماران): لا يمكنني دخولها والعرجاء تسير على رمالها.. لقد

حذرتني نبوءة راودتني في منامي قبل سفري لأرض العرب بليلة من مغبة ذلك..

(التلميذ): ما فحوى تلك النبوءة أيها المبجل ؟

(الماران): لقد رأيت العرجاء تقتلني بيديها العاريتين بعد ما وطئت أرض العرب..

(التلميذ): لن تمسك وجيشنا حولك..

(الماران) مبتسماً: نبوءاتي هيّ من أوصلتكم لما أنتم عليه فلا تشكك بها مرة أخرى.. اضرب القلب ليتهاوىَ الجسد.. موت العرجاء هو مفتاح دخولي ودخولنا جميعاً لعربستان.

(التلميذ): العفو أيها المبجل لم أقصد التشكيك ببركة نبوءاتك لكن..

(الماران): لو قتلتم جميع ساحرات وسحرة العرب دونها فلن نخطو خطوة واحدة على أرضها.. اندفاع جيشك ورجالك بالقوة في الماضي لم يزد القبائل إلا تلاحمًا..

(التلميذ): البطش بهؤلاء الهمج هو الحل الأمثل.. صدقني يا سيدي..

(الماران): أنت لا تفهم عقلية هؤلاء الناس.. هي وحدها مفتاح نصرنا كما أخبرتك.. ركز بحثك عنها فقط واقتلها قبل أن يتحركوا هم نحونا.

(التلميذ) حانياً رأسه: أمرك.. سنجدها..

(الماران): وتجاهلوا الشائعات بأنها ميتة.. هي حية ترزق وأنا متيقن من ذلك..

(التلميذ): وهل مصدر ذلك اليقين يمكنه أن يدلنا على مكانها ؟

(الماران): ماذا تقصد ؟

(التلميذ): طرقنا التقليدية في البحث عنها كانت وما تزال لا تجدي نفعاً.. نحتاج شيئاً خارجاً عن المألوف للعثور عليها.. ربما لو استعنا ببعض العرافين..

(الماران) مقاطعاً تلميذه ومستدركاً فكرة راودته: لا.. انتظر.. انتظر.. هناك طريقة أفضل..

(التلميذ): كلي آذان صاغية يا سيدي.

(الماران): كل من أرسلتهم لتعقبها وقتلها كانوا من فرسان جيوشنا أليس كذلك ؟

(التلميذ): بلى فهم الأكثر تأهيلاً لمهمة كقتل العرجاء.

(الماران): هناك من هم أكثر كفاءة من جنودك لكنهم يحتاجون لمحفزٍ قويٍّ لتولي مهمة مطاردتها وقتلها..

(التلميذ): محفز من أي نوع ؟.. لقد عرضنا أموالاً طائلة دون استجابة من أحد..

(الماران): الأموال تجذب فئة من الناس لا يمكنهم أن يفيدونا في هذا المسعى.. سنجعلها مطاردة مِن مَن هم أقوى وأخبث.. سنعرض مكافأة لقتلها لا يمكن لأي أحد من الجن أو الإنس أو حتى الشياطين والسحرة مقاومة إغرائها..

(التلميذ) بشيء من الخوف والقلق بعد سماع كلمة «جن» و«شياطين»: عن ماذا تتحدث أيها المبجل ؟

(الماران) يقف ويسير نحو مكتبته الخاصة القابعة في غرفة مجاورة: اتبعني..

تبع التلميذ الكاهن حتى دخل غرفة صغيرة.. كانت عبارة عن مكتبة تحوي مجموعة من الكتب القديمة. وضع الكاهن سبابته على

أحدها وسحبه من الرف وأمعن النظر في غلافه المتهالك قائلاً:

«هذا الكتاب جزء من سلسلة.. لا أحد يعرف أين بقيتها لكني أملك أحدها.. لا يقدر قيمته إلا القليل وهو كتاب لا يمكن أن يُسرق أو يُقتنى.. لا يمكن لأحد أن يلمسه حتى.. إلا إذا وهبه مالكه لآخر.. لقد وُهبت هذا الكتاب من مالكه السابق كما فعل من قبله.. سأهبه لمن يقتل العرجاء..»

(التلميذ): لم أفهم..

(الماران): عند انتشار الخبر ستكون العرجاء مطاردة من قبل كل من يعرف قيمة هذا الكتاب.. وسنحصل على غايتنا..

(التلميذ): وما هذا الكتاب ؟.. وكيف سننشر خبره بسرعة ؟.. الأمر سيستغرق أسابيع ليصل إلى الحجاز وعدة أشهر ليصل لجميع أرجاء الجزيرة..

(الماران) واضعاً الكتاب ذا الغلاف المتهالك على طاولة كبيرة توسطت المكان: اترك لي الأمر.. توجه الآن للحجاز وابقَ هناك إلى أن يصلك خبر مقتل العرجاء وبمجرد أن تتحقق من مقتلها استأنف خططنا في التوسع والسيطرة على جزيرة العرب.

خروج التلميذ بعد ما قبّل ظهر يد الكاهن الذي مسح على رأس التلميذ بالأخرى وقال له:

«في حفظ الرب.. أنتم جنود السماء المختارون لمحاربة السحرة الكفرة وحقنا المشروع في الأرض سنأخذه»

عندما أصبح الكاهن وحده في مكتبته أغلق بابها وعقد أصابعه وبدأ يتمتم ببعض الكلمات ليظهر أمامه رجلٌ يلبس وشاحاً أبيضَ وله شعرٌ أشقر بأعين زرقاء كلون البحر. بقي الرجل صامتًا ينتظر حديث (الماران) المحدق بالكتاب ذي الغلاف المتهالك على الطاولة لثوانٍ ثم قال:

«كتاب سليمان معروض للهبة.. إذا كان سيدك لا يزال يريد الحصول عليه فهذه فرصته قبل أن أشيع الخبر بين الكينونات..»

(ذو الوشاح الأبيض) مبتسماً: الماران الأكبر يتخلى عن كتاب سليمان.. لا بد وأن الأمر في غاية الخطورة..

(الماران): أنا لن أتخلى عن شيء.. هذا الكتاب سيكون بمقابل..

(ذو الوشاح الأبيض): ما هو الثمن الذي تطلبه مقابل الكتاب العتيق ؟

(الماران): ثمن بسيط جدّاً.. رأس امرأة.. تلقب بالعرجاء.. تقطن في جزيرة العرب..

جلس الرجل ذو الوشاح الأبيض بهدوء على الطاولة التي وُضع عليها الكتاب ثم وجه نظره بأعينه الزرقاء نحو الكاهن باستغراب: امرأة ؟.. هل هذا فخ ؟

(الماران) يجلس أمام الرجل ذي الوشاح الأبيض مبتسماً: كنت متيقناً من أنك لن ترحل دون سؤالي.. نعم امرأة.. ساحرة عربية تسببت لي بالكثير من المشكلات وأريد التخلص منها بأسرع وقت.

(ذو الوشاح الأبيض): عرضك ملوث.. ما الحكاية ؟.. الكتاب أعظم من أن يكون ثمنه حياة امرأة..

(الماران) يدفع الكتاب نحو الرجل الجالس أمامه: ما بك ؟.. كنت أظن أن (الطائفة الجنتية) تنتظر اليوم الذي تمتلك فيه أحد كتب سليمان بفارغ الصبر.. أم أن سيدكم العظيم قد غير من توجهاته وطموحاته يا (روشني) ؟

(روشني) رافعاً ساعديه من على سطح الطاولة الخشبية متحاشياً

لمس الكتاب: الثمن الذي تطلبه يثير شكوكي وأنا لن أنقل هذا العرض لسيدنا قبل أن أتيقن من مصداقيته.

(الماران): ملوك الجن وأسياد الشياطين يحملون الرغبة نفسها في امتلاك الكتاب لكني لم أبلغهم بذلك بعد.. أريد منحكم فرصة قبل أن يتحول الأمر لفوضى، لقد اخترتكم قبلهم لأني أريد أن يتم الأمر بسلاسة وبدون أي لفت نظر نحوي أو نحو شعبي.. أريد أن تقتلوها بهدوء خاصة وأنها ليست شخصية عامة موجودة في كل مكان والكثير من العرب يعتقدون موتها.. هل عرفت الآن لِمَ وقع اختياري الأول عليكم ؟

(روشني): لدينا الكثير من الأتباع والقتلة المحترفين.. في أرض العرب وفارس.. في السند وبلاد ما وراء السور.. الأمر لن يتطلب سوى واحدٍ منهم لينجز تلك المهمة.

(الماران): لا تستهن بتلك العربية فتاريخها حافلٌ بإراقة الدماء.. ولا أنصحك بإرسال فارسي لاقتفاء أثرها.

(روشني): لمَ؟



(الماران): عُرف عن العرجاء مقتها الشديد للفرس واقتراب فارسي منها سيثير شكوكها وسخطها..

(روشني): اترك مسألة التخطيط لنا فنحن أعلم بما يناسبنا..

(الماران) مبتسماً: على أي حال أكثر مكان شوهدت فيه هو منزلٌ في «هجر» تعيش فيه بعض النسوة يقمنَ بالعناية بمجموعة من الأيتام.. هذا مكان جيد للبدء بالبحث فيه وإذا احتجتم أي شيء يمكنكم اللجوء إلي فقد أمضيت السنوات الفائتة في جمع الكثير من المعلومات عنها وعن تحركاتها عن طريق جواسيسي المنتشرين في عربستان

(روشني) وهو يقف: يبدو أنك نسيت من نحن أيها الماران!..

(الماران) مبتسماً: سأكون أنا والكتاب بانتظاركم.. بلغ تحياتي لسيدك.

(روشني): تذكر أن الهبة ستكون للسيد الكبير لذا سيتوجب عليك الحضور معنا إلى مملكتنا لتسليمها له فهو لا يخرج من قصره أبدًا.

(الماران): أحضروا رأسها لي وسأذهب إلى حيث تشاؤون..

هم الرجل ذو الأعين الزرقاء والشعر الأصفر بالرحيل لكن الماران استوقفه قائلاً: بما أنك هنا أريد أن أسألك شيئاً..

(روشني): ماذا ؟

(الماران): كان هناك كهل من طائفتكم يعيش في (المسرة) وقد انقطعت أخباره لفترة طويلة.. هل حدث له مكروه ؟

(روشني): تقصد السيد (كلكامش)..

(الماران): نعم هو.. رجل بشوش الوجه أسود القلب.. ماذا حل به ؟

(روشني) رافعاً طرف وشاحه المتدلي على كتفه الأيسر: لقد رحل للسماء قبل عدة سنوات..

(الماران): خسارة كبيرة!.. رجلٌ بتلك القوة والحكمة كنت أظنه سيعيش للأبد..

(روشني): ما زلنا نقتفي أثر قاتله وسنجده..

(الماران) باستغراب: قاتله ؟.. متنور كـ(كلكامش) لا يُقتل بسهولة..

(روشني): ليس هو فقط من قُتل.. جميع المجندين الجدد تحت التدريب في «جبال الملح» أبيدوا جميعاً ولم يبقَ منهم سوى التراب.. طاقة هائلة قضت على سنوات من عمله هناك.. لكن ذلك لن يمر مرور الكرام.

(الماران): أنتم تجدون أي شخص مهما حاول الاختباء، وبلغتم في هذا العلم مبلغاً نافستم به الجن الأزرقِ ولا تستطيعون إيجاد شخصٍ عبث بكم هكذا ؟.. لكن بما أن الأمر قد حدث منذ سنوات فيبدو أنه مر وانتهى..

(روشني) وخياله يضمحل في الهواء: هذا شأننا.. سيكون رأس العرجاء عندك قريباً..



ابنة النخيل

تاجر للخيول الأصيلة يسير بقطيعه خارج أسوار «هجر» برفقة أتباعه وحراسه الموكلين بحماية تلك الداوب الثمينة ذات السلالة النقية، بعد ما أتم صفقة رابحة مع أحد الأعيان هناك ببيع جوادٍ أصيل من نسلٍ نادر بقيمة عالية جدّاً. عُرف هذا التاجر بسمعة ذهبية وأن خيوله هي الأكثر أصالة في جزيرة العرب ولا يمكن إيجاد مثيلٍ لها عند غيره لذا كان كل من يريد تقويماً لأصالة خيوله لأي غرض يلجأ إليه.

بعد أن ابتعد التاجر عن حدود «هجر» مسيرة يوم رأى مرشد قافلته غبارًا يتطاير في الأفق خلفهم فأمر بتوقف القافلة خشية أن يتعرضوا للنهب. لم يكن التاجر يخشى قطاع الطرق فمن عينهم لحماية ثروته من الخيول الأصيلة لم يكونوا حراسًا عاديين، كانوا أربعة يرأسهم



فارسٌ مخضرم تجاوزت مقدرته وقوته أي حارس قافلة معروف ذلك الوقت. أشار التاجر للفارس بالتحقق من الأمر وهو بدوره وجه رجاله للانطلاق على خيولهم نحو من كان يسير نحوهم بسرعة، وخلال وقتٍ وجيز عاد الثلاثة ومعهم أسيران وجوادان وفرس بلونٍ أبيض فيه كُدْرة كالرماد أثارت انتباه تاجر الخيول وإعجابه.

(الأسير الأول) موجهاً حديثه للتاجر المبهور بالفرس: نحن لسنا لصوصاً يا سيدي.. نحن هنا نريد بيع هذه الفرس لك ونعلم أن لا أحدَ سيقدرها حق قدرها مثلك

(التاجر) يمسح على ناصية الفرس بأعين مبهورة: من أين حصلتما عليها ؟

(الأسير الثاني): سرقناها.. هل هناك مشكلة في ذلك.. ؟

(التاجر) وهو يدعك ظهر الفرس ويمعن النظر بقوامها المشوق: كنت أظنكما قلتما بأنكما لستما لصوص.. على أي حال.. بما أنها غير موسومة فلا مشكلة.. إلا إذا كان صاحبها أميراً أو شيخ قبيلة مَهيبة.. عندها لا يمكنني أخذها منكما.

(الأسير الأول): ومن يسم الخيول ؟.. النياق والجمال هي من يتم وسمها.

(التاجر) متفحصاً أسنان الفرس: الخيول كهذه يسمها أصحابها لأنها لا تقدر بثمن والفرس تكون أكثر قيمة من الجواد..

(الأسير الثاني) ضاحكاً: لا تقلق سرقناها من عجوزٍ بائسة وفقيرة خلال نومها!

(التاجر) باستغراب: من أين لعجوزٍ بائسة وفقيرة أن يكون لها فرس رائعة ونقية النسل كهذه ؟

(الأسير الأول): لا نعرف!.. رأيناها تمتطيها مصادفة ونحن على سفر فتبعناها حتى ربطت لجامها خارج خيمتها وانتظرنا إلى أن غابت الشمس وسرقناها.

(التاجر) وهو يشير للفارس بتحرير قيودهما: ما اسمك أيها اللص ؟

(الأسير الأول) يدعك معصميه قائلاً: أنا (قبصر) وهذا أخي (شملج)..

(التاجر): وكم تريد ثمناً لها يا سيد (قبصر) ؟

(قبصر): بكم تقدرها ؟

(التاجر) يقبض على لجام الفرس محدقاً بعينيها البيضاوين بفتنة عظيمة: هذا النسل من الخيول لا يمكن أن أضع عليه سعراً.. اطلب ما تشاء وسنرى..

(قبصر) محدثاً أخاه وهو يبتسم مبتهجاً: سوف نصبح أثرياء بسبب تلك العرجاء يا (شملج)..

(التاجر) وهو يترك اللجام بسرعة مرعوباً وكأن ناراً قد لسعت يده: هل العجوز التي سرقتموها عرجاء ؟!

(شملج) : نعم.. عرجاء تعرج على عكازٍ خشبي.. ما المشكلة ؟

صرخ التاجر في الفارس المخضرم ورجاله: أبعدوا هذه الفرس من هنا قبل أن نهلك جميعاً!!

(قبصر) بسخرية: ما بك هل هي شيخ قبيلة أم أمير ؟

(التاجر) بتجهم: ليتك سرقت أمراء وشيوخ العرب كلهم ولم تسرق العرجاء!

(شملج) بتعجب خالطه بعض السخط: بمَ تهرطق ؟!.. إذا كنت



لا تريد الفرس أو تريد تخفيض ثمنها يمكنك اتباع طريقة أقل حماقة من هذه!

(التاجر) بعصبية شديدة: ثمن هذه الفرس سيكون حياتي لو مسست شعرة منها.. أي فأل شؤم جلبكما لي!.. ارحلا فوراً!.. ولو رأيتكما مرة أخرى فسآمر رجالي بقتلكما وإعادة الفرس لصاحبتها!

(قيصر) ملتفتاً على أخيه باستغراب: ما به هذا المجنون ؟

لم يلحق الأخ أن يرد على أخيه فقد وجدا نفسيهما وحدهما مع جواديهما والفرس التي كانا يعرضانها للبيع لأن التاجر أمر رجاله بالابتعاد عن المكان والانطلاق في الصحراء بأقصى سرعة.

قرر الاثنان البحث عن تاجر آخر لشراء الفرس وبدأ بالسير عائدين نحو «هجر» للتزود بالمؤن للرحيل وعرض الفرس البيضاء في سوق الدواب الكبير جنوب الجزيرة. قبل غروب الشمس بقليل وخلال سير الأخوين فوق جواديهما نحو «هجر» كانت الفرس تسير خلفهما وهي مربوطة بلجام جواد (شملج) الذي قال لأخيه السائر بجانبه وهو يحدق بالشمس المصفرة أمامهما:

هل تظن أن حديث ذلك التاجر كان صحيحاً ؟

(قبصر): أي حديث ؟

(شملج): حديثه عن أن العجوز التي سرقناها كانت شخصاً من المفترض عدم سرقته

(قبصر) بتهكم: دعك منه.. لقد كانت تمثيلية واضحة لتخويفنا ولدفعنا لبيع الفرس بمالٍ قليل لكنه لا يعرف بأننا نملك بعض العلم في سلالة الخيول وهذه الفرس قيمتها كبيرة جدّاً.

(شملج) بشيء من القلق: لا أعرف!.. لقد بدا لي خائفاً ومرعوباً بحق من وجوده بالقرب من تلك الفرس.

(قبصر): صدقني أنها مجرد..

انفجر رأس (قبصر) قبل أن يكمل عبارته وتناثرت قطع رأسه على ظهر جواده وعلى الأرض لكن معظمها لطخت وجه أخيه (شملج) الذي بدأ بالصراخ بجنون.. انطلق الجواد المربوط بالفرس التي تبعته حتى توقفا على بعدٍ يسير من (شملج) ليترجل هو عن جواده ويجلس بجانب جثة أخيه المنزوع الرأس وهو يصرخ ويبكي



بحرقة،خلال ثوانٍ معدودة انتبه (شملج) لأربعة حوافر واقفة عنده تتوسطها قدم حافية بجانبها طرف عصا خشبية ذات سطح مفلطح كخف الجمل، رفع رأسه المبتل بدماء وقطع لحم رأس أخيه وهو يرتجف ليرى العجوز التي سرقاها تنظر إليه بغضب فقال متوسلاً:

نحن لم..

انقطع لسانه وتبعه أنفه وأذناه وسقط على الأرض ينتفض وينزف منازعاً حتى الموت..

حضنت العجوز العرجاء رأس فرسها وقبلت جبينها وهي تفرك غرتها السوداء الغزيرة: لم يهنأ لي النوم في بعدك يا (غبساء).. هل تعرض أحدهم لكِ بسوء ؟

هزت الفرس رأسها في إشارة لسعادتها برؤية صاحبتها مرة أخرى فتبسمت العجوز وحلت الوثاق الذي قيدها بالجواد وامتطتها بعد ما دست عكازها في لجامها وبدأت بالسير عائدة نحو «هجر».

كان الليل قد بدأ يسدل ستاره والصحراء الشاسعة غطاها بساطٌ سماوي من النجوم المتلألئة ولم يكن يُسمع شيء سوى خطوات (الغبساء) السائرة ببطء. رفعت العجوز رأسها عندما أحست بأن



هناك من يقترب منها. ترجلت عن فرسها وجثت على الأرض واضعة أذنها على الرمال وبعد ثوانٍ من الإنصات قالت محدثة نفسها:

هناك من يعدو باتجاهنا بسرعة.. خيال واحد..

ركبت العجوز فرسها وشدت اللجام ولم تتحرك من مكانها في انتظار المقبل عليهما ولم تمضِ دقائق حتى ظهر في الأفق فارس منطلق بجواده وعند رؤيته للعجوز بدأ يلوح بيده فتعرفت عليه وقالت باستغراب:.. (جليلة) ؟

ترجلت (جليلة) عن جوادها عندما وصلت عند العجوز وجرت نحوها وأمسكت بلجام (الغبساء) وهي تتنفس بسرعة: كنت أخشى أني لن ألحق على تحذيرك يا عمة (نافجة)!

(نافجة) دون أن تنزل عن ظهر (الغبساء): تحذيري من ماذا! ؟.. ولِمَ لم تنتظري حتى أعود ؟

(جليلة): هناك خطر ينتظركِ عند عودتك.. وجب علي تحذيرك منه قبل أن تدخلي «هجر»!

(نافجة): ما نوع الخطر الذي تتحدثين عنه ؟

(جليلة): شخص غريب اقتحم منزلنا وينتظر عودتك!..

(نافجة) تشد لجام فرسها متجهمة مستعدة للانطلاق: وكيف تركتِ إخوتك معه ؟!

(جليلة) تمنع الفرس من الانطلاق: إخوتي محتجزون في المنزل!

(نافجة) بهدوء ووجهٍ مصدوم: وقد تركلكِ هذا الغريب لتهربي بكل سهولة ؟

(جليلة): لا لقد فررت منه!

(نافجة) رافعة رأسها للأفق: عودي.. لقد لحق بكِ وسيظهر في أي لحظة..

(جليلة) وهي مشوشة: مـ.. ماذا ؟.. لا.. يجب أن تهربي يا عمة!

سحبت (نافجة) عكازها من لجام الفرس وترجلت عن دابتها واضعة كفها على كتف (جليلة): هو يريدني أنا فقط.. عودي.. اعتني بإخوتك وطمئنيهم علي..

(جليلة) بحزن يخالطه دموع قلقة: لا أستطيع العودة يا عمة!.. لن أكون مطمئنة

(نافجة): حسناً.. عودي لـ«هجر» وأنا سوف أهرب كما ترغبين.

(جليلة) مبتسمة من وراء دموعها: كم ستغيبين هذه المرة ؟

(نافجة): لن أطيل الغياب.. هيا امتطي جوادك وارحلي ولا تنظري وراءك.. هل تفهمين ؟

نفذت (جليلة) أمر عمتها التي وقفت بجوار (غبساء) تراقبها حتى اختفت في الأفق ثم قالت: شكراً لأنك لم تظهر بوجودها..

خرج من تحت الرمال رجلٌ بشعرٍ أسودَ طويل وكثيف كلحيته وشاربه. امتلأ جسده بالوشوم المتشعبة حتى عنقه لكن وجهه خلا منها ولم يكن يلبس سوى إزارٍ وقال:

«هي ليست هدفي..»

(نافجة): لم أتعود من الماران أن يُرسل سحرة لتعقبي.. يبدو أنه بلغ مرحلة جديدة من اليأس!..

(الرجل الموشوم): لست من أتباع هذا «الماران» وأنا لست بساحر..



(نافجة) باستغراب: لم أكن أعلم أني مطاردة من غيره.. أنتَ لست بعربي.. أستطيع رؤية ذلك في خطوط وجهك وسماعه في لسانك..

(الرجل الموشوم): عرقي أشرف من أن يكون عربيّاً.. أنتِ مطلوبة لـ(الطائفة الجنتية) وسيدنا يريد رأسك.

(نافجة): لم أسمع بكم من قبل لكن مصيرك ومصيرهم لن يختلف عن كل من سبقوك في محاولة قتلي.

(الرجل الموشوم) يضم كفيه مغمضاً عينيه: سنرى..

غاص الرجل الموشوم بسرعة تحت الرمال مما أثار دهشة (نافجة) التي قالت: أي نوعٍ من السحر يستخدم هذا الرجل ؟

خرج الموشوم من خلفها وحاول طعنها في ظهرها بخنجرٍ كان يمسك به لكن (نافجة) التفتت عليه وأسقطت الخنجر من قبضته بضربة من عكازها وقبل أن توجه له ضربة أخرى غاص مجددًا في الرمال.

(نافجة) وهي تسير مبتعدة عن (غبساء) كي لا تصاب في المعركة: هل أتيت لتلعب معي ؟.. واجهني كالفرسان أو ارحل مدحوراً!



خرج من الرمال حولها كم هائل من الأفاعي وبدؤوا بالزحف نحوها وهم يفحون بقوة. عقدت (نافجة) إبهاميها بعضهما ببعض وبدأت تنفخ عليهما لتخرج نارٌ أحرقت كل الثعابين في لمح البصر وحولتهم لرماد. أخذ الرماد يتحرك تدريجاً حولها مشكلاً إعصاراً حجب الرؤية عنها ومن جنبات تلك الريح العاصفة والمحيطة بها بدأت أذرع ذلك الرجل تضرب (نافجة) التي تجهمت قائلة:

«حان وقت الرحيل..»

تمتمت العرجاء بطلسم سريع فصل أذرع الرجل عن أكتافه ورمى به بعيداً على هضبة رملية..

خلال نزف ومصارعة الرجل الألم فوق قمة الهضبة عكزت (نافجة) نحوه حتى أصبحت عند رأسه وقالت: أنت لم تستعن بطلاسم.. كنت سأعرف لو كنت قد فعلت.. أي نوع من السحرة أنت ؟

(الرجلِ الموشوم) وهو يعتصر ألماً: الجنتيون لا يستخدمون الطلاسم..

(نافجة) باستغراب: لِمَ تريدون قتلي ؟.. لا خصام بيني وبينكم!

(الرجل الموشوم): سوف يأتي غيري.. الكثير غيري.. ولن نتوقف حتى تهلكي يا عربية..

(نافجة) وهي تضرب بقبضتها صدر الرجل منتزعة قلبه النابض ومحدقة في عينيه: سيحصلون على كرم الضيافة الذي حصلت عليه للتو..

فارق الموشوم الحياة وخلال ذلك فركت (نافجة) يديها المبتلتين بدمائه في الرمال بعد ما رمت قلبه جانباً وحدثت نفسها قائلة:

«يجب أن أعرف من هؤلاء (الجنتيون) ولِمَ هم في أثري..»

صعدت (الغبساء) الهضبة ودنت برأسها من (نافجة) التي وضعت وجنتها على طرف منخارها خلال مسحها على جبينها:

«هيا بنا لنرحل من هنا يا جميلة..»

لم تكن (نافجة) مطمئنة للطريقة التي وجدها بها ذلك الموشوم فـ(الماران) بالرغم من امتداد نفوذه ومحاولاته المستميتة في الماضي لقتلها لم يتمكن من تقصي أثرها بهذه السهولة، ولم يستطع رجاله دخول «هجر» وتهديد بناتها بهذا الشكل لذا اتخذت قرار التحرك



نحو «اليمامة» للقاء ساحرة عُرفت بـ(القيقبون) وهي ساحرة معمرة تجاوز عمرها قرنًا من الزمان تسيدت السحرة هناك بعد سنوات من هيمنة السحرة الذكور وذلك لقوتها وبطشها بكل من يعارضها، وقد نشب صدام بينها وبين (نافجة) في الماضي عندما حاولت التوسع في شرق الجزيرة فقد قتلت العرجاء كل ساحر أو ساحرة من «اليمامة» دخل «هجر» بمباركة من حاكمها لأنها رأت في ذلك نزوحًا غير مرحب به، لذا فالعداء بينهما عداءٌ قديم امتد لسنوات لكن حاجة (نافجة) لعلمها الغزير بتاريخ السحر في الشرق والغرب جعلها تتغاضى عن هذا الخلاف في الوقت الحاضر وتطلب العون منها.

عجوز القدر



بعد مسيرة أيام أقبلت (نافجة) على «اليمامة» ورأت في الأفق سورها الكبير وكان ذلك أول الصباح حيث كانت أبوابها مفتوحة لاستقبال القوافل، وكانت ممتعضة جداً من رؤية أن معظم تلك القوافل التجارية من (اليعاقبة) أو مِن مَن يحمل رايتهم. دخلت المدينة وبدأت تتجول على ظهر (الغبساء) في سوقها المشهور ولم تجد معترضاً لدخولها وتجولها سوى رجل بدت عليه علامات الفقر والتشرد أمسك بلجام فرسها وقام بشده قائلاً: العرجاء في «اليمامة» ؟!.. أي ريحٍ خبيثة أتت بكِ إلى هنا ؟!

(نافجة) من فوق ظهر فرسها: خذني لسيدتك..

(المتشرد): عن ماذا تتحدثين ؟



(نافجة): أنت متقصٌ وتعمل وتأتمر لسيدتك (القيقبون) وأنا هنا لمقابلتها فاختصر الوقت علينا جميعاً وخذني إليها.

(المتشرد): سيدتي ستقتلك ما أن تقع عيناها عليكِ!

(نافجة) موجهة نظرها للأفق أمامها: ربما ستحاول لكني سأراهن على حكمتها التي تراكمت عبر تلك السنين العجاف التي عاشتها..

(المتشرد) يشد اللجام متجهماً ويبدأ باقتياد الفرس: هيا لقبركِ إذاً..

سار المتشرد وهو يقود (نافجة) خلفه حتى خرجا من السوق واستمر بالسير عبر مجموعة من الأزقة والبيوت الطينية الصغيرة إلى أن توقف عند منزلٍ ببابٍ متهالك وربط لجام (الغبساء) بوتدٍ كان مثبتاً على جداره وقال:

انتظري حتى أبلغ السيدة الكبيرة بحضورك المشؤوم..

(نافجة) وهي تُمعن النظر في الحي الفقير والمنزل الأقل من متواضع: هل تقطن كبيرة سحرة «اليمامة» في هذا المكان الحقير ؟.. أين أتباعها وحرسها ؟

(المتشرد) مبتسماً بشيء من التهكم وهو يدفع الباب الخشبي



للدخول:

«كبيرتنا كبيرة بمقامها وليس ملكها..»

(نافجة) بازدراء: قليل من النظافة لن يضرها..

خلال انتظارها لعودة المتشرد لمحت العرجاء بائعًا للبن يقف بجانب ناقة برباطٍ أصفر معقودٍ على عنقها يحلب حليبها ويبيعه لكل من يطلبه في وعاءٍ كان بحوزته. ترجلت (نافجة) من (الغبساء) وعكزت تجاهه حتى وصلت إليه فبادرها بالحديث مبتسماً وقال:

«هل ترغبين ببعض اللبن يا سيدتي ؟»

(نافجة): هل هو طيب ؟

(بائع اللبن) مبتسمًا وهو يحلب ناقته: لا تقدمي لي ثمنه إذا لم يطب لكِ..

أخذت (نافجة) الوعاء المملوء بالحليب والمغطى بزبده الناصع البياض وشربته بالكامل ومسحت ما تراكم من الزبد فوق شفتيها بكمها ومدت الإناء للبائع مرة أخرى بصمت. حزن البائع لأنها لم تمتدح لبنه وأخذ الوعاء وقال بوجهٍ متكدر:



«هذه سابقة لم أعتدها..»

(نافجة): سابقة أن يمد لك أحد الوعاء وهو يرغب بالمزيد ؟

ابتهج بائع اللبن عندما علم أن اللبن قد نال رضاها وبدأ يحلب ناقته مرة أخرى بسعادة وهو يقول: سوف آخذ منكِ ثمن وعاءٍ واحدٍ فقط يا سيدتي فثمن الآخر هو إطراؤك الجميل..

خلال شربها للحلبة الثانية من حليب الناقة خرج المتشرد وأخذ يشير لها بالدخول. أعادت (نافجة) الوعاء وهو نصف ممتلئ وقالت:

«سأكتفي بهذا القدر..»

(بائع اللبن) بنبرة مبتهجة: سأحتفظ به حتى تخرجي!

(نافجة): ماذا لو طلب أحد شراء بعض اللبن ؟.. أنا لا أرى أنك تملك أواني أخرى!

(بائع اللبن) مبتسماً: لن أبيع أحداً حتى تعودي وتكملي لبنك.. هو حقكِ ولن أسكبه

(نافجة) مبتسمة: سأحاول أن لا أتأخر عليك إذاً ؟

(بائع اللبن) بسعادة كبيرة: سأكون بانتظارك يا سيدتي الكريمة!

شدت (نافجة) على عكازها وبدأت بالعكز نحو المنزل الصغير ودخلته تاركة المتشرد يقف بالخارج. تكون المنزل من ممرٍّ ضيق قصير ينتهي بغرفة بسقفٍ من سعف نخلٍ متهالك، شكلت تلك الغرفة معظم مساحة المنزل وعلى أحد جوانبه باب يؤدي لغرفة أخرى فيما يبدو.

خلا المكان من الأشخاص ولم يكن هناك سوى قدرٍ مسودٌ مرتكزٍ على ثلاث حصواتٍ كبيرات بالإضافة لبعض التمر واللحم المجفف عُلّق على الجدار من خلفه. خلال تفقد (نافجة) الغرفة بنظرها فُتح الباب الموجود في المكان وخرجت عجوز نحيلة بشعرٍ أبيضَ مائل للفضة مجدل بجديلتين طويلتين تلبس رداءً بنياً بلا خمار ويداها كانتا حمراوين بالكامل من الحناء. سارت العجوز بخطواتٍ بطيئة تجاه القدر دون أن تلتفت إلى (نافجة) التي قالت بتهكم:

«كيف حالك يا عجوز ؟»

(القيقبون) وهي تجلس عند القدر رافعة رأسها ونظرها بأعينها المائلة للون زرقة السماء:

«ابنة النخيل في داري.. لم أظن أني سأُعمر لأشهد هذا اليوم..»

(نافجة) بتهكم: لا تقلقي ستعمرين لتدفنينا جميعاً..

(القيقبون): لست أنا من يعود في عمره للوراء.. تبدين أصغر بعشرة أعوامٍ عن آخر مرة التقينا بها.. ما الذي تأكلينه يا امرأة ؟!.. ما سر تلك الحياة المتجددة في وجهك ؟!

(نافجة): سأخبركِ إذا أخبرتِني سر بشاعتك ؟.. هل هو حقدك وغلك على غيرك والذي سلب حياتك شيئاً فشيئاً حتى أصبحتِ حسكة خاوية يمكن أن تُداس بالقدم..

(القيقبون): ماذا تريدين يا ابنة النخيل ؟.. أنا لم أرَ وجهكِ البائس منذ سنوات..

(نافجة): تقصدين منذ أن طردتكِ أنتِ وأتباعك من «هجر» ؟

(القيقبون): لقد رحلنا باختيارنا وتركت لكِ الشرق لتهيمني على سحرته.

(نافجة): أنا لا أسكن «هجر» لأهيمن على أي شيء أنا فقط لا أرحب بالدخلاء

(القيقبون): دخلاء ؟.. تتحدثين عنا وكأننا من (اليعاقبة).. نحن عرب مثلكم!

(نافجة): بعض العرب جرب يا عجوز القدر..

(القيقبون): تعرفين بأني أستطيع قتلك الآن.. فلمَ المخاطرة بالقدوم إلى هنا ؟.. الفضول ينهش بي.. لا بد وأنكِ واقعة في مأزقٍ كبير دفعك مُكرهة لدخول مهجعي.

(نافجة): في هذه أنتِ محقة.. لدي مشكلة وأريد حلًّا لها

(القيقبون) وهي تمسح على قدرها المتسخ بالرماد بكفها الأحمر:

أي وهمٍ وهذيان أوهماكِ بأني يمكن أن أساعد ألد أعدائي ؟

(نافجة): وَهْم العروبة.. أنا وبالرغم من تمسكي بكل ما هو عربي أعلم علم اليقين أنها تجري في عروقك حد التعصب الأعمى وأعلم أنكِ تسبحين معي في نفس الفُلك الغيور على أرضنا.

(القيقبون): الفُلك لا تسير على الرمال..

(نافجة): الدم العربي إذا أراقه عربي فهي مشكلة يمكن أن نتجاوزها فيما بيننا لكن أن يهدره أعجمي فهي عارٌ يستوجب الثأر.. غيرتنا تجعل دماءنا غالية علينا ونحن فقط من يملك حق إراقتها.. مهما اختلف الذئاب فيما بينهم فهم لا يسمحون للكلاب بالتدخل في شؤونهم



صمتت (القيقبون) مبتسمة وهي تداعب جوانب قدرها بأناملها الحمراء..

(نافجة): أعرف بأنكِ تكرهين (اليعاقبة) وتكرهين دخولهم «اليمامة» للتجارة وأستغرب حقاً أنهم يمارسون ما يمارسونه هنا دون أن تطرديهم أو حتى تحاولي مضايقتهم!

(القيقبون): تقصدين مثلما تفعلين أنتِ.. ؟

(نافجة): نعم وأكثر!.. قد نكون مختلفين فيما بيننا لكننا لا نختلف على كرهِهم وظلمهم لنا!

(القيقبون): أنا أستخدم ميزان الحكمة والتروي للحصول على العدالة..

(نافجة): العدالة الحقيقية سيف وليست ميزانًا..

(القيقبون) وهي تمد يدها الحمراء داخل القدر وتُخرج رأساً بفمٍ وأعين مفتوحة: لكلٍّ منا طريقته في المقاومة ورفض الظلم..

(نافجة): من هذا ؟

(القيقبون): هذا رأس (حُميّرس).. أكبر تاجر للجلود من (اليعاقبة)

في «اليمامة».. أمرت بقتله اليوم بعد ما أمضى شهورًا في صرف الأموال للسيطرة على تجارة الجلود في المدينة واشترى كل الدكاكين التي تنافسه.

(نافجة): ولِمَ لم تأمري بقتله أول يومٍ دخل فيه المدينة ؟

(القيقبون) وهي تعيد الرأس داخل القدر: لو كنت قد فعلت ذلك لما جنينا كل تلك الأموال التي دفعها وصرفها للسيطرة على تجارة الجلود..

(نافجة): أنتِ إذاً تسرقينهم وهدفك ليس الدفاع عن أرضنا..

(القيقبون): هل ترين مظاهر الثراء علي ؟.. لم يدخل جيبي فلسٌ أعور.. كلها ذهبت لتجارنا الذين استعادوا فوقها محلاتهم ودكاكينهم بعد موت هذا الدخيل.

(نافجة): ألا تخشين سخط الماران ؟.. فقد عُرف عنه أنه يقتص من أي شخصٍ يتعرض للـ(يعاقبة).

(القيقبون) رافعة جدائلها البيضاء فوق رأسها قائلة: أنا هنا فليأتِ..

تبسمت (نافجة) وعلمت أنه وبالرغم من العداء بينها وبين تلك

الساحرة العجوز إلا أن التصدي للماران وزحفه على أرض العرب كان عاملًا مشتركاً بينهما وهذا ما عولت عليه منذ البداية عندما أتت لطلب العون منها فقالت:

«لقد وقعت في مشكلة وأنا لا أطلب منكِ حلها لكني أحتاج بعض العلم ليعينني في ذلك..»

(القيقبون) مُنزلة جدائلها: منذ أن افتعلتِ المشكلات مع (اليعاقبة) وحرضتِ القبائل عليهم أصبحتِ طريدتهم وطريدة سيدهم.. لقد أوقعتِ نفسكِ بالمشكلات فلا تتباكي الآن..

(نافجة) وهي تجلس أمامها: وهل كنتِ تريدين مني أن أتركهم يعبثون بنا وبأرضنا ؟.. أنتِ تقاومين مثلي والرأس في قدرك الأسود شاهد على ذلك!

(القيقبون): ومن بقي لم يعبث بنا ؟.. حتى أبناء جلدتنا عبثوا بنا وحرقوا ونهبوا معظم ثرواتنا ثم إني أدافع عن «اليمامة» فقط ولا علاقة لي ببقية البلاد.

(نافجة): أبناء جلدتنا نحن نتكفل بهم وبعدوانهم أما الغريب فلا طاقة لي بتحمل تدخله في شؤوننا.

(القيقبون) بتهكم: كنت أظن أن بعض أبنائنا جرب ؟

(نافجة): الجرب له علاج حتى وإن استدعى الأمر الكي أما مرض خبيث كالـ(الماران) فلا علاج له إلا البتر.

(القيقبون): جسدك وُلد في أرض ماء لكن عقلك معطوبٌ بالصخر والرمال.. متهورة ومندفعة في كل شيء!

(نافجة): الماء يمكن أن يثور ويضرب ليحطم الصخر أيضًا..

(القيقبون): حتى لو قدمت لكِ العون فستبقين عدوة لي لا تنسي ذلك أبداً.

(نافجة): أنا لم آتِ هنا للصلح أو الشجار.. أتيت فقط لأطلب معروفاً..

(القيقبون): لا يمكنني قتل (الماران) إذا كان هذا ما تطلبينه.

(نافجة): ليس هو فقط من يطاردني الآن.. هو أستطيع التعامل معه ومع فرسانه.. لكن.. هناك شخصٌ آخر.. مجموعة بالأحرى.. تسمي نفسها بـ(الطائفة الجنتية).. أتيت لسؤالك إذا كنتِ تعرفينها.

تغير وجه (القيقبون) للتكدر ثم قالت: ولمَ تعبثين مع هؤلاء الناس ؟

(نافجة) : إذاً فأنتِ تعرفينهم ؟

(القيقبون) بقلقٍ ظاهر: هل دخلوا الجزيرة ؟

(نافجة): لقد قتلت أحدهم قبل حضوري لـ«اليمامة» بأيام.. أتى في أثري وكان عازماً على قتلي.. لكن لا أعرف إن كان هناك غيرهم على أرضنا الآن.

(القيقبون) بغضبٍ وسخط شديد: قتلتِه ؟!.. ولمَ فعلتِ ذلك ؟!

(نافجة) بعصبية: ما بكِ أيتها العجوز الخرفة ؟!.. لقد حاول هو قتلي!.. هل كنتِ تريدين مني أن أطأطئ له رأسي ليفصله كما فصلتِ رأس تاجر الجلود النائم في قدرك ؟!

صمتت (القيقبون) وبدأت تحاول جمع شتات عقلها الذي تبعثر بخبر وجود أحد أفراد الطائفة الجنتية بالقرب من «اليمامة»..

(نافجة) في محاولة لاستيعاب الحالة التي كانت عليها (القيقبون): ما بكِ ؟.. لِمَ كل هذا القلق البادي على وجهك ؟.. لقد قتلته وانتهى أمره!

(القيقبون) بنبرة متوترة: هل قال شيئاً قبل موته ؟

(نافجة) مستذكرة: نعم.. قال «سوف يأتي غيري.. الكثير غيري.. ولن نتوقف حتى تهلكي يا عربية..»

(القيقبون) متنفسة الصعداء: أرحتِ قلبي..

(نافجة) والعجب لا يزال يعلو وجهها: تجزعين لظهور فردٍ منهم وتطمئنين بخبر قدوم المزيد ؟.. أي نوعٍ من الأعشاب تتناولين لتصلي لتلك الحالة من الجنون ؟!

(القيقبون): جحافل منهم تأتي في أثر واحدٍ منا خيرٌ بألف مرة من أن يأتي واحد منهم في أثرنا جميعاً.. كلامه أراحني لأنه تبين لي أنها مهمة اغتيال خاصة بكِ لا أكثر وأنهم سيخرجون من الجزيرة حال تنفيذها.

(نافجة): اغتيال ؟.. ولمَ يريدون اغتيالي ؟

(القيقبون): غالباً ليسوا هم.. هناك من استأجرهم لقتلك لكن ما يثير عجبي هو أي نوع من الأثمان يمكن أن يُجند «الطائفة الجنتية» بكامل قوتها.. لا بد وأنه ثمن كبير وعظيم جدّاً!



(نافجة): الوحيد الذي يريد موتي ويملك مثل تلك الأموال هو (الماران) لا بد وأنه هو من قام بتجنيدهم.

(القيقبون): أصبتِ في واحدة فقط يا ابنة النخيل..

(نافجة): ماذا تقصدين ؟

(القيقبون): لا جدال أن الماران هو من استأجرهم لكن أموال الدنيا لا تغري أتباع الطائفة الجنتية.. لا بد وأنه عرض عليهم شيئاً آخر.. شيئاً ثميناً جدّاً شيئاً لا يمكنهم الحصول عليه بسهولة إلا من خلاله..

(نافجة): مثل ماذا ؟

(القيقبون): أظن أنه علمٌ من العلوم فهذا هو شغفهم فهم لا يمتهنون السحر لكن قواهم خارقة ومخيفة.

(نافجة): نعم قال لي هذا قبل أن أقتله..

(القيقبون) مبتسمة بشيء من التحسر: إذاً فنهايتك لن تكون على يدي.. كنت أظن أن دم العرجاء لن يريقه غيري!

(نافجة): لن يريق دمي أحد.. لا أنتِ ولا غيرك.. لقد قتلت ذلك

القاتل المأجور بكل يسر وسهولة وسأقتل كل من سيأتي بعده إذا لزم الأمر حتى أبيدهم جميعاً.

(القيقبون): لقد قلتِ إنكِ أتيتِ بحثاً عن علمٍ يعينك عليهم.

(نافجة): نعم لهذا أتيت..

(القيقبون): سأشاركك ما أعرفه عن هذه الطائفة المجهولة لعله يكون عوناً لكِ.

(نافجة) باستغراب واستنكار: أسمع نبرة الحزن في كلامك.. هل أنتِ حزينة على حالي ؟

(القيقبون): لا أعرف.. ربما يقيني من اقتراب نهايتك جعلني أشعر بأن إحدى الشوكات المغروسة في خاصرة أعدائنا ستكسر.. شوكة كبيرة أوجعتهم لسنين.. سأقدم كل ما عندي لمنع أو على الأقل تأخير ذلك اليوم قدر المستطاع..

(نافجة): تكرهينني وتريدين موتي وعندما اقترب تحقيق ذلك لكِ ترثين مصيري وتحزنين على حالي وفوق هذا ستساعدينني أيضاً.. أي جنون هذا ؟!



(القيقبون): أنتِ قلتها بلسانك.. غيرتنا تجعل دماءنا غالية علينا ونحن فقط من يملك حق إراقتها.. أم أنكِ نسيتِ كلامكِ يا ابنة النخيل ؟

(نافجة) مبتسمة: لا.. لم أنسَ يا عجوز القدر..



الضوء المُحرق

حكت (القيقبون) لـ(نافجة) ما تعرفه عن تاريخ الطائفة الجنتية وبالرغم من أن تاريخ هذه المجموعة غامض وشبه مجهول إلا أن اختيار العرجاء لزعيمة سحرة «اليمامة» كان موفقاً فقد كانت تعرف الكثير عنهم وعن بداياتهم.

بدأت (القيقبون) بالحديث عن مدى توغلهم في بعض البلدان دون غيرها مثل «أرض السند» و«فارس» وبعضٍ أطراف «بلاد الشام»، لكنهم لم يجدوا في الجزيرة مكاناً ملائماً لهم لأنهم يحبون التجمعات البشرية في المدن الكبيرة ومدن الجزيرة لم تغرِهم كثيراً ليستقروا فيها، لكنهم وبلا شك يستخدمون أراضيها للسفر والتجوال بين البلدان ومن وقتٍ لآخر يأتون لأهداف محددة فقط ويعودون أدراجهم بعد تحقيقها.



ذكرت كذلك أنهم فرقة كبيرة بأعداد هائلة من التابعين المنتشرين في أرجاء المعمورة ولا أرضَ محددة تضمهم وتحتويهم، فالحزبية والتبعية لسيدهم الكبير وتعاليمه والخنوع تحت رايته هي الشيء الوحيد الذي يجمعهم فقط. ومن خلالهم كان ذلك القائد يستمد نفوذه وتأثيره وتدريجيًّا وصل لأجزاء وشخصيات مهمة في معظم البلدان. الطائفة الجنتية لا تتبع نظام الطبقية في القيادة لكنها تقسم أتباعها لمجموعات حسب الغرض منها وجميعهم يأتمرون للقائد الأعلى المجهول الاسم والمكان.

هناك ثلاث فرق رئيسة في هذه الطائفة. «العلماء» وهم كالكهنة.. «القتلة» وهم الموكلون بالمهام الصعبة والتي تتطلب عنفًا وإراقة للدماء.. «المستسقون» وهم منتشرون في كل بلد حتى الجزيرة ومهمتهم البحث عن من يملك الصفات المؤهلة للالتحاق بالطائفة ليتم تجنيده ولو بالقوة، وفوقهم جميعاً يقبع القائد الكبير وثلاثة من أعوانه فهو أشبه بالحاكم مع وزرائه وهؤلاء الثلاثة هم من يتواصلون مع الفرق الأخرى أما القائد الكبير فلا أحد يراه أو يسمعه ومعظم أفراد الطائفة لم يلتقوا به قط أو يأخذوا منه أوامر



مباشرة لدرجة أن البعض شك بأنه قد مات منذ زمن طويل وأن الوزراء هم من يتحكمون بالطائفة ليحموها من الانهيار.

(نافجة): وهل تعرفين شيئاً عن أعوانه الثلاثة هؤلاء ؟

(القيقبون): أعلاهم رتبة متنور يُدعى (آغ) ويقيم في «السند» حسب الروايات المتناقلة وهو المسؤول عن طبقة المتنورين أصحاب العلم والهالات القوية.

(نافجة): والوزير الثاني ؟

(القيقبون): يلقب بـ(روشني) وهو كالسفير الذي يقوم بمهام القائد الكبير خارج حدود مكان إقامته المجهول، وتوكل إليه أيضاً مهام مناقشة أي صفقة تُعرض على المتنورين أو أي أحد يطلب خدماتهم مثل الاغتيالات في الطبقات الملكية أو سرقة المقتنيات الثمينة والمحروسة بقوة والكثير الكثير من المهام التي لا يستطيع تنفيذها غيرهم، ومن ضمن مسؤولياته أيضاً التنسيق مع الموكلين بالبحث وتجنيد متنورين جدد بناءً على طاقاتهم ومدى إمكانية تحريرها لتعود بالفائدة على الطائفة. فعلى حسب الطاقة المحررة يتم تجنيد الفرد الجديد في إحدى الفرق الثلاث التي ذكرتها لكِ سابقاً.

(نافجة): إذاً فعلى الأرجح هو من قام بمناقشة تفاصيل اغتيالي ويعرف من يريد قتلي وما هو المقابل..

(القيقبون): لا شك في هذا فهو أكثر الوزراء تفاعلاً مع العالم الخارجي لكن هذا الوزير ليس الشخص الذي يجب أن يشغل تفكيرك الآن.

(نافجة): من غيره إذاً يستوجب ذلك ؟

(القيقبون): الوزير الثالث والأخطر بين المجموعة.. (فايو).. زعيم فرقة القتلة التابعين للطائفة الجنتية.. هو وفرقته من يلاحقونك الآن وهم من يجب أن تقلقي بشأنهم.

(نافجة): كلامك هذا كان ليوترني لو لم أنحر أحدهم بكل سهولة.. هم في النهاية بشر وينزفون مثلنا.

(القيقبون): أريد أن أسألك عن أمرٍ ما بشأن من قتلتِه منهم..

(نافجة): اسألي ما تشائين..

(القيقبون): كم نجمة كانت موشومة على وجنته ؟

(نافجة) باستغراب: جسده كله امتلأ بالوشوم لا أذكر إن كان بينها نجوم.



(القيقبون): أتحدث عن وجهه.. وجنتيه تحديداً.. لا يهمني إن كان جسده مغطى بالسواد الكامل.. وجهه.. حاولي التذكر..

(نافجة): لا أحتاج للمحاولة.. لقد حدقت بوجهه بوضوح عندما انتزعت قلبه وكان خالياً من الوشوم تماماً.

(القيقبون) ماسحة على قدرها مغمضة عينيها بابتسامة تشوبها بعض الحسرة: أنتِ لم تقتلي متنوراً مُنصباً.. على الأرجح كان قتلك اختبار تنصيبه ليروا مدى قوتك.. عاصفة القتلة لم تبدأ وتعصف بكِ بعد!

(نافجة): أوضحي أكثر يا عجوز القدر..

(القيقبون) فاتحة عينيها: فرقة القتلة التي يرأسها (فايو) لها تصنيفات صارمة تعطي كل قاتل مرتبة معينة حسب قوته وخبرته وعدد القتلى في تاريخه وكذلك عدد المهام الصعبة والمستحيلة التي حققها، وفي كل مرة يحقق أحدهم شيئاً يستحق الثناء يتم وشم نجمة صغيرة على وجنته. أعلى مرتبة يمكن الوصول إليها هي خمس عشرة نجمة ولا أحد منهم وشم بها سوى (فايو) لذا هو قائدهم.

(نافجة): إذاً الرجل الذي قتلته..



(القيقبون) مقاطعة (نافجة): متدرب يريد الحصول على نجمته الأولى وهم كثير بين صفوف فرقة القتلة غير المصنفين.

(نافجة): وكم عدد المصنفين ؟

(القيقبون): أخبار هذه الفرقة وأتباعها مجهولة وليست دقيقة لكن الأكيد أنهم بالعشرات.. ربما المئات لست واثقة..

(نافجة) محدثة نفسها بشيء من القلق: وكل هؤلاء هدفهم قتلي الآن..

(القيقبون): هل عرفتِ الآن سبب فقداني الثقة من نجاتك.. هؤلاء قوم امتهنوا القتل وكرسوا حياتهم لأجله ورأسك اليوم بات مطلبهم.

(نافجة): هل لديكِ كلام محبط آخر قبل أن أرحل ؟

(القيقبون): إلى أين سترحلين ؟.. هل ستعودين لـ«هجر» ؟

(نافجة): لا.. سوف أعرض بذلك بناتي وأطفالهن للخطر لو عدت لهنّ.. لا أستطيع العودة قبل أن يتوقف من يلاحقني عن مطاردتي..

(القيقبون): ألم تجدي حلًّا خلال حديثنا ؟

(نافجة): أتيتك لأرى بصيص نور ولم تقدمي لي سوى ظلمة كوجهك وقلبك.. سأبحث عن حل لهذا المأزق بطريقة أو أخرى.

(القيقبون) مبتسمة: الخسوف وإن طال يتبعه نور..

(نافجة): أنا أنتظر يا عجوز القدر..

(القيقبون): قد يكون الجنتيون طائفة قوية وبلغت مبلغاً كبيراً من العلم والقوة لكن تاريخهم لا يشكل حبة رمل في بحر تاريخنا العظيم.. تاريخ العرب حافل بما هو ند لهؤلاء المعتدين.

(نافجة): أنا منصتة..

(القيقبون): هؤلاء القتلة لا يستخدمون السحر بل شيئاً آخر نذروا أنفسهم له ويؤمنون به وهو أساس عقيدتهم.. الطاقة النورية.

(نافجة): لماذا ؟

(القيقبون): هم يؤمنون بأن بعض البشر يملكون طاقات هائلة مكبوتة في دواخلهم.. طاقة تمنحهم قدرات هائلة تفوق أي ساحر وهم ليسوا سواء في مراحل السمو بطاقاتهم الداخلية بعضهم لا يزال في بداياته والبعض الآخر وصل لمراحل متقدمة لا يمكن حتى تخيل مداها!



(نافجة): أنتِ أعلم بقدراتي من غيرك.. هل سأتمكن من ردعهم ؟

(القيقبون): وحدك لن تملكي فرصة عندما تواجهين أحد القتلة المصنفين لكن إذا استعنتِ بما نملكه من تاريخ عريق في السحر فقد ترجح كفتك لبعض الوقت.

(نافجة): بعض الوقت للقيام بماذا ؟

(القيقبون): للهرب.. للهجرة بعيداً عن أرض العرب لكن ولأني أعرف رأسك العنيد سأشير عليكِ بالاستعانة بأسياد المعرفة في أرضنا.. (شق) و(سطيح).. أحدهما يُسأل والآخر يجيب..

(نافجة): من هذان ؟

(القيقبون): صاحبا علم.. سيجيبانك عن أي سؤال تسألينهما إياه مهما كانت الإجابة في غياهب المجهول وهما لا يجيبان غير العرب.

(نافجة): وأين أجدهما ؟

(القيقبون): هنا ينتهي علمي.. (شق) و(سطيح) من المجاهيل وإيجادهما ليس بالأمر السهل وإلا لكان الناس يتوافدون عليهما من كل حدبٍ وصوب.

(نافجة): نورك لم يكن مفيداً لكنه بصيص أمل.. سأبحث عمن يدلني عليهما..

(القيقبون): لا ترمي بدلوك في بئر جافة.. ابحثي عنهما بنفسك فهما لا يخرجان من أرض العرب.. وتذكري يا ابنة النخيل أنكِ لست مضطرة للسير في هذا الدرب الموحش وحدك.. خاصة بتلك القدم المبتورة..

(نافجة): بقدمٍ أو قدمين طريقي لن يتغير..

(القيقبون): هذا لا يمنع أن الرفقة ستعينك.

(نافجة) بتهكم: هل تريدين مرافقتي ؟

(القيقبون) مبتسمة: لا .. لكن لدي مرافق سيفيدك في رحلتك..

(نافجة): لا أريد مرافقين.. سأقاوم هؤلاء الجنتيين مثلما قاومت غيرهم ولن أتوقف حتى أدفنهم جميعاً أو يدفنوني هم..

(القيقبون): أغلبنا تقبلوا أننا لسنا نداً لكل الغزاة.. اليعاقبة من الشمال والفرس من الشرق والخونة من بيننا.. الكثير آمنوا أن بلادنا أصبحت مباحة لكل غريب ولا مناص من ذلك.



(نافجة): عهد قطعته على نفسي ما دمت أتنفس بأنه لن يطأ الغرباء أرض أجدادي إلا ليفنوا ويدفنوا فيها..

(القيقبون): أنتِ بعشرة رجال يا عرجاء سأشهد لكِ بذلك..

(نافجة): هذه مذمة وليست مديحاً يا عجوز القدر.. وأنا فقط لست متخاذلة عن الدفاع عن أرضي مثلكِ.

(القيقبون): هذه أرضي مثلما هي أرضك.. ولستِ بأشد غيرة عليها مني.. لذا تابعي سيرافقك بالنيابة عني..

(نافجة): ومن يكون تابعك هذا ؟

(القيقبون) عاقدة أصابعها مبتسمة: تابعي هذا فريد من نوعه.. ستحبينه..

بعد ما انتهت (القيقبون) من تمتمة بعض الطلاسم خرج رجلٌ ببشرة زرقاء وأعين مكتحلة وشعرٍ أسود لُف بجديلة طويلة تجاوزت أسفل ظهره وعلى رقبته طوقٌ ذهبي كالقيد.. كان طويل القامة وعضلاته مفتولة بطريقة ممشوقة ومتناسقة ولم يكن يلبس سوى خرقة قصيرة حول خاصرته وكان يحدق أمامه دون النظر لأحد من الموجودين.

(نافجة) وهي مصدومة: هل هذا.. ؟!

(القيقبون) وهي تنهض وتمسح على صدر الرجل الأزرق المفتول العضلات باسمة: نعم.. جني أزرق.. أحد النوادر في زمننا هذا.. وبالرغم من صغر سنه إلا أنه يملك علماً غزيراً تراكم عبر السنين وسيكون ذا فائدة عظيمة لكِ..

(نافجة): ظننت أن عرقهم قد أبيد..

(القيقبون): صحيح.. لكن لا يزال بعضهم طليقاً في جبال فارس والبعض الآخر أسير لغرض التزاوج.. مثل البهائم.. صغيري هذا أنجبته جنية زرقاء في الأسر ولا يعرف معنى الحرية.. كان ثمنه باهظاً جدّاً..

(نافجة): كم دفعتِ مقابل الحصول عليه ؟

(القيقبون) ضاحكة: ولا فلسًا.. قتلت صاحبه وسرقته منه!

(نافجة) محدثة نفسها: عجوز خرفة..

(القيقبون): خذيه يا ابنة النخيل.. خذيه..

(نافجة): ولِمَ تساعدينني وتقدمينه لي ؟.. من الواضح أنه أحد أهم وأثمن مقتنياتك..



(القيقبون): أخبرتك سابقاً.. لستِ الوحيدة التي تغلي دماؤها غضباً مما يحدث في أرضنا.. اعتبريها مساهمتي البسيطة في تحقيق هدفنا جميعًا وهو طرد الدخلاء أو على أقل تقدير التقليل من توغلهم.. موتك وإن كان غايتي منذ سنين لن يعود علي بالفائدة يا أختي عندما تستباح أراضينا..

(نافجة) وهي تمعن النظر بجسد الجني الأزرق وتتفحصه من قمة رأسه لأخمص قدميه: حتى لو قبلت بهذا العبد الأسير فأنا لم أتعامل مع الجن الأزرق من قبل وهو في النهاية من أصول فارسية وهذا الأمر غير مريح لي ولن أتمكن من الوثوق به!

(القيقبون) وهي تهز صدر الجني الأزرق بكفها ضاحكة وتعاود الجلوس أمام قدرها الأسود: يجب أن تحاولي فتح قلبك المتحجر لغير العرب من وقتٍ لآخر يا عرجاء..

(نافجة) وهي لا تزال تحدق بالجني الأزرق المحدق بالجدار: الجميع يملكون فرصة دخول قلبي إلا الفرس.

(القيقبون) بتهكم: هل يعني هذا أن شعب اليعاقبة يملك فرصة ؟



(نافجة) ملتفتة إليها بتجهم وبنبرة ساخطة: لا تكثري الكلام يا عجوز!

(القيقبون): على أي حال التعامل معه لا يستلزم ثقة، هو لا يختلف عن العبيد فهو مسير وليس مخيراً ومجبول على السمع والطاعة سواء تماشى ذلك مع رغبته أم لا وإذا رغبتِ أنتِ في التخلص منه في أي وقت فالأمر سهل ولا يتطلب سوى كلمة تنطقينها.

(نافجة): كيف ؟.. وما هي تلك الكلمة ؟

(القيقبون) وهي تشير للطوق الذهبي حول عنق الجني الأزرق:

هذه الأسورة الذهبية حول عنقه هي قيده وستملكين خيار فتحها لتحريره أو إغلاقها لخنقه وقتله.. فقط قولي « أنا أحررك» أو « أنا أنهي حياتك» والأسورة ستنفذ أمرك وهو في أي مكان.. لكن أنصحك بقتله عوضاً عن تحريره لأنكِ لن تتمكني من التحكم بتصرفاته بعدها، ولا شك أن مع علمه المتراكم تراكم الكثير من السخط لمستعبديه.. وهنالك خيارٌ ثالث وهو أن تهبيه لغيرك مثلما أهبه لكِ الآن.

صمتت (نافجة) وهي تنظر لذلك الجني الأزرق وقلبها لا يزال غير مرتاح لاصطحابه معها لكنها في النهاية استجابت لنصيحة (القيقبون) فهي بالفعل تحتاج من يعاونها في رحلتها الشاقة لمقاومة الجنتيين وَوجود جني أزرق معها سيعود عليها بفائدة كبيرة.

ابتسمت (القيقبون) عندما رأت العرجاء تهز رأسه بالموافقة على اصطحاب الجني الأزرق معها فأدارت رأسها موجهة نظرها وكلامها للجني الأزرق:.. (زمجد) هذه المرأة ستكون سيدتك الجديدة اخدمها كما خدمتني..

(زمجد) حانياً رأسه بالموافقة وبلغة فارسية: أمرك..

(نافجة) بتجهم شديد: أخبريه أن لا يتحدث بهذه اللغة النجسة أمامي!

(القيقبون) ضاحكة: أنا لست سيدته الآن.. أخبريه أنتِ!

تقدمت (نافجة) بضع خطوات بعكازها إلى أن أصبحت أمامه وحدقت بوجهه وقالت بنبرةٍ غاضبة: تحدث بالعربية فقط!.. أم أنك لا تجيد لغة أسيادك ؟!



(زمجد) بالعربية: أجيدها يا سيدتي..

(نافجة): هي لسانك منذ الآن وصاعداً.. فهمت ؟!

(زمجد): أمرك..

همت (نافجة) بالرحيل والخروج من المكان فتبعها الجني الأزرق بمظهره اللافت للأنظار لكنها استدارت وقالت له: اتخذ هيئة بشرية بلباس وهيئة عربية واخرج وجهز فرسي للرحيل..

نفذ (زمجد) أوامر (نافجة) و(القيقبون) تراقب ما يحدث بابتسامة رضا وهي تقول: أخبرتك بأنه مفيد..

(نافجة): ممتنة لما قدمتِه لي..

(القيقبون): امتنانك سأحصل عليه عندما يصلني خبر قتلهم جميعاً.. بعد ما تُدحر الطائفة الجنتية وتعود خائبة من حيث أتت..

(نافجة): ألم تقولي بأن مقاومة الطائفة الجنتية أمرٌ مستحيل..

(القيقبون): بلى، لكن للتو أدركت من حديثك مع (زمجد) لِمَ لم أتمكن من هزيمتك طيلة تلك السنين الماضية.. أنتِ روح العرب وقلبهم النابض وروحنا لا تُقهر ولا تموت حتى وإن كانت تعرج..



أريهم ماذا يحل بمن يعبث بأبناء الصحراء.. أذيقيهم جحيم عزتنا ونار كرامتنا المحرقة يا ابنة النخيل.. أحرقيهم جميعاً ولا تذري منهم سوى الرماد..

ابتسمت (نافجة) قبل أن تبدأ بالعكز خارج منزل (القيقبون) متوجهة نحو فرسها التي وقف (زمجد) بجانبها ممسكاً بلجامها منتظراً أوامر سيدته الجديدة..





شرف القبيلة

ربطت العرجاء عكازها كما اعتادت في لجام (الغبساء) فمد (زبجد) يده في إشارة منه أنه يمكنه حمل العكاز عنها لكنها رفضت بتجهم قائلة: «لست عاجزة كي تعرض مساعدتك هذه!». قبل أن تمتطي (نافجة) فرسها وجهت نظرها حيث كان بائع اللبن فلم تَرَه فحلت ربطة العكاز وبدأت بالعكز نحو المكان الذي وقف فيه سابقاً يعرض لبن ناقته للبيع، فتبعها الجني الأزرق بصمت وهو يقود (الغبساء) خلفه وعندما وصلت لم ترَ سوى وعاء الحليب ملقى ومحتواه مسكوب فبدأت تمعن النظر في الجدار أمامها محدثة نفسها: «أين ذهب ؟».

لم تستطع (نافجة) الرحيل لأنها متيقنة من أن ذلك البائع لم يكن ليرحل بخاطره وبقيت سارحة في الجدار حتى لمحت بعض قطرات



الدماء أسفله فانحنت ومدت إصبعها ومسحت على إحداها وأخذت تفركها بإبهامها وسبابتها تتفحصها بأعينها مستغربة ثم قالت لـ(زمجد):

هل تستطيع إيجاد صاحب هذه الدماء يا فارسي ؟

(زمجد): الدم أثر قوي ويمكنني إيجاده بسهولة.

(نافجة) وهي تستقيم من انحنائها معتمدة على عكازها: ماذا تنتظر إذاً ؟

(زمجد): لقد وجدته..

(نافجة): وجدت ماذا ؟.. أنت لم تتحرك من مكانك!

(زمجد): خلال ارتداد طرفك ذهبت وعدت!

(نافجة) تبتسم قائلة: قد الطريق إذاً..

تقدم الجني الأزرق ولجام الفرس لا يزال في قبضته والعرجاء تسير خلفه واستمر سيرهم لدقائق بين بعض المنازل والممرات إلى أن توقف (زمجد) ورفع سبابته قائلاً: صاحب الدم هناك..

وجهت (نافجة) نظرها حيث كان يشير الجني الأزرق وصدمت

عندما رأت الرجل ملقى على الأرض وعلى وجهه الدامي آثار ضرب عنيف غيرت ملامحه. بدأت تعكز على عجالة نحوه حتى رمت بعكازها ونزلت عند رأسه وحملته ووضعته على حجرها وبقلقٍ شديد قالت: ماذا حل بك ؟ من فعل بك هذا ؟

(بائع اللبن) مبتسماً رغم ألمه وحالته المريرة: سجال بسيط يحدث من وقت لآخر مع بائعي اللبن.

(نافجة): أي نوع من بائعي اللبن يرتكبون مثل هذا الجرم ؟!

(بائع اللبن) بأعين متورمة: الخطأ يقع علي.. لقد حذروني أكثر من مرة من بيع اللبن بثمنٍ أرخص من الذي حدده تجار اللبن الكبار.

(نافجة): أين ناقتك ؟

(بائع اللبن): أخذوها كعِوض..

(نافجة) وقد بدأت تستاء مما تسمع: عوض عن ماذا ؟!

(بائع اللبن): عن خرق قانون تجار اللبن.

(نافجة): هل تجار اللبن هؤلاء من (اليعاقبة) ؟

(بائع اللبن): وهل هناك غيرهم يمسك بمفاتيح التجارة بـ«اليمامة» ؟

أخرجت (نافجة) صرة قماشية ووضعتها على صدر الرجل:

خذ هذا المال وابتع لك ناقة أخرى واستخدم ما تبقى للعناية بجروحك عند المطبب..

(بائع اللبن): لكن.. تلك الناقة لن أجد مثلها.

(نافجة): بهذا المال يمكن أن تشتري أفضل منها!

(بائع اللبن): لن أجد مثلها صدقيني.

فهمت (نافجة) مقصد الرجل وهو أن علاقته بناقته مثل علاقة الكثير من العرب مع بهائمهم ودوابهم فهي تتعدى المنفعة لتصل لمرحلة العشرة وهذا تمامًا ما كان يربطها بفرسها (الغبساء) لذا قالت: سأعيدها لك..

(بائع اللبن) بنبرة حزينة: ما يأخذه اليعاقبة لا يعود أبداً..

(نافجة): سيعود.. سيعود كل شيء..أعدك بذلك..

صمت الرجل لثوانٍ ثم قال بوجه متورم وباسم: يبدو أن حليبها قد أعجبك بحق..

ابتسمت العرجاء لكن ما أن وقفت حتى تحولت ابتسامتها لتجهمٍ

نحيف وبدأت بالعكز نحو السوق والجني الأزرق خلفها مع فرسها.

وصلت (نافجة) للسوق ولم يكن من الصعب إيجاد تجمع محتكري تجارة اللبن فدكاكينهم واضحة ومعروفة وجرار اللبن الكبيرة المعروضة أمام محلاتهم واضحة للعيان والزبائن.

وقفت العرجاء عند أكبر تلك المحلات ولم تكن مفاجأة عندما رأت ناقة الرجل مربوطة مع بقية البهائم بجانب المحل فتحدث معها أحد الباعة الذين انتشروا في المكان الكبير بنبرة فيها بعض التحقير:

«ماذا تريدين يا امرأة ؟»

لم ترد (نافجة) عليه وبقيت تجول بنظرها حتى حددت مكان المسؤول الكبير عن المكان وقد كان مجتمعاً مع مجموعة من الرجال المسلحين يتحدث معهم وكان من الواضح أنه ومن معه من المسلحين ليسوا عرباً وأنهم حراسه الخاصون، فبدأت بالعكز نحوه حتى وقفت أمامه وعندما انتبه التاجر لوجودها ورأى أنها تحدق به بأعين تكاد تنفجر غيظاً قال:

«نحن لا نقدم شيئاً للمتسولات..»

(نافجة) متمالكة غيظها كي لا تحدث جلبة في المكان: تلك الناقة ذات الرباط الأحمر.. تخص أخي.. أعدها إليه.

(التاجر): وأي بطنٍ فاسدة أنجبتكما وقادتكما إلي كي تلفقا لي التُّهم ؟!

(نافجة) وهي تجز على أسنانها غضباً وتحاول كظم غيظها:

ليس من المروءة أن تعيب شخصًا بأمه..

لم يعر التاجر كلامها أي اهتمام وأشار لبعض الباعة في محله لإبعادها من أمامه. ما أن وضع أحدهم يده على كتفها حتى ضربته بسرعة خاطفة برأس عكازها أسقطته على أثرها أرضاً وعاودت السؤال:

«ناقة أخي.. سلمها لي..»

التفت التاجر على المسلحين المرافقين له وأشار لهم بقتلها..

كان المسلحون خمسة بأجساد ضخمة لذا لم يتقدم سوى واحدٍ منهم نحو (نافجة) رافعاً سيفه وقبل أن ينزله عليها وجده مغروساً في عنقه بعد ما خطفته من يده بسرعة البرق وطعنته به. عندما شاهد بقية المسلحين ذلك المنظر والدم الفائر من عنق صاحبهم اندفعوا



جميعاً نحوها شاهرين سيوفهم لكنها كانت مسألة وقت قبل أن تقطع العرجاء أوصالهم جميعاً رامية السيف المبتل بدمائهم على جثثهم الملقاة بينها وبين التاجر لتعاود السؤال مرة أخرى بهدوء:

«الناقة ذات الرباط الأحمر.. سلمها لي في الحال قبل أن أغضب..»

أصيب التاجر بالرعب مما رآه وبدأ يصرخ بأعلى صوته مسمعاً كل من في السوق:

«نحن هنا تجار المدينة وهذه السوق لنا ولا يحق لكِ الاعتداء علينا!»

نفد صبر العرجاء من مماطلات التاجر اليعقوبي وصرخت في (زمجد) ليقترب منها ففعل وقالت له:

«أعد الناقة لصاحبها وعد هنا..»

(زمجد): والفرس ؟

(نافجة): خذها معك..

(زمجد) حانيًا رأسه: أمرك.

نفذ الجني الأزرق أمر العرجاء والتاجر يراقبه ويصرخ مستنجداً بالحراس المنتشرين في السوق وبعد رحيل (زمجد) حضر مجموعة

منهم ودخلوا الدكان وأحاطوا بها وقالوا للتاجر: ما الأمر ؟!

(التاجر) باستضعاف ودموع التماسيح تنهمر من عينيه: هذه المجرمة قتلت رجالي وسرقت ناقتي!.. نحن هنا للتجارة بسلام كيف تسمحون لهذا بأن يحدث ؟!

(أحد الجنود): هل تقصد أن هذه المرأة المسنة الفاقدة لقدمها أطاحت بهؤلاء الرجال العتاة ؟.. هل أنت أحمق ؟

(التاجر) صارخاً في الجنود بسخط: اقبضوا عليها وإلا شكوتكم أنتم أيضاً!

(الجندي) لـ(نافجة): المعذرة يا عمة يجب أن تأتي معنا..

(نافجة) لا بأس يا أخي سوف أرافقكم لكن أريد أخذ شيء قبل أن أرحل.

(الجندي): ما هو ؟

رفعت (نافجة) كفها وبسطته في وجه التاجر قائلة: بصر هذا النجس..

غطى التاجر عينيه لألمٍ أصابه فجأة وأخذ يصرخ:

لقد فقدت بصري!.. لقد فقدت بصري!

شد الجندي ذراع (نافجة) بقوة عندما رأى ما حدث ونهرها: ماذا فعلتِ!

(نافجة): ما كان يجب أن تفعلوه أنتم منذ زمنٍ طويل..

انتفض الجندي بعدها وخرَّ على الأرض مغشياً عليه مما أرهب بقية الجنود الذين تنحوا عن طريق (نافجة) وهي تعكز مبتعدة عن المكان. خلال سيرها بدأت تسمع أصواتًا تتجمهر خلفها فعلمت أن الجنود قد أحضروا المزيد من التعزيزات للقبض عليها، وقبل أن يصلوا إليها رأت في الأفق (زعجد) وهو عائد مع (الغبساء) فأشارت له بالتقدم نحوها بشكلٍ أسرع وعندما وقف أمامها قال: هل تأمرينني بشيء يا سيدتي ؟

(نافجة) وهي ترمق مجموعة الجنود المقتربين خلفها وموجهة كلامها للجني الأزرق: هل يمكنك إخراجنا من هنا قبل أن يصل هؤلاء الجنود إلينا ؟

(زعجد): نعم بلا شك.. إلى أين تريدين الذهاب ؟



(نافجة) معيدة نظرها نحو الجني الأزرق: خارج «اليمامة» مسيرة يوم شمالاً..

وفي لمح البصر وجدت (نافجة) نفسها في صحراء مفتوحة ومن حولها مجموعة الكثبان الرملية والهدوء يعم المكان ولم يُسمع سوى عزيف الرياح وهي تداعب تلك الهضاب وبجانبها (الغبساء) و(زمجد) ممسكًا بلجامها فتبسمت قائلة:

«أحسنت صُنعًا أيها الفارسي البغيض..»

(زمجد): هل تأمرين بشيء آخر يا سيدتي ؟

(نافجة): هل تعرف مكان (شق) و(سطيح) ؟

(زمجد): أعرف عنهما لكن لا أعرف مكانهما..

(نافجة): لا حاجة لي بك الآن إذاً..

امتطت العرجاء فرسها وأشارت للجني الأزرق بأن يسير بها شمالاً. سار الجني وهو ممسكٌ بلجام الفرس فأنزلت (نافجة) خمارها وأسندت رأسها لعنق (الغبساء) في محاولة لأخذ قسط من الراحة. لم يمضِ وقتٌ طويل قبل أن تتعكر غفوتها بأصوات عراك واشتباك



عنيف بالسيوف. رفعت رأسها وأزالت الخمار عن وجهها ووجهت أنظارها نحو مصدر الصوت فرأت في الأفق القريب على يمينها فتاة بشعر أسود طويل ولباسٍ أحمر ووشم مميز على أنفها ومثله على زندها الأيمن تتعارك مع خمسة رجال بالسيوف.

(نافجة) لـ(زمجد) وهي تراقب الصراع المحتدم: منذ متى وهم يتعاركون معها ؟

(زمجد) مديراً نظره للمعركة خلال سيره: مدة ليست طويلة فيما يبدو.. ستموت قريباً بلا شك!

(نافجة) تبتسم خلال استمتاعها بمهارة الفتاة في الدفاع عن نفسها وتقول:

إنها الهجدانية».. وشومها تشير لذلك وبنات «هجدان» قويات وفارسات بالفطرة.. لا أظنهم سيتمكنون منها بسهولة.. توقف يا فارسي عن السير..

(زمجد) وهو يتوقف: لِمَ ؟.. هل سنساعدها ؟

(نافجة): لا.. لكن أنا أتساءل لِمَ هي تقاتل رجالًا من أبناء قبيلتها ؟..

هذا أمر غريب والأغرب أنهم يقاتلون بطريقة وكأنهم عازمون على قتلها!

(زمجد): وما الغريب في ذلك ؟.. ربما تكون خائنة لقبيلتها.

(نافجة): هذا أمرٌ لن تفهمه أيها الفارسي.. لا شيء يدفع القبيلة لقتل بناتها سوى الشرف.. حتى الخيانة يمكن تجاوزها أحياناً.

(زمجد): إذاً فهي ستقتل بسبب الشرف..

(نافجة) وعيناها تراقبان الفتاة وقد قتلت اثنين من الرجال المحاصرين لها:

بنات قبيلة «هجدان» يقتلن أنفسهنَّ قبل تلطيخ اسم القبيلة.. هناك سبب آخر أنا واثقة من ذلك.

بعد مراقبة قصيرة قُتل فيها جميع الرجال عدا واحداً كان صامداً في العراك ومستبسلاً في مقاومة الفتاة التي بدا عليها الإرهاق و(نافجة) تراقب ما يحدث باهتمامٍ شديد. بدأ الجني الأزرق يحرك جديلة شعره بطريقة دائرية غريبة فالتفتت العرجاء عليه قائلة:

«ماذا تفعل أيها الأحمق ؟!»

(زمجد): عندما يكون لدي سؤال وأكون مأمورًا بالصمت أحرك جديلتي كي يسمح لي بالكلام.. هذا ما كنت أفعله مع سيدة (قيقبون).

(نافجة): لا تفعل ذلك وتكلم وقتما تشاء.. ما تفعله مزعج ولافت للنظر!

(زمجد): أمرك..

(نافجة): ما هو سؤالك ؟

(زمجد): هل ستكتفين بالنظر لهذه الفتاة فقط ؟

(نافجة): ماذا تقصد ؟

(زمجد): سير المعركة لا يسير في مصلحتها فالفارس الأخير سيُجهز عليها وستقضي نحبها تحت نصل سيفه بلا شك.

(نافجة): مساعدتها ستكون إهانة لها.. إما أن تنتصر وحدها أو تموت بكرامة

(زمجد): هناك خيار آخر..

(نافجة) مبتسمة: حسناً.. لكن لا تدعها تراك.

(زمجد) قبل أن يختفي بسرعة: لن تراني..

تدخل الجني الأزرق في العراك وقلبه لمصلحة الفتاة بأن قوض حركة الفارس لتتمكن هي من طعنه بسهولة ليعود بالسرعة نفسها مكانه عند فرس العرجاء.

(نافجة) وأعينها على الفتاة المنتشية بنصرها: هيا بنا لنكمل سيرنا..

(زمجد): ألن تتحدثي معها ؟

(نافجة) مغطية رأسها بخمارها: لا.. كنت فقط أريد أن أستمتع بقتالها الجسور.. أكمل المسير..

أمسك الجني الأزرق بلجام (الغبساء) وأكمل سيره شمالاً لكن لم يمضِ وقتٌ طويل حتى لحقت بهم الفتاة على ظهر جوادها الأسود وقبل أن تصل إليهم قال (زمجد) دون أن يلتفت للوراء: إنها تتبعنا!..

(نافجة) والخمار يغطي وجهها: أعرف.. تجاهلها..

وصلت الفتاة وهدأت من سرعة عدو جوادها وأخذت تسير بجانب (الغبساء) وتراقب (نافجة) المغطية لوجهها وبقيت تراقبها لثوانٍ بصمت ثم قالت: شكراً..

(نافجة) دون أن تلتفت عليها: على ماذا ؟

(الفتاة): على مساعدتي.. ذلك الفارس كان متفوقاً علي وما حدث له لم يكن مصادفة.. علمت هذا عندما رأيتك في الأفق.. أنتِ ساحرة أليس كذلك ؟

(نافجة) موجهة كلامها لـ(زمجد) مبتسمة: كنت أظنها لن تراك..

(زمجد): لم ترني بأعينها لكنها رأتني فيما يبدو بحواسها الأخرى!

(الفتاة): عمَّ تتحدثان ؟.. هل هو من ساعدني أم أنتِ ؟

(نافجة) رافعة خمارها عن وجهها: كان قتالك جيداً.. تذكرت نفسي عندما كنت في عمرك.

(الفتاة): القتال مع بهائم لا شرف فيه..

(نافجة): هؤلاء البهائم من قبيلتك نفسها.. لِمَ قتلتِهم ؟

(الفتاة) مبتسمة: عينك ثاقبة.. ماذا ترين أيضاً ؟

(نافجة): وشم زندك يشير إلى أنكِ من قبيلة (هجدان) ووشم أنفك يعني أنكِ ابنة لأحد شيوخها وقد هربتِ من القبيلة لسببٍ ما وهؤلاء الرجال أرسلوا خلفك لإعادتك ميتة لأن دمك أهدر..



(الفتاة) تنظر أمامها باسمة: كل هذا من وشمٍ بسيط.. ؟

(نافجة) تبستم وتغطي رأسها بالخمار مرة أخرى: عيناكِ حكتا أكثر..

(الفتاة): قبيلتي لا تريدني حية هذا لا شك فيه..

صمتت (نافجة) ولم تسألها عن شيء آخر لكن الفتاة بادرتها بالسؤال:

إلى أين أنتِ متوجهة.. ؟

(نافجة): شمالاً..

(الفتاة): هذه وجهتي أيضاً!

(نافجة): لأن قبيلتك إحدى قبائل الجنوب المعادية لمعظم قبائل الشمال ولن يفكروا باللحاق بكِ هناك..

(الفتاة) تعيد نظرها لـ(نافجة) بتعجب: أنتِ تملكين علماً غزيراً بالقبائل.. من أين أنتِ ؟

(نافجة): من أرض العرب..

(الفتاة): كلنا هنا من أرضها.. قصدت أي قبيلة ؟

(نافجة) مشيرة للجني الأزرق: هو ليس من أرضنا..

(الفتاة): من الواضح أنه عبد عندك.. الطوق على عنقه يشير إلى ذلك.

(نافجة) مبتسمة: بالتوفيق في مسعاك يا صبية..

(الفتاة): أنا (رافدة بنت شبيل بن مطنب الهجداني) وأرغب في مرافقتك.. إذا لم يكن لديكِ مانع.

قبل أن ترد (نافجة) توقفت (الغبساء) وبدأت تصهل وكأنها منزعجة من أمرٍ ما. حاول (زمجد) شد لجامها وتهدئتها لكن جواد (رافدة) أخذ يصهل هو الآخر وكان يتصرف بتوتر أكبر ويضرب بحوافره الأرض بطريقة غريبة.

(رافدة) وهي تحاول السيطرة على جوادها:

يبدو أن هناك أفعى في الجوار وهذا ما أثار دوابنا!

(نافجة) رافعة الخمار عن وجهها وموجهة كلامها لـ(زمجد) وأعينها القلقة تنظر أسفل فرسها: هل هناك أفاعٍ حولنا ؟

(زمجد): لا.. لكن هناك من يقترب من..

(رافدة) ممعنة النظر في الأفق: أين ؟.. لا أرى أحدًا!

(زمجد): لن تريه حتى يُظهر نفسه

(نافجة): هل هو.. ؟

(زمجد) مقاطعاً (نافجة): نعم يا سيدتي.. متنور.. وطاقته هائلة..

(رافدة): ماذا يقصد بمتنور ؟

(نافجة): هل تستطيع مقاومته ؟

(زمجد): سأحاول..

بدأت سحابة من الدخان الكثيف تحيط بهم من جميع الجوانب حتى غطت نور الشمس فوقهم ولم يبقَ من ضوئها إلا شيء يسير وكانت المسافة بينهم وبين الحزام الدخاني مسافة خمسين ذراعاً تقريباً، وبعد ما اكتملت سماكة الطوق الرمادي حولهم ظهرت من خلاله امرأة بأعين زرقاء متلثمة بلثامٍ أخضر ورباطين نحيلين باللون نفسه أحاط أحدهما بصدرها والآخر على خاصرتها وبقية جسدها كان مكشوفاً.

خلال سير تلك المرأة خرجت مخالب فضية طويلة لماعة من كلتا يديها وأخذت خطواتها تتسارع وهي تشق طريقها عبر الدخان السميك وأعينها على (نافجة).

انطلق (زمجد) نحو المرأة بسرعة وخلال اندفاعه غير هيئته وتحول لشكله السابق كجني أزرق لكن بجسد أضخم واشتبك معها غير أن مخالبها صدته وصعقته بقوة هائلة ومضت بنورٍ باهر في وجهه طرحته جانباً لتكمل تقدمها نحو العرجاء. نهض الجني الأزرق بسرعة مُخرجاً سلسلة ذهبية ضخمة من حلقه ليهجم عليها مجدداً من الخلف مما دفعها للالتفات نحوه والدخول معه في عراك محتدم.

(رافدة) تراقب ما يحدث وهي مفجوعة:

ما الذي يحدث ؟!.. من هذه ؟!.. ولمَ عبدك أصبح بهذا الشكل!

(نافجة) مترجلة عن فرسها ساحبة عكازها من لجامها محدقة بالمعركة أمامها:

ابقي مع الدواب ولا تفكري بالاقتراب..

(رافدة) وهي مشوشة ومرتبكة: إلى أين ؟!

(نافجة) وهي تعكز بسرعة نحو (زمجد) الآخذ بالتقهقر:

إلى قدري الذي لا مفر منه..

ألقت العرجاء طلسماً سريعاً لمنع تلك المرأة من توجيه ضربتها

الأخيرة لـ(زمجد) الذي نزل على ركبتيه مرهقاً من كم الضربات التي وُجهت له وبالرغم من قوة الطلسم إلا أنه لم يؤثر كثيراً عليها لكنه أعطى الجني الأزرق وقتاً كافياً للتنحي والابتعاد عن ضرباتها المتلاحقة. وقفت المرأة تحدق بـ(نافجة) لثوانٍ قبل أن تزيل لثامها الأخضر كاشفة عن ابتسامة عريضة ونجمتين موشومتين على خدها الأيسر قائلة بعربية ركيكة:

«لقد قطعت مسافة طويلة كي أجدكِ.. لنرى إن كنتِ قوية كما يُشاع..»

(نافجة) وهي عاقدة أصابعها: أنتِ من المتنورين.. ماذا تريدون مني؟

(الملثمة) تعيد لثامها على وجهها رافعة مخالبها الفضية أمامها: أن تموتي فقط..

انطلقت المرأة بسرعة نحو العرجاء التي تمتمت طلسماً سريعاً آخر ونفخت بين أصابعها ليخرج سيف كبير برأسين حادي الأنصال من الطرفين أمسكته بيد وباليد الأخرى حافظت على توازنها بعكازها، واشتبكت مع المتنورة التي قاتلت بضراوة وأخذت

تصرخ كالمجنونة خلال مهاجمة (نافجة) من جميع الجوانب محاولة توجيه طعنة قاتلة لها. لم يكن النزال سهلاً على العرجاء فتلك المرأة امتلكت سرعة خارقة ولم تتوقف عن توجيه الضربات المتتالية لها فقد أُجبرت العرجاء أن تكون مدافعة عن نفسها معظم الوقت بدل أن تبادر بالهجوم خاصة وأنها تقاتل بيدٍ واحدة.

استمر القتال الشرس فترة من الزمن حتى أحست (رافدة) التي تراقبهما من بعيد أنها يجب أن تتدخل لمساعدة (نافجة) لأن الملثمة تقاتل بلا هوادة ولم يظهر عليها أي أثر للتعب على عكس العرجاء التي أُرهقت من القتال، فترجلت عن جوادها وسحبت سيفها من غمده المربوط خلف ظهرها وجرت مسرعة شاهرة سيفها في نية لطَعن الملثمة. لم تتمكن (رافدة) من بلوغ المرأة الملثمة لأن الأخرى التفتت إليها وصعقتها بتيار أبيض كالبرق خرج من أطراف مخالبها أسقطها أرضاً.

ذلك التشتت البسيط الذي أحدثته (رافدة) مكن العرجاء من استغلال تلك الثغرة ورمي سيفها الكبير ذي الرأسين في الهواء فوقها وعقد أصابعها لقراءة طلسم متقطع خرج على أثره مارد

ضخم خلفها التقط السيف وهجم مباشرة على الملثمة التي قالت ضاحكة:

«طلاسم السحرة مضحكة!»

بدأت الملثمة تدور حول ذلك المارد بسرعة عجيبة أحدثت زوبعة التهمته وأسقطت السيف ذا الرأسين على الأرض أمام (نافجة) المصدومة من قوة المتنورة التي وقفت قائلة: هل لديكِ حيل أخرى يا عربية ؟

(نافجة) وهي تحاول التوازن على عكازها: حيلة أخيرة فقط..

وضعت بعدها كفوفها المبسوطة على وجهها مغطية عينيها وجزءًا من وجنتيها استعداداً لقراءة طلسم قوي لكن الملثمة وفي لمح البصر اندفعت وضربت عكازها وحطمته لتقع (نافجة) على الأرض ويصطدم وجهها بالرمال وتلك الملثمة تقف فوق رأسها ضاحكة بقوة:

«هل هذه هي العرجاء التي أرسلوني لقتلها ؟!.. رجوت ندية أكثر من ذلك لكني لا أرى أمامي سوى امرأة عجوز امتلأ فمها بالتراب!»

اعتدلت (نافجة) على ظهرها تبصق الرمال التي دخلت فمها لكنها لم تقف لأنها أدركت أن النزال انتهى وحُسم لمصلحة المتنورة..

(الملثمة) رافعة مخالب يدها:

«والآن لنحصل على هذا الرأس الجميل الذي سيمنحني نجمتي الثالثة التي طال انتظارها..»

قبل أن توجه الملثمة ضربتها للعرجاء خرج من كتفها نصل سيف (رافدة) التي طعنتها من الخلف وهي تصرخ: هذه فرصتك!

كانت (نافجة) لا تزال ملقاة على الأرض أمامهما ولم تكن في وضعٍ يسمح لها باستخدام طلسم فعال لضرب الملثمةلكنها وجدت نفسها فجأة تقف على عكاز وقدمها المبتورة قد عادت، لم تضيع الوقت في التفكير ووضعت كفيها مرة أخرى على وجهها وبدأت تقرأ طلسمها الذي أخذ بعض الوقت ضربت خلالها الملثمة (رافدة) على بطنها بمخالبها وأحدثت فيه أربعة جروحٍ طولية بعد أن مزقت لباسها.

سقطت (رافدة) على الأرض ممسكة بجروح بطنها زاحفة مبتعدة عن المكان لكن الملثمة الغاضبة من تدخلها تبعتها بخطوات حازمة في

نية لقتلها. توقفت الملثمة عن اللحاق بها عندما أحست بريحٍ خفيفة تهب من خلفها فالتفتت لترى (نافجة) واقفة على قدميها مغطية عينيها بكفيها ومجموعة كبيرة من الخناجر الصدئة تقدر بالمئات تحوم حولها وفي لمح البصر وقبل أن يكون لها أي ردة فعل غُرست جميع تلك الخناجر الصدئة في كل مساحة متاحة على جسدها.

خرت الملثمة صريعة على الأرض بعد ما انسحبت الخناجر من جسدها في الوقت نفسه تاركة خلفها قطعة من اللحم الممزق..

تنفست العرجاء الصعداء قبل أن تصرخ منادية على (رافدة): هل أنتِ بخير ؟!

جلست (رافدة) على الرمال ويدها اليمنى على بطنها النازف وباليد الأخرى أشارت بأنها ستكون بخير قبل أن تفقد الوعي..

بدأت (نافجة) تنظر لقدمها المبتورة التي عادت كما كانت وقالت محدثة نفسها: هل بُعثت روح قدمي من جديد ؟

تحدثت قدمها المبتورة قائلة: لا يا سيدتي.. إنه أنا فقط.. الفارسي البغيض!

(نافجة) والبهجة بادية على وجهها: لقد أعدت لي القدرة على المشي.. كيف فعلت ذلك ؟

(زمجد) وهو متشكل كقدم (نافجة): التشكل ليس بالأمر الصعب للجن يا سيدتي.. يمكنني أن أبقى هكذا بقدر ما تشائين من الوقت!

(نافجة): لا.. لقد أنقذت حياتنا ولن أهينك بهذا الشكل.. عد لهيئتك السابقة.

تشكل (زمجد) بهيئة الرجل فوقعت العرجاء على الأرض لأن توازنها قد اختل بعد عودة الجني لهيئته السابقة فقالت ساخطة: انتظر حتى أستند على شيء يا أحمق!

(زمجد): هل أتشكل كقدمك مرة أخرى ؟

(نافجة) وهي تقوم متجهمة وتعرج نحو (الغبساء): لا.. لكن اذهب وأحضر (رافدة) فهي مصابة.

(زمجد): أمرك.

حمل الجني الأزرق الفارسة الهجدانية المغشي عليها على ذراعيه وسار بها حتى وصل لـ(نافجة) التي امتطت فرسها قائلة:

نحتاج لمطبب.. هل تستطيع نقلنا لأقرب مدينة ؟

(زمجد) و(رافدة) بين ذراعيه: نعم بلا شك.. حددي الوجهة وسنكون هناك قبل أن يرتد طرفك.

(نافجة) تنظر في الأفق أمامها وحولها: نحن لم نبتعد عن «اليمامة» كثيراً لكننا لا نستطيع العودة إليها بعد ما فعلته بذلك التاجر الحقير.. على الأقل ليس لعدة أشهر.

(زمجد: هناك قبائل قريبة من هنا وبعضهم يملكون مطببين للجروح.

(نافجة) تمعن النظر في جرح بطن (رافدة) النازف ثم تقول: جرحها بليغ ولن تصمد طويلاً وحتى إن وجدنا مطببًا فلا أظنه سيلحق لإنقاذها.

(زمجد): هل تأذنين لي بأن أقترح مكانًا آخر ؟

(نافجة) ملتفتة إليه: هات ما عندك!..

(زمجد) واضعاً (رافدة) الفاقدة للوعي على جوادها ثم يشير غرباً: هناك مدينة على بعد مسيرة أيام من هنا يلجأ إليها المرضى من كل أطراف الجزيرة بحثاً عن العلاج لأمراضهم المستعصية.. يسميها قاطنوها «مدينة البركة».. أقترح أن نأخذها إلى هناك..

(نافجة): وكيف عرفت تلك المدينة ؟

(زمجد): لقد أرسلتني سيدتي السابقة أكثر من مرة لمعالجٍ يقيم هناك لإحضار علاج لها تستخدمه بانتظام وقد رأيت الكثير من الناس يأتون إليه وهذا دليل على أنه طبيب جيد.

(نافجة) وهي تركب فرسها: حسناً سنذهب إليه لكن أخبرني قبلها.. ممَّ كانت عجوز القدر تشكو ؟

(زمجد): الجرب..

(نافجة) وهي تبتسم: لِمَ أنا لست مستغربة! ؟

(زمجد): كانت مصابة به في فـ..

(نافجة) مقاطعة الجني الأزرق: لا تخبرني!.. يكفي ما أصابنا اليوم من بشاعة.. هيا خذنا لتلك المدينة بسرعة..

(زمجد) حانياً رأسه: أمرك..



النجمة البائسة

في لمح البصر انتقل الجميع إلى منطقة امتدت فيها سلاسل من الجبال الشاهقة أحاطت بهم من الجانبين وحوت الكثير من الفتحات الكبيرة أشبه بالكهوف، وانتشرت عند تلك المداخل أعداد هائلة من التماثيل والمنحوتات والمداخل الحجرية بكافة الأشكال والأحجام.

وقفت (نافجة) تراقب ذلك المكان الغريب بتعجب ثم قالت:

الى أين أتيت بنا! ؟.. أين المدينة التي تحدثت عنها ؟

(زمجد) مشيراً لإحدى فتحات الكهوف الضخمة: هناك.. داخل ذلك التجويف.

(نافجة): لم أكن أظن أنك تقصد مدينة بهذا الشكل.. ما طبيعة قاطنيها ؟



(زمجد): لا يقيم فيها سوى مجموعة من المنبوذين الذين لا يخرجون منها لكن قدراتهم في العلاج معروفة ومشهورة.

(نافجة): أنا لم أسمع بهم أو بهذا المكان من قبل!

(زمجد): هل ترغبين منا الانتقال لمكانٍ آخر ؟

(نافجة): لا وقت لذلك فالفتاة نزفت كثيراً.. أحتاج لعكازٍ آخر بدل الذي حطمته تلك المتنورة قبل أن نستأنف المسير.

(زمجد): سأحضر لكِ غيره..

اختفى الجني الأزرق وخلال ثوانٍ عاد وهو يمد عكازاً خشبياً لـ(نافجة) التي قالت: هل أنت نجار أيضاً..

(زمجد): النحت من المهارات التي يتقنها الجن..

(نافجة) وهي تأخذ عكازها الجديد من يد الجني الأزرق: هيا قد الطريق إذاً..

كان النهار في آخره والليل أوشك على الحلول فسارت المجموعة داخل التجويف الضخم والذي كانت أشعة الشمس تخترقه من جوانب عدة، لم يكن الكهف مظلماً لأن سقفه كان مليئًا بالثقوب



والتصدعات التي بدورها خلقت سقفاً منيراً أضاء أسفله. خلال سير (نافجة) على فرسها و(رافدة) المستلقية على جوادها و(زمجد) السائر ممسكاً بلجام الجواد تساءلت العرجاء:

«لقد سرنا مسافة طويلة ولم نرَ سوى التماثيل الحجرية الغريبة من حولنا.. لِمَ لم تنقلنا مباشرة لمنزل المطبب دون أن نضطر للسير كل هذه المسافة ؟»

(زمجد): قدرات الجن تضعف في هذا المكان ولا يمكن الوثوق بها.. بالإضافة إلى أني أفقد الكثير من قوتي بعد كل عملية نقل لمسافة طويلة.

(نافجة) ملتفتة يميناً إلى مجموعة من الأصنام: التماثيل هنا غريبة.. لا تنتمي لحضارة واحدة.. أرى منحوتات سومرية وبابلية وفرعونية.. كيف اجتمعت كلها هنا ومن قام بإحضارها ؟

توقف (زمجد) عن السير ثم قال: سوف ندخل الآن لقلب «مدينة البركة»..

(نافجة): ولِمَ توقفت ؟.. أكمل السير قبل أن تسوء حالة الفتاة!

(زمجد): كنت أريد فقط أن أخبرك بأمرٍ يا سيدتي قبل أن ندخل..

(نافجة): لِمَ يتنابني شعور أن ما ستقوله لن يعجبني ؟

(زمجد) مديراً نظره للعرجاء: هذه المدينة ليست كبقية المدن وقد ترين بعض التصرفات الغريبة التي قد لا تألفينها لذا لا تتدخلي في شؤونهم.. سوف نعالج الفتاة ونرحل فقط.

(نافجة): لا غرض لنا هنا سوى ذلك.. لست مهتمة بالتدخل في ما لا يعنيني.. تحرك ولا تُضع الوقت.

أكملت المجموعة سيرها حتى أقبلوا على عددٍ كبيرٍ من المنازل الحجرية انتشر حولها الكثير من الناس الذين كانوا يمارسون حياتهم كأي مدينةٍ أخرى.

(نافجة) من فوق فرسها وهي تراقب الناس المنشغلين بممارسة حياتهم:

لا أرى شيئًا خارج المألوف أيها الفارسي..

(زمجد) وهو مستمر في السير: لنركز فقط على الوصول لمنزل المطبب يا سيدتي..

(نافجة): هل المسافة بعيدة ؟

(زمجد): لا.. لقد شارفنا على الوصول..

قبل أن تصل المجموعة لمنزل المطبب رأت (نافجة) شخصاً يجلس على جانب الطريق يتناول فيما يبدو بعض الطعام لكنها عندما أمعنت النظر صدمت لرؤية أن ما كان يتناوله هو جرو صغير ولم يكن حتى مطبوخاً. اشمأزت العرجاء من ذلك المنظر وأشاحت بنظرها عنه لتقع عيناها على منظر آخر أكثر بشاعة وهو رجل قد دفن جسده بالكامل تحت الأرض ولم يخرج منه سوى رأسه مجتمعة حوله مجموعة من النساء تركله بلا رحمة، ومع تقدمهم نحو منزل المطبب الذي تحدث عنه الجني الأزرق ازدادت المناظر من حولها غرابة، فتارة تشاهد مجموعة من الناس الملطخين بالطين يطوفون حول صنمٍ ما ويرددون كلماتٍ غريبة وهم يهزون رؤوسهم، وتارة أخرى تشاهد مجموعة من الناس يُجلدون بالسياط وتكوى جلودهم بأسياخ ساخنة.

(نافجة) محدثة نفسها وهي تراقب ما كان يحدث حولها: ما هذا المكان الغريب.. ؟

(زمجد): لقد وصلنا..

رأت العرجاء أن الجني الأزرق قد توقف عند منزلٍ حجري ببابٍ قماشي عُلقت على جدرانه مجموعة كبيرة من النباتات والحيوانات الصغيرة المجففة فقالت:

هل أنت واثق من أن هذا المعالج أهل للثقة ؟

(زمجد) حاملاً (رافدة) من فوق جوادها: هذا المعالج من أفضل المعالجين في المدينة في علاج الجروح.. يمكنك البقاء هنا حتى ينتهي المعالج يا سيدتي.

(نافجة) ساحبة عكازها مترجلة عن ظهر فرسها: لا.. لن أتركها وحدها..

دخل الجميع لمنزل المطبب ورأوا رجلاً أصلع الرأس بذقنٍ سوداء كثيفة متربعًا أمام حصيرة متسخة يحيط بها بعض الحجارة وعند رؤيته لهم مسح بكفه على الحصيرة وهو يقول:

ضع العليل هنا..

وضع (زمجد) الفتاة بهدوء على الحصيرة ثم أخذ بضع خطواتٍ

للوراء و(نافجة) تراقب ما يحدث بقلق. بدأ المعالج يتفحص جسدها بكلتا يديه حتى وصل لجروح بطنها ثم حنى رأسه وبدأ يلعقها بلسانه. لم تكن العرجاء مرتاحة لما يحدث لكنها لم تتدخل وبقيت تراقبه بصمت. أمسك المعالج جرة فخارية صغيرة كانت بجانبه وسكب جزءًا من محتواها على جروح (رافدة) ثم قال:

ستبقى هنا حتى الإشراقة ثم يمكنك أخذها..

(زمجد): حسناً..

(نافجة) بنبرة رافضة: لن نتركها معه وحدها!

(زمجد): أرجوك يا سيدتي.. يجب أن نرحل الآن.. سنعود لها في الغد.

(نافجة): أخبرتك أننا لن نتركها هنا وحدها معه!

(المعالج): خذاها لو شئتما.. لكن.. لست ملوماً على ما سيحل بها أو بكما!

(زمجد): لا.. سنرحل وسنعود في الغد.

أمسك الجني الأزرق بيد سيدته ونظر في عينيها قائلاً: ثقي بي أرجوك..

خرجت (نافجة) من منزل المعالج دون رغبتها وعندما أصبحا في الخارج استدارت على (زمجد) وقالت متجهمة:

لو حدث لها أي مكروه فستجد تلك الحلقة الذهبية مطبقة على أنفاسك!

(زمجد) بهدوء: لن يحدث لها أي شيء سوى أنها ستتعافى..

(نافجة) وهي لا تزال ساخطة: سنرى!

صمت الاثنان لفترة وهما بجانب الدواب إلى أن خرجت العرجاء عن صمتها وقالت: ماذا الآن ؟.. هل نخرج من هنا ونعود لاحقاً ؟

(زمجد): لا يمكننا الخروج حتى نأخذ الفتاة معنا وإلا فستحبس هنا.. يجب أن نبيت حتى الصباح.

(نافجة): الليل حل والمكان أصبح موحشًا.. سنبقى هنا بجانب منزل هذا المعالج إلى أن تشرق الشمس مرة أخرى.

(زمجد): لا يمكننا ذلك.. هناك مكان مخصص لضيوف «مدينة البركة» من المرضى ومن مرافقيهم ليبيتوا فيه.

(نافجة): لن أبتعد عن هنا.. لا أمانع افتراش الأرض!

(زمجد): لكن هم يمانعون.. بقاء مرتادي المدينة من المرضى وذويهم ليلاً أمام منازل المعالجين أمرٌ محرم.. الأرض المخصصة لزوار المدينة ليست بعيدة من هنا

(نافجة): ما حكاية هذه المدينة ؟

(زمجد): لنذهب للمكان المخصص لضيوف المدينة وسوف أخبرك يا سيدتي.

وافقت العرجاء على التحرك من أمام منزل المعالج والسير إلى منطقة واسعة وسط ذلك الكهف الكبير. كان المكان كبيراً جدّاً والسقف من أعلاه مفتوحٌ سامحاً لضوء القمر المكتمل تلك الليلة بإنارة المكان. توقف (زمجد) في مكان قصي من المساحة المفتوحة وصفع كفيه مشعلاً ناراً وأشار لـ(نافجة) بالنزول من على دابتها والجلوس أمام النار ففعلت.

(نافجة) وهي جالسة أمام النار تراقب الخيام التي نُصبت من حولهم في كل مكان في تلك البقعة:

كل هؤلاء مرضى يبحثون عن العلاج ؟

(زمجد): نعم.. المعالجون يمارسون خدمة الوافدين للمدينة في النهار فقط وتنتهي أعمالهم مع حلول الليل.

(نافجة): أعمال من أي نوع ؟.. أكل الكلاب الصغيرة أم تعذيب الناس بالجلد بالسياط ؟.. ما هذه المدينة الغريبة أيها الفارسي ؟

(زمجد): هذا المكان كان في الماضي ملجأ للمنبوذين يا سيدتي.. كل من تنبذه قبيلته أو عشيرته لأي مرض أو علة في جسده خشية أن يصاب بها غيره كان يأتي للموت وحده بكرامته، لكن بعد عدة سنوات ظهر شخص من هؤلاء المنبوذين يملك قدرة عجيبة على علاج المرضى وقام بعلاج جميع من قصدوا المدينة فاكتسبت شهرة وسمعة إلى أن مات ذلك المعالج.

(نافجة): ماذا عن ما رأيته اليوم من ممارسات ؟.. هل هي حيلة أم استغفال للناس ؟

(زمجد): لا هذا ولا ذاك.. المعالج قبل أن يموت نقل علمه لمجموعة ممن عالجهم وأوصاهم بإكمال ما بدأه لكن مع الوقت اختلفت ممارساتهم وأصبحت كما رأيتها اليوم... لقد حادوا عن الطريق الذي رُسم لهم بالرغم من أن علم العلاج لا يزال بين أيديهم!



صمت الاثنان لبرهة ثم تحدث الجني الأزرق: هل لي باستفسار يا سيدتي ؟

(نافجة): ماذا تريد ؟

(زمجد): كيف تنوين مواجهة المتنورين وحدك ؟

(نافجة): ماذا تقصد ؟

(زمجد): المتنورة التي اعترضت طريقنا اليوم لن تكون الأخيرة وفيما يبدو أنهم وجدوا طريقة لتحديد مكانك بسهولة.

(نافجة): هذا الأمر أثار استغرابي فعلاً.. فمن سبقها وجدني لأني كنت أزور «هجر» لكن الأخرى لم تكن تعرف خط سيري ووجهتي وإيجادها لي بتلك السهولة أمرٌ مقلق.. يجب أن أجد (شق) و(سطيح) بأسرع وقت.

(زمجد): ماذا لو لم تجديهما قبلها ؟

(نافجة): قبل ماذا ؟

(زمجد): قبل أن يتمكن أحد المتنورين من قتلك.. هم لن يتوقفوا وسيستمرون في ملاحقتك حتى يحققوا غايتهم.

انقطع حوارهما عندما لمحت (نافجة) خيال شخص يُطل ويراقبهما من خلف إحدى دوابهما الواقفة فأشارت بصمت لـ(زمجد) بأن يتحقق من الأمر، وبسرعة خاطفة أطبق الجني الأزرق على المتلصص الذي صرخ بصوت أنثوي مرعوب:

أنا لم أسرق شيئًا!

ساق (زمجد) الفتاة التي كانت تختلس النظر وأوقفها أمام (نافجة) الجالسة عند النار وعندما اتضحت معالمها رأت العرجاء أن الفتاة بعمرٍ لا يتجاوز الثالثة عشرة ذات شعرٍ أحمر يميل للصفرة وبشرتها ناصعة البياض ولم يعكر صفو وجهها إلا ندبة كبيرة بدأت من جبينها مروراً بعينها اليسرى منتهية عند أسفل وجنتها. كانت عين تلك الفتاة المفقوءة كاملة البياض ومن الواضح أنها لا تستطيع الرؤية منها، وجسدها الممتلئ قليلاً لم يغطِّه إلا لباس بدت نقوشه أنها ليست عربية. أشارت العرجاء للجني الأزرق بأن يجلس الفتاة في الجانب المقابل منها ففعل وبقي واقفاً فوق رأسها كي لا تهرب.

(نافجة): ما اسمك يا صبية ؟

(الفتاة): الناس هنا يلقبونني بـ(عوراء) منذ صغري ولا أعرف اسماً آخر لي غيره

(نافجة): منذ صغرك ؟.. كم أمضيتِ في هذه المدينة ؟

(عوراء): لا أعرف.. أنا هنا منذ زمنٍ طويل ولا أعرف شيئًا عدا ذلك.

(نافجة): هل تركك أهلك هنا ؟

(عوراء): لا أعرف..

(نافجة): شعرك أحمر كالشياطين.. لكنه جميل..

(عوراء): وهل رأيتِ شيطانًا من قبل ؟

رفعت العرجاء نظرها لـ(زمجد) الذي أبدى بوجهه استغرابه من تلك الفتاة ثم قالت: لِمَ كنتِ تختلسين النظر إلينا ؟

(عوراء): كنت أبحث عن الطعام من المحسنين.. كل من يأتون للعلاج يحسنون إلي بالمأكل والمشرب لتحل عليهم بركة العلاج.

(نافجة): ماذا عن أهل المدينة هنا.. ألا يطعمونك ؟

هزت الفتاة رأسها بالنفي..

(نافجة): نحن لا نملك طعاماً يا صبية ابحثي في مكانٍ آخر.

نهضت الفتاة ورحلت مطأطئة رأسها بخيبة..

جلس (زمجد) أمام سيدته بعد رحيل الفتاة قائلاً: أمرها غريب..

(نافجة): وما الغريب في أن ترى فتاة تعاني مثلها في مكانٍ كهذا ؟

(زمجد): لم أقصد ذلك.. عندما وضعت يدي عليها أول مرة شعرت بشعورٍ غريب!

(نافجة): شعور من أي نوع ؟

(زمجد): لا أدري.. شعور مختلف.. شعور لم أحس به من قبل.. كما وأن أنفاسي أصبحت أكثر عمقاً!

(نافجة): على أي حال لقد رحلت..

(زمجد): عندما نكمل مسيرنا غداً هل ستوافقين على مرافقة (رافدة) لنا ؟

(نافجة): بالرغم من أن لا رغبة لي بصحبة خلال رحلتي إلا إنني لا أستطيع تركها وحدها.. لقد أصيبت لأنها حاولت مساعدتي وليس

من المروءة التخلي عنها في أرضٍ غريبة وهي لا تملك وجهة محددة.. سأقبل برفقتها حتى تجد طريقها الخاص..

(زمجد): كما تشائين يا سيدتي..

(نافجة) تستلقي وتسند رأسها لصخرة ملساء كانت بجانبها: أيقظني أول الصباح أيها الفارسي..

(زمجد): سأبقى مستيقظاً خلال نومك كي لا ينغص أحد منامك..

(نافجة) تغمض عينيها مبتسمة: لا تحاول استمالة رضاي أيها الفارسي فأنا لا أزال أمقتك.. لكن.. سوف أمنحك متعة إرضائي..

في اليوم التالي فتحت العرجاء عينيها على ما تبقى من النار المشتعلة في الليلة السابقة وخيطٌ رفيعٌ من الدخان الصاعد من رمادها يعلن انطفاءها. جلست وهي تمسح النعاس من عينيها لترى أن الجني الأزرق على حاله وما أن رآها حتى قال:

«هل حظيتِ بليلة هادئة يا سيدتي.. ؟»

(نافجة) وقد اتضحت معالم المخيمين حولها أكثر: المرضى أكثر مما تصورت.. إنهم منتشرون على مد البصر..

(زمجد): وقليل منهم سيجدون العلاج..

(نافجة): أليس كل من يأتي إلى هنا يخرج معافى ؟

(زمجد): بالطبع لا.. فليس الجميع يوفقون للقاء المعالجين الحقيقيين ويقعون ضحية للدجالين.. إنها تجارة رائجة هنا.

(نافجة): تجارة ماذا ؟

(زمجد): بيع الوهم.. هناك أكثر من ألف شخص يدعي علم العلاج هنا لكن لا أحد يعرف أيهم يقول الحق.. ألم تستغربي أن المعالج الذي قصدناه لم يكن هناك مرضى عنده أو في انتظاره خارج منزله ؟

(نافجة): نعم لاحظت هذا!.

(زمجد): هذا لأن لا أحد يعرف أنه أحد المعالجين الحقيقيين في هذه المدينة.

(نافجة): ولِمَ كل هذا التعقيد.. لِمَ لا يكشفون عن أنفسهم ويكشفون من ينتحل هويتهم ؟

(زمجد): الأمر معقد يا سيدتي.. هم لا يمارسون ما يمارسونه لجني منفعة هم فقط يسيرون خلف وصية كبيرهم الراحل، ومن يستغل ذلك لخداع الناس ليس من اهتماماتهم.



(نافجة): وكيف عرفت بأنه معالج حقيقي ؟

(زمجد): السيدة (القيقبون) هي من وصفته لي أول مرة، ومنذ ذلك الوقت وأنا لا أقصد غيره.

(نافجة): سيدتك لو كانت تستحم لما احتاجت لأي علاج.. هيا بنا لنأخذ (رافدة) ونخرج من هذا المكان المقيت..

امتطت العرجاء دابتها وسارت نحو بيت المعالج ومن خلفها (زمجد) وهو يسير على قدميه ممسكاً لجام جواد (رافدة) فسألته: لِمَ لا تركب الجواد ؟

(زمجد): لا أستطيع ركوب الدواب.

(نافجة) باستغراب: ولماذا ؟

(زمجد): أمر يخص الجن.

(نافجة): هل تقصد أن الجن والشياطين لا يركبون الدواب ؟

(زمجد): لم أقل الشياطين..

(نافجة): لم أكن أعرف ذلك من قبل!

(زمجد): هناك أمر لم أخبرك به أيضاً..

(نافجة): ما هو ؟

(زمجد): تلك الفتاة عادت مرة أخرى خلال نومك.

(نافجة): أي فتاة ؟.. العوراء ؟

(زمجد): نعم.. كانت تريد إيقاظك لتخبرك بأمرٍ ما كما قالت لكني منعتها وأمرتها بالرحيل.

(نافجة) محدثة نفسها: ماذا كانت تريد يا ترى ؟

وصل الاثنان لمنزل المعالج وأوقفا دوابهما عند مدخل منزله وأمرت (نافجة) الجني الأزرق بالدخول وإحضار (رافدة) فقال:

ألن ترافقيني للداخل ؟

(نافجة): لا أريد رؤية وجه ذلك المعالج مرة أخرى..

دخل الجني الأزرق تاركاً (نافجة) خلفه تنتظره فوق (الغبساء) وخلال انتظارها أحست بشيء يشدها برفق فوجهت نظرها أسفل منها لترى (العوراء) ممسكة بطرف لباسها وتهزه بصمت.

(نافجة): ماذا تريدين الآن ؟.. أخبرتك بأننا لا نملك طعاماً!

(عوراء): أريد أن أرحل معكِ..

(نافجة): ترحلين معي إلى أين ؟

(عوراء): إلى حيث أنتِ ذاهبة..

(نافجة): ما حكاية الرغبة في مرافقتي ؟.. ليس لدي المكان أو الوقت للعناية بكِ!

(عوراء): أنا من سيعتني بكِ وليس العكس.

ضحكت العرجاء ولم ترد على الصبية الصغيرة المتعلقة بلباسها وقبل أن يدور بينهما حديثٌ آخر خرجت (رافدة) وهي في أكمل صحة وعافية وجرت نحو (نافجة) وشكرتها لما قامت به فردت عليها وهي تشير لـ(زمجد) الذي خرج خلفها للتو:

«لا تشكريني أنا بل اشكريه هو..»

(رافدة) وهي ترمق (زمجد) بنظرة ريب: وماذا يكون هو ؟.. لقد رأيت ما قام به عندما تعاركنا مع تلك المرأة.. هو ليس ببشر أليس كذلك ؟

(نافجة) مبتسمة: إذا كنتِ تنوين مرافقتي فلا تطرحي هذا السؤال كثيراً..

وجهت (رافدة) بعدها نظرها لـ(عوراء) المتشبثة بلباس (نافجة) وقالت: ومن هذه ؟

(زمجد) مقترباً منهن وموجهاً كلامه لـ(عوراء): لِمَ عدتِ ؟.. ألم آمرك بالرحيل ؟

اختبأت الصبية الخائفة خلف طرف اللباس المتدلي لـ(نافجة) لكنها لم تفلته وتشبثت به بشكلٍ أقوى..

نظر الجني الأزرق لسيدته التي بدا عليها العجز وقلة الحيلة وهي تقول:

يبدو أن قافلتنا سيضاف لها مرافق جديد..

(زمجد): لسنا مضطرين لذلك يا سيدتي.. يمكنني التخلص منها.

(رافدة) وهي تسحب سيفها من غمده المربوط على ظهرها:

اتركي الأمر لي أنا من سيتخلص منها!

(نافجة) رافعة كفها في وجهيهما: لا يمسها أحد منكما.. أنا لست عاجزة عن ذلك لو كانت تلك هي رغبتي.. اتركاها وشأنها..

(زمجد): أمرك..

(رافدة) وهي تعيد سيفها لغمده: كما تشائين يا عمة..

(نافجة) تضرب خاصرة (الغبساء) بأقدامها وتبدأ بالسير خارج حدود المدينة و(عوراء) تسير بجانبها وهي لا تزال ممسكة بطرف لباسها. قفزت (رافدة) على جوادها بسعادة وقبلته قائلة: اشتقت لك!

شدت الفارسة الهجدانية لجام جوادها وتبعت العرجاء والجني الأزرق يتذيل القافلة. لم يمضِ على سيرهم الكثير حتى أقبلوا على مجموعة التماثيل التي رأوها عند دخولهم المكان أول مرة فقال (زمجد):

لقد اقتربنا من فوهة الخروج..

(نافجة) باستنكار: أشعر أن هناك شيئاً تغير في المكان..

(رافدة): المكان موحش.. ألم يكن هناك مكان آخر لأتلقى العلاج فيه ؟

(زمجد): أي مطبب آخر لم يكن ليلحق أن يعالجك بهذه السرعة.. هذا المكان كان الخيار الأمثل والوحيد..

(نافجة) ترفع يدها وتشير بسبابتها لأحد التماثيل:

هل كان هذا الصنم البابلي موجوداً عندما دخلنا المدينة ؟

(زمجد) ملتفتاً حيث أشارت: لا أذكر أني رأيته من قبل خلال زياراتي السابقة..

عندما وصلت قافلتهم بالقرب من ذلك التمثال وأصبح على يسارهم لم تُنزل (نافجة) عينها من عليه حتى تجاوزوه لشعورها بالريبة والقلق الشديد من وجوده الآن وتيقنها من أنه لم يكن موجوداً في السابق بسبب شكله المميز واللافت، فقد كان بجسد سبع وبرأس رجل يلبس تاجاً كبيراً. تجاوزت المجموعة النحت الصخري دون أن يحدث شيء، وبعد فترة من المسير أقبلوا على فتحة الخروج فاطمأنت العرجاء عند رؤيتها وقالت لـ(عوراء) : هل ستظلين متشبثة بي هكذا ؟

(عوراء) وهي تتشبث أكثر بلباس (نافجة): نعم..

ابتسمت (نافجة) ووجهت كلامها لـ(رافدة):

تقدمي أمامنا وتحققي من خلو الطريق من أي منغصات.

(رافدة) وهي تضرب خاصرة جوادها وتنطلق مسرعة للأمام: حاضر يا عمة!

زاد الجني الأزرق من تسارع خطواته حتى أصبح يسير بجانب العرجاء وقال:

لِمَ أمرتِها بذلك ؟.. كان يمكن أن أقوم أنا بذلك عوضاً عنها!

(نافجة): انظر خلفك..

التفت (زمجد) وراءه وصدم عندما رأى ذلك الصنم البابلي واقفاً على قدميه على بعدٍ منهم وكأنه يراقبهم وقال بتوتر: ما هذا ؟

(نافجة) ونظرها منصب أمامها: هل تظن أنه من المتنورين ؟

(زمجد) وهو يراقب الصنم بقلق: لا أعتقد فهو لا يبعث الطاقة نفسها التي يصدرونها بل هو لا يُصدر أي نوعٍ من مؤشرات الحياة وأتعجب كيف يمكنه التحرك والوقوف هكذا.

(نافجة): سنكمل سيرنا ونتجاهله..

(زمجد): لكن..

(نافجة): تجاهله ولا تحاول إثارته بأي شكل.. هل تفهمني ؟

(زمجد) معيداً نظره للأمام: أمرك..

أكمل الثلاثة طريقهم نحو فتحة الخروج وقبل أن يصلوا إليها بمسافة قليلة سمعوا خلفهم دبيباً كعدو الخيل، وعندما التفتت (نافجة) ومن بعدها (زمجد) فوجئوا بالصنم البابلي متسمراً وراءهم مباشرة وهو رافعٌ كفه وكأنه توقف قبل أن يوجه ضربة لـ(نافجة)، بقي الاثنان يراقبانه بفزع حتى تحدث (زمجد) بنبرة متوترة قائلاً:

إنه لا يتحرك إلا عندما نحيد ببصرنا عنه..

(نافجة) وعيناها مرتكزتان على الصنم البابلي: وما العمل الآن ؟..

لا يمكننا التحديق به إلى الأبد.

(زمجد): يمكنني نقلكم جميعاً من هنا بسرعة لمكانٍ بعيد لن يصل إليه لكن يجب أن أخرج من حدود الكهف كي أستعيد قدرتي على ذلك.

(نافجة) وهي تحدق بالتمثال الحجري: خذ الصبية واخرج أنت معها وأنا سأبقي نظري عليه.

(زمجد): وكيف ستلحقين بنا ؟

(نافجة) بغضب مكتوم: نفذ ولا تجادل يا فارسي!

بدأ الجني الأزرق بسحب (عوراء) من جانب (نافجة) لكنها تمنعت ورفضت الذهاب معه فقالت العرجاء: خذها بالقوة ولا تتركها هنا!

انتزع (زمجد) الصبية بالقوة من تشبثها بـ(نافجة) لتبدأ بالصياح والصراخ لكنه لم يتوانَ عن إخراجها من المكان حتى تجاوز فوهة الكهف وقال بصوتٍ مرتفع: نحن بالخارج الآن!

بدأت (نافجة) تتحدث مع فرسها وعينها لا تزال على ذلك الصنم وقالت:

هيا يا (غبساء).. تحركي للأمام..

في تلك اللحظة رمشت (نافجة) بسرعة وشعرت برعبٍ شديد عندما رأت أنه خلال الرمشة السريعة حدث تغير في وضع التمثال وأن يده الصخرية الضخمة باتت أقرب لوجهها. استمرت (الغبساء) بالتحرك والتقدم ببطء إلى أن خرجت من الكهف ومن فوقها العرجاء والصنم على حاله على بعد يسير منهما فقالت (نافجة)

صارخة في الجني الأزرق: ماذا تنتظر ؟!.. هيا أخرجنا من هنا!

(زمجد): لا أستطيع.. (رافدة) ليست هنا!

(نافجة): أبقِ عينيك عليه ريثما أحضرها!

انطلقت العرجاء بفرسها بحثاً عن (رافدة) وبعد دقائق قليلة من العدو وجدتها فنادت عليها وأشارت لها باللحاق بها للعودة لفوهة الكهف. جرت الاثنتان على ظهري دابتيهما حتى وصلتا للمكان المنشود لكن ما رأتاه كان غريباً. لم تريا الصنم ولم تريا (زمجد).. لم تريا سوى (عوراء) على الأرض محتضنة نفسها وتبكي. ترجلت (نافجة) عن فرسها وقالت: ما الذي حدث ؟.. أين الفارسي ؟

نهضت (عوراء) عندما سمعت صوت (نافجة) وجرت نحوها وعانقتها بقوة واستمرت بالبكاء..

(رافدة) من فوق جوادها: ما الأمر يا عمة ؟.. ما الذي يجري ؟

نظرت (نافجة) داخل الكهف ورأت مجموعة من الصخور المتكومة ولم ترَ شيئاً آخر..

(نافجة) موجهة كلامها لـ(عوراء): أين (زمجد) ؟.. هل اشتبك مع

ذلك الصنم ولقي حتفه ؟

لم ترد الصبية عليها واستمرت بالبكاء خلال التشبث بها..

(نافجة): هيا لنرحل من هنا..

(رافدة): ماذا عن العبد ؟

(نافجة) تشق راحة يدها بخنجرٍ كان معها وتطبع أثراً على صخرة كبيرة بجانبها: سيلحق بنا إن كان لا يزال على قيد الحياة..

(رافدة): ماذا تفعلين يا عمة ؟

(نافجة): هذا الأثر كي يجدني.. يجب أن نبتعد عن هذا المكان بسرعة!..



البحيرة الزرقاء

سارت قافلة العرجاء الصغيرة والتي بقي منها هي والفارسة الهجدانية (رافدة) و تلك الصبية العوراء التي أصرت على القدوم معها. أرادت (نافجة) الابتعاد عن المنطقة الجبيلة قدر الإمكان واستغلال فترة النهار لذلك، لكن سيرهن كان بطيئاً لعدة أسباب أهمها أن دوابهن لم تتناول الكثير من الزاد والماء لفترة طويلة ولم ترد (نافجة) إرهاقها أكثر بالعدو في الصحراء، خاصة وأن (العوراء) ركبت خلف (رافدة) على جوادها مما زاد الحمل أكثر على الدابة. بعد مسيرة نهارٍ كامل واقتراب حلول الليل أصبحت سلسلة الجبال بعيدة في الأفق لكنها لم تختفِ بالكامل فقالت (رافدة): أظن أننا بمأمن الآن..

(نافجة): لن تكونا بمأمن ما دمتما تسيران برفقتي.



(رافدة): إلى ماذا تلمحين يا عمة ؟

(نافجة): إذا كنتِ لم تلاحظي حتى الآن فأنا مطاردة.

(رافدة): أنا أيضاً مطاردة من قبيلتي لكن ذلك لم يثنِني عن القتال!

(نافجة): من يطاردونني يختلفون كثيراً عن من يطاردونك.

(رافدة): هل يحق لي أن أسأل من هم مطاردوك ؟

حكت العرجاء للفارسة الهجدانية كل ما تعرفه عن (الطائفة الجنتية) وعن الـ(ماران) ومقاومتها له وكيف أن ذلك حسب اعتقادها دفعه للاستعانة بهؤلاء القتلة للتخلص منها، وكيف أنها سعت للحصول على إجابة لمعضلتها باللجوء لكبيرة السحرة في «اليمامة» وكيف أنها نصحتها بالبحث عن (شق) و(سطيح) لتجد الإجابة، وأن ذلك الجني الأزرق كان هبة منها ليساعدها في رحلتها.

(رافدة): أنتِ إذاً العرجاء التي تتحدث عنها جميع قبائل العرب ؟

(نافجة): هل خاب ظنكِ عندما قابلتِني وجهاً لوجه ؟

(رافدة): على العكس تماماً!.. أنا في غاية السعادة أن أكون سائرة معك وشرف كبير أن أقاتل بجانبك!



(نافجة): لن يكون هناك قتال آخر.. بالرغم من أن ذلك الجني الفارسي مقيت إلا إنه كان مفيداً لي وبفقدانه لن أصمد في أي نزال قادم مع أي من قتلة المتنورين.

(رافدة): إذا كنتِ تريدين الاستمرار يا عمة في مسعاك فسأكون معكِ وبجانبك دوماً ؟

(نافجة): لا جدوى من الاستمرار.. في كل مواجهة مع أتباع الطائفة الجنتية أدرك أن أيامي محدودة وسيتمكن أحدهم مني بلا شك!

(رافدة): ليس بالضرورة أن تواجهيهم وحدك..

(نافجة): وماذا تقترحين ؟.. أن أطوف القبائل بحثاً عن اللجوء والحماية.. هذا لن يحدث.. الموت أهون علي وأشرف.

(رافدة): أنا لم أقل ذلك ومهما حدث سأكون معكِ لنهاية الطريق لكن..

(نافجة): لكن ماذا ؟

(رافدة): وجودي وحده ليس كافِياً..

(عوراء) وهي متشبثة بظهر (رافدة): أنا هنا أيضًا ولن أترك العمة وحدها..

(رافدة) مبتسمة: وجودي مع (عوراء) ليس كافياً.. وبما أن مطارديك من القتلة المحترفين فيجب أن تحيطي نفسك بمن هم مثلهم وأكثر احترافاً.

(نافجة) بتهكم: وأين سأجد مثل هؤلاء القتلة ؟.. هؤلاء الجتيون يتعاملون بطاقة غريبة تستطيع مجاراة الطلاسم والتفوق عليها!

(رافدة) مبتسمة: اتركي المسألة لي يا عمة ولا تقلقي..

(نافجة): لِمَ لا تحلين مشكلة الماء والزاد لنا ولدوابنا أولاً قبل أن تفكري بالاستعانة بالقتلة لحمايتنا.

(رافدة): لكِ ذلك..

بدأت الفارسة الهجدانية بإدخال أحد أصابعها في منخار جوادها وتحريكه بحركة دائرية..

(نافجة) وهي تراقبها: ماذا تفعلين ؟

(رافدة) وهي مستمرة فيما تقوم به: جوادي (الشيم) يملك قدرة عجيبة على إيجاد الماء ومنابعه.. سترين الآن..

(عوراء) تطل من خلف (رافدة) خلال عبثها بأنف جوادها: لا تنسي أن تغسلي يدك عندما نجد الماء..

أخرجت (رافدة) إصبعها من أنف (لشيم) الذي انطلق بسرعة كبيرة فشدت (نافجة) لجام (الغبساء) للحاق به وهي تقول: لنرَ أينِ سيقودنا منخار جوادك!..

بعد عدو سريع لمسافة طويلة في الصحراء المفتوحة وقبل أن يختفي قرص الشمس الأحمر في الأفق بوقتٍ وجيز توقف الجواد وبدأ يصهل ويضرب الرمال بحافره الأمامي، فنزلت (رافدة) من على ظهره ومن خلفها (عوراء) وبدأت تبحث بنظرها في المكان.

وصلت (نافجة) بعدهما بلحظات وسحبت عكازها وترجلت عن (الغبساء) وبدأت تعكز حتى وقفت بجانب الهجدانية وشاركتها النظر في الأفق:

«أتمنى أن بحر الرمال أمامنا ليس الماء الذي وجده جوادك!..»

(رافدة) بثقة وهي لا تزال تنظر للأفق: لا تقلقي يا عمة.. (لشيم) لا يخطئ أبداً.

(نافجة): نحن لا نرى شيئًا على مد البصر سوى الرمال..

(رافدة) توجه نظرها لجوادها ثم تقول: لقد توقف هنا فلا بد أن الماء قريب

(نافجة) تضع عكازها أرضاً وتجلس: على أي حال لقد أرهقنا الدواب بذلك العدو ويجب أن نبيت هنا للراحة..

(عوراء) تسير وتستلقي واضعة رأسها بحجر (نافجة): لا يوجد ماء إذاً يا عمة ؟

(رافدة) تمسح على وجنة جوادها وهي تحدثه: أين الماء يا (لشيم) ؟

بدأ الجواد يصهل مرة أخرى ويضرب الرمال بحوافره..

(عوراء) ورأسها على فخذ (نافجة): ربما يريدنا أن نحفر الأرض..

(نافجة) ملتفتة عليها بحماس: نعم!.. معكِ حق!.. أنتِ ذكية جدّاً!

(عوراء): ما معنى ذكية ؟

(نافجة): هذا إطراء لا تقلقي..

(عوراء): وما معنى إطراء ؟

نزلت (رافدة) تحت حوافر جوادها الذي تراجع للخلف وبدأت تحفر بسرعة..

(عوراء) لـ(نافجة): هل أعاونها يا عمة ؟

(نافجة): العبي في الرمال معها إذا شئتِ.

نهضت الصبية وبدأت تحفر مع (رافدة) وخلال حفرها سألتها: هل سندفن شيئاً هنا ؟

(رافدة) وهي منهمكة بالحفر: فقط احفري بصمت وسترين..

(نافجة): إذا كنتِ تظنين أن الينابيع تتفجر في هذه الصحراء الجرداء فأنتِ مخطئة.. أنا لم أرَ ذلك يحدث إلا في «هجر»..

لم تُنهِ العرجاء كلامها حتى بدأ الماء بالخروج من مكان حفر الفتاتين وأخذ يتدفق بقوة لتدنو الخيول منه وتبدأ بالشرب. التفتت (رافدة) بابتسامة عريضة إلى (نافجة) وقالت: أخبرتك بأن جوادي لا يُخطئ..

شرب الجميع واغتسلوا من المياه العذبة المتفجرة من تلك الحفرة والتي استمرت بالتدفق حتى كونت بحيرة صغيرة مما دفعهم للتنحي عنها قليلاً والبقاء على بعدٍ منها. افترش الجميع الأرض والتحفوا بالسماء وخلدوا للنوم بعد أن روي ظمؤهم. عندما انتصف الليل استيقظت (رافدة) ونهضت وبدأت بالسير تجاه البحيرة. انتبهت

(نافجة) لها فجلست وبدأت تراقبها وتراقب ما تفعله بصمت.

بعد عدة دقائق من مراقبة البحيرة عادت (رافدة) لترى أن العرجاء مستيقظة وتحدق بها فقالت:

ما الذي أيقظك يا عمة ؟

(نافجة): كنت سأوجه السؤال نفسه لكِ!

(رافدة): لقد رأيت رؤيا غريبة في منامي!

(نافجة): ما هي ؟

(رافدة) تجلس أمام العرجاء وبينهما كانت (عوراء) مستلقية نائمة: رأيت أن أبي يقول لي إنه ينتظرني عند نبع الماء.. وكررها علي أكثر من مرة حتى استيقظت وغلبني شعور غريب ورغبة جامحة للذهاب للبحيرة الصغيرة.. انسي الأمر.. كان مجرد حلم سخيف..

(نافجة): هل أبوك لا يزال على قيد الحياة ؟

(رافدة) سارحة أمامها بنبرة حزينة: نعم.. لكنه يعتبرني ميتة..

(نافجة): هل هذا هو سبب هروبك من قبيلتك ؟

(رافدة) بعصبية: أنا لم أهرب.. هم من لا يريدون تركي وشأني!

(نافجة): حسناً.. على أي حال من الجيد أنكِ أيقظتني فبحيرتك الصغيرة لم تعد صغيرة وقد اقتربت من مضاجعنا ويجب أن نبتعد عنها أكثر!

(رافدة) وهي تهز (عوراء) لإيقاظها: صحيح.. الماء لم يتوقف عن التدفق.. أمره غريب!

(نافجة) وهي تقود الخيول بعيداً عن طرف البحيرة: ليس غريباً لهذا الحد.. بعض عروق الماء كبيرة وغنية وما أن يشق جزء منها للسطح حتى تتكون الواحات العظيمة.

(رافدة) وهي تقود (عوراء) الناعسة لمكان نومها الجديد: مثل «هجر» ؟

(نافجة): نعم.. مثلها تماماً.

(رافدة) تساعد (عوراء) على الاستلقاء ثم تسند رأسها لردفها: حديثك عنها جعلني راغبة ومشتاقة لرؤيتها..

(نافجة) مستلقية أمامها مسندة رأسها لزندها المثني: إذا مُد في عمري وعمرك فسآخذك إلى هناك..

(عوراء) وعينها مغمضة: خذيني أنا أيضاً يا عمة..

ابتسمت (نافجة) وقالت: سنأخذك لكن قبلها يجب أن نبتاع لكِ رداءً غير الذي كنتِ تتسولين به!

(رافدة) بتهكم ضاحكة: لم أرَ متسولة بجسد ممتلئ هكذا من قبل!

(عوراء) دون أن تفتح عينيها: زوار المدينة كانوا كرماء معي..

(رافدة) وضحكها يتعالى: أكثر من اللازم فيما يبدو!

لم تستطع (نافجة) منع نفسها من الضحك أيضاً لكنها حاولت إنهاء الموضوع:

- كفى يا (رافدة) لا تلمزيها بالقول!

(رافدة) بضحكة مكبوتة لـ(عوراء): حسناً.. أنا أعتذر.

(عوراء) وعيناها لا تزالان مغمضتين: لا بأس يا عمة أنا لم أستأ من كلامها..

صمت الثلاث لفترة لم تستطع فيها (رافدة) أو (نافجة) العودة للنوم..

(نافجة): إضحاككِ لي طرد النوم من عيني..

(رافدة): وما العيب أن نضحك من وقت لآخر يا عمة ؟

(نافجة): حياتي ليست حزينة ولا سعيدة.. إن كان هناك شيء محزن في حياتي فهو أني أستطيع عد وحصر الأوقات التي ضحكت فيها من قلبي..

(رافدة): حياتك لم تنتهِ بعد يا عمة.. وما زال هناك وقت للضحك.

(نافجة): أنتِ تتحدثين عن امرأة تناهز السبعين من العمر.. عن أي عمر تتحدثين ؟

(رافدة) باستغراب: السبعين ؟.. مظهركِ لا يدل على ذلك أبدًا يا عمة!

(نافجة) مبتسمة: سأشاركك يوماً أحد أسرار الحفاظ على شبابك.. لكن هذا لا يعني أن أيام عمري لم تتناقص وتشرف على النفاد.

(رافدة): جدتي بلغت المائة والعشرين من عمرها ولا تزال تتنفس!

(نافجة): جدتك تزاحمنا في الهواء.. من الأفضل لها أن تموت..

ضحكت (رافدة) بقوة دفعتها لرفع رأسها من على ردف (عوراء) والجلوس والسعال من كثرة الضحك..

(نافجة) تبتسم وهي لا تزال مستلقية متوسدة زندها: لم أكن أمزح بالمناسبة..

(رافدة) واضعة يدها على صدرها وتسعل: لم أكن أعرف أن العرجاء تملك روحاً مرحة هكذا!!

اكتفت العرجاء بالصمت مبتسمة ولم ترد..

(رافدة) بهدوء وصرامة: أعدك يا عمة أن لا أحد سَيَمَسُّكِ قبل أن يمر بي.

(نافجة): أريد وعداً آخر منكِ..

(رافدة): ما هو ؟.. لكِ ما تريدين.

(نافجة): عندما يحين الوقت لرحيلي.. وسيحين.. خذي (عوراء) واهربي..

(رافدة): أهرب ؟.. لن..

(نافجة) مقاطعة كلامها: معركتي ليست معركتكما وموتكما لن ينفعني.. فقط عديني بذلك.

صمتت (رافدة) بوجهٍ مستاء ولم تجب..

(نافجة) بحزم: عديني يا هجدانية!

(رافدة) بنبرة متذمرة: أعدك.. لكن ذلك لن يحدث.. لن يتمكن أحد منكِ..

(نافجة): وعدك هذا قيد على رقبتك.. التزمي به.

(رافدة): سأفعل..

(نافجة) مغمضة عينيها: اخلدي للنوم الآن..

قبل أن تعود (رافدة) للاستلقاء مرة أخرى سمعت الاثنتان صوت غناءٍ قادم من على بُعدٍ يسير منهما وتحديداً من وسط البحيرة فجلست (نافجة) وحاولت إمعان النظر تجاه مصدر الصوت، وبالرغم من أن القمر كان مكتملاً ووفر الكثير من الضوء إلا أنها لم تتمكن من رؤية شيء فسحبت عكازها ووقفت وبدأت تعكز تجاه البحيرة و(رافدة) خلفها جالسة تقول: إلى أين يا عمة ؟

(نافجة) مستمرة بالسير تجاه البحيرة: لأتحقق من مصدر الصوت بالطبع!

(رافدة) تنهض وتلحق بها: سآتي معكِ!

وقفت الاثنتان عند طرف البحيرة المجاور لهن وحاولتا رؤية مصدر الغناء الذي لم ينقطع. كان الصوت لامرأة ولم يكن غناؤها جميلاً بل فيه بحة مزعجة.

(نافجة): هل تظنين أن قافلة ما وقفت في الطرف الآخر من البحيرة خلال نومنا ؟

(رافدة): ربما !..

وضعت العرجاء عكازها على الرمال المبتلة عند طرف البحيرة وهمت بدخولها سباحة فأمسكتها (رافدة) من ذراعها بقوة وقالت بتوتر:

ماذا تفعلين يا عمة ؟!.. هل فقدتِ عقلك ؟!

(نافجة) تسحب ذراعها من قبضة (رافدة) بهدوء وتستأنف دخولها البحيرة:

-أريد أن أرى من هي صاحبة هذا الصوت الجميل..

(رافدة) بتعجب: جميل ؟!.. هل تسمعين نفس ما أسمعه ؟.. صوتها بشعٌ جدّاً!

(نافجة) وقد بدأت بالعوم لمنتصف البحيرة وبصوتٍ خدر: لن أغيب طويلاً..

قفزت (رافدة) في الماء وأخذت تحاول منع (نافجة) من التقدم أكثر لكنها كانت تقاومها وكأنها لا تملك خياراً فيما تفعل، وبين شد وجذب لإعادتها لليابسة بدأت حرارة الماء بالارتفاع وصعدت تزامناً معها أبخرة كونت غطاءً ضبابيّاً حجب الرؤية عنهما تماماً ولم تكونا تستطيعان رؤية أكثر من مسافة ذراعٍ أمامهما.

أفاقت العرجاء مما كانت فيه وقالت بقلق: ما الذي أتى بي إلى هنا ؟.. أين نحن ؟

(رافدة) بتوتر يتزايد مع تزايد حرارة الماء حولهما: نحن في البحيرة يا عمة ويجب أن نخرج منها فوراً!

(نافجة) وهي تهم بالسباحة: ماذا تنتظرين إذاً ؟!.. هيا قبل أن تنسلخ جلودنا!

لم يكن طريق العودة واضحًا فالرؤية المحدودة أمامهما منعتهما من تحديد الوجهة الأقرب لأحد أطراف البحيرة، لكن ومع هذا كان

ولا بد أن تصلا في نهاية المطاف إذا استمرتا بالعوم في خطٍ مستقيم غير أن ذلك لم يحدث ولم تريا الساحل الرملي وحرارة الماء شارفت أن تلامس الغليان والأبخرة المتصاعدة بدأت تكتم أنفاسهما فقالت (رافدة) وهي مرهقة من استنشاق الأبخرة:

ألا يمكنك استخدام طلسمٍ ما لإخراجنا من هنا يا عمة ؟

(نافجة) والإعياء بادٍ عليها: سأحاول..

أخرجت العرجاء كفيها المتجعدين من حرارة الماء وألصقت بعضهما ببعض في نية لقراءة طلسمٍ سريع لكنها لم تلحق أن تتمتم بشيء لأن مجموعة من الخيوط البيضاء خرجت من الماء والتفت على معصميها وباعدت بين كفوفها لتخرج حزمة ثالثة وتلتف حول عنقها وتبدأ بخنقها. فُجعت (رافدة) مما يحدث أمامها وأخذت تحاول فك الخيوط الملتفة حول عنق العرجاء لكن ما حدث هو أن تلك الحزم من الخيوط البيضاء شدت من قبضتها أكثر على عنق (نافجة) ومعصميها ولم يكن هناك مجال للخلاص بهذه الطريقة.

خلال تلك المعاناة والحيرة خرج مصدر الخيوط البيضاء على بعد عدة أذرع منهما وكان رأساً بشعرٍ طويل.. رأس امرأة عجوز مبتسمة

بأنيابٍ طويلة وخمس نجومٍ موشومة على وجنتها اليسرى. عندما رأت (رافدة) وجهها الباسم البشع علمت أنها متنورة أتت لقتل العرجاء، فاستجمعت شجاعتها وسحبت سيفها من غمد ظهرها وقطعت خصلة الشعر الملتفة على عنق (نافجة) وأتبعت ذلك بحركتين قطعت بهما الشعر المقوض لمعصميها. كانت العرجاء على وشك الإغماء من شدة الإرهاق وانقطاع النفس لمدة طويلة ولم تكن تملك القوة الكافية لتوازن نفسها فوق الماء لذا لو لم تسندها (رافدة) لكانت ستغوص للقاع.

بدأت الفارسة الهجدانية بالسباحة والعوم مبتعدة عن تلك العجوز الباسمة لكنها لم تستطعْ رؤية طريقها بسبب الأبخرة البيضاء الكثيفة المحيطة بهما، ولم تلمس يابسة حتى بعد مدة طويلة من السباحة والعجوز تعوم خلفهما مخرجة جبينها وأعينها فقط وكأنها تنتظر انهيارها. توقفت (رافدة) عن العوم وهي ممسكة بالعرجاء وتتنفس بثقل ملتفتة يمينًا وشمالاً لتُخرج العجوز رأسها بالكامل من الماء الساخن وهي تبتسم بأنيابها الطويلة. ضحكت بعدها ضحكاتٍ متعالية وهي تقول بنبرة غليظة ومخيفة وبلهجة عربية ركيكة:

«لا مفر يُرجى.. سلميني العرجاء.. وستخرجين من هنا..»

لم ترد (رافدة) عليها وتشبثت أكثر بعمتها شبه الفاقدة لوعيها واحتضنتها مغمضة عينيها هامسة في أذنها: هذه ليست النهاية.. هذه ليست النهاية..

غطست العجوز ذات الشعر الأبيض الطويل في الماء بنية الهجوم عليهما من الأسفل وسحبهما للقاع لتهلكا غرقاً، لكن قبل أن تصل إليهما سمعت (رافدة) صوتاً ينادي عليهما من أحد الجوانب.. كانت (عوراء).. تبحث عنهما بعد ما استيقظت ولم ترَهما بجانبها. فرحت (رافدة) بصوت الصبية كثيراً وتجدد الأمل بالنجاة في قلبها وأخذت تصرخ لها:

استمري بالنداء ولا تتوقفي!

(عوراء) من خلف الضباب الكثيف ومن مسافة بعيدة: حسناً!

استمرت الصبية بالمناداة عليهما فاستعانت (رافدة) بصوتها واستخدمته كبوصلة ترشدها نحو ساحل البحيرة وشدت من قبضتها على (نافجة) وبدأت تعوم بكل قوتها. لم تمضِ ثوانٍ حتى



أحست بأن شيئًا ما قد شد العرجاء بقوة للأسفل لكنه لم يتمكن منها تماماً فزاد توترها لأنها لم تملك سوى ذراع واحدة تجدف بها، فتجاهلت ما حدث واستمرت بالعوم إلى أن وصلت عند قدمي (عوراء) الحافيتين وما أن رأتهما حتى جثت على ركبتيها ومدت ذراعيها وعاونتها في سحب (نافجة) لبر الأمان. بدأت (رافدة) بسرعة في تفحص جسد العرجاء خشية أنها تعرضت لإصابة ما جراء تلك الجبذة وبينما هي منهمكة في ذلك خرجت العجوز بجسدها العاري المتجعد وشعرها الأبيض الطويل الممتد لوسط البحيرة وهي تقول بعربيتها الركيكة:

«الموت يحوم حولنا.. يا ترى أيٌّ منكن سترحل قبل الأخرى ؟»

اندفعت خصلات شعرها الطويلة نحو الثلاث ولفتهن في شرنقاتٍ من الخيوط البيضاء المبتلة وقيدتهن بالكامل ولم يظهر منهن سوى رؤوسهن. وقفت العجوز فوق (نافجة) التي فقدت الوعي تماماً ومن جانبها (رافدة) التي تصرخ فيها تارة وتستغيث تارة أخرى، أما (عوراء) فقد كانت صامتة وتدمع من شدة الرعب وهي تراقب تلك الممسوخة تقترب من رأس عمتها بوجهها البشع. تعالت صرخات

(رافدة) فالتفتت إليها العجوز ولفت ما تبقى من وجهها وأخرستها. حُجب بصر الفارسة الهجدانية بالكامل وجزء كبير من سمعها ولم تكن ترى سوى خيال بسيط لما يحدث أمامها وحولها، وبالرغم من أن أنفاسها لم تكن سلسة إلا أنها لم تكن تختنق وتمكنت من التنفس بثقل وصعوبة تحت حزمة الشعر الكثيفة الملتفة على وجهها.

وميض قوي ينتشر بالمكان..

أحست (رافدة) بذلك لكنها لم ترَ مصدره..

رأت فقط لمعانه من خلف الغطاء المشعر على عينيها..

هزة قوية انتفض لها جسدها..

وكأن عاصفة رملية قوية قد عصفت بالمكان..

صرخة عالية وحادة تصدر من العجوز كادت تمزق سمعها..

تبعها ظلام دامس وهدوء كالموت..

مع توقف كل شيء فجأة أحست (رافدة) بانهيار ما تبقى من قوتها خاصة بعد تلك الرجفة التي صعقت جسدها وغطت في نومٍ عميق ولم تقوَ على تخليص نفسها..



أفاقت الفارسة الهجدانية بعد مدة غير معلومة لها من الزمن في وقتٍ من منتصف النهار وهي تحس بشخصٍ يحررها من قيودها المشعرة وما أن تحررت وأزالت ما كان يغطي وجهها حتى رأت (زمجد) جالساً أمامها بهيئته البشرية مبتسماً وهو يقول: هل أنتِ بخير يا سيدتي ؟

ابتهجت (رافدة) برؤيته وعبرت عن ذلك بابتسامة عريضة ارتسمت على محياها غير أن تلك التعابير السعيدة تبدلت بسرعة للقلق عندما تذكرت (نافجة) و(عوراء) وقبل أن تسأل عنهما أجابها الجني الأزرق:

«إنهما بخير لا تقلقي.. لكن السيدة الكبيرة لا تزال فاقدة للوعي حتى بعد تحريري لها».

نهضت (رافدة) ورأت أن (نافجة) مستلقية مكانها حيث قيدتها العجوز لكن (عوراء) كانت بعيدة عنهم ومستلقية على بطنها وجزء من لباسها ممزق فقالت وهي تشاهدها بتلك الحالة باستغراب:

لمَ رميتها هكذا بعد تحريرها!؟



(زمجد) وهو ينهض من جلوسه: أنا لم أمسها لقد وجدتها بتلك الحالة عند حضوري..

(رافدة): كيف حررت نفسها وماذا حدث البارحة ؟.. لقد كنا في عداد الهالكين قبل أن يظهر ذلك الوميض القوي..

(زمجد): وميض ؟

(رافدة) ملتفتة إليه: نعم.. شعرت بنورٍ قويٍّ تبعه شيء غريب هز جسدي بالكامل فقدت بعدها الوعي ولا أذكر ما حدث!

(زمجد): ومن الذي قيدكما هكذا ؟

حكت (رافدة) للجني الأزرق كل ما حدث معهن منذ بحثهن عن الماء حتى هجوم العجوز عليهن وتقييدها لهن عند طرف البحيرة وكيف أن وميضاً ظهر فجأة خلصهن من الموت.

(زمجد): هذا ما حدث معي تماماً عندما كنت عند فوهة الكهف..

(رافدة): ما الذي حدث معك ؟

انقطع حوارهما بصوت (نافجة) وهي تستيقظ وتصدر أنيناً جرت على أثره (رافدة) نحوها وجثت عند رأسها وأسندته لفخذها وهي

تقول:

هل أنتِ بخير يا عمة ؟

(نافجة) تفتح عينيها ببطء وترى (زيجد) واقفاً أمامها لتبتسم قائلة:

لقد عدت أيها الفارسي إذاً.. أين كنت ؟

(زيجد): في إغماءة مشابهة لما كنتن فيه للتو..

(نافجة) تجلس بثقل وتبحث بيدها حولها: أنا لا أذكر الكثير مما حدث بالأمس..

(رافدة): عن ماذا تبحثين يا عمة ؟

(نافجة) وهي تمرر أصابعها على الرمال بخدر: عكازي.. أريد عكازي..

حمل الجني الأزرق العكاز الذي كان ملقىً عند طرف البحيرة ومده لسيدته..

نهضت العرجاء مستعينة بعكازها وكتف (رافدة) وهي تقول: أين الصبية ؟

أشارت (رافدة) لجسد (عوراء) الملقى على بعدٍ منهم فعكزت نحوها

بخطواتٍ متسارعة حتى أصبحت عندها وأخذت تكزها برأس عصاها على ظهرها حتى استدارت بوجهٍ ناعس مملتئ بالرمال قائلة:

«هل سنرحل الآن يا عمة ؟»

(نافجة) مبتسمة: نعم.. لكن أخبريني قبلها.. ما الذي مزق رداءك ؟

(عوراء) متفحصة رداءها الممزق من أطرافه: لا أعرف!.. لا أذكر..

(رافدة): يجب أن نُحضر لها رداءً جديداً.

(نافجة): وزاداً وشراباً لنا ولدوابنا..

(زجد): يمكنني إحضار ما تشائين يا سيدتي.

(نافجة): أحتاج بعض المال فقط.. هل يمكنك توفير ذلك ؟

(زجد): نعم بكل سهولة.. سيكون بين يديك قبل أن يرتد طرفك.

(نافجة): لا أريده مسروقاً أيها الفارسي.. أنا لست عجوز القدر ولن أقبل مالاً أخذ بغير حق..

(زجد): سيستغرق الأمر وقتاً أطول إذاً!

(نافجة): كم تحتاج من الوقت ؟

(زمجد): لن أزيد على ليلة بضحاها..

(نافجة): سنبقى هنا بانتظارك حتى تعود.

حنى الجني الأزرق رأسه واختفى..

(رافدة): هل ستخبريننا يا عمة الآن بالحقيقة ؟

(نافجة): حقيقة ماذا ؟

(رافدة): حقيقة هذا العبد الغريب.. هو من الجن فهمت ذلك.. لكن ما حكايته وكيف سخرتِه لخدمتك ؟!

(عوراء): لم أرَ جناً من قبل.. هل حقاً هو من الجن ؟.. أشكالهم لا تختلف عنا!

(نافجة): هو متشكل مثلنا فقط.

(رافدة): نعم لقد رأيت شكله عندما كنا نتعارك مع المتنورة.

(نافجة): حتى ذلك لم يكن شكله الحقيقي.. هي أشكال يختارونها فقط لنراهم بها..

(رافدة): لِمَ لم تطلبي منه أن يُحضر ما نحتاجه ؟.. ثم ما فائدة المال ونحن في هذا المكان المقطوع ؟

(نافجة): عندما يُحضر المال سأطلب منه أن ينقلنا للسوق.. لأكبر سوقٍ في الجزيرة.. «سوق الحجاز».. هناك سنتزود بكل ما نحتاجه.

(رافدة): ينقلنا ؟

(نافجة) مبتسمة: الجن يملكون قدرات كثيرة وستريانها قريباً..

الشهاب المشتعل



في مكانٍ غير معلوم شرق فارس وغرب بلاد السند..

رجل بهيبة الملوك ولحية بيضاء كثيفة وجسدٍ ضخمٍ مفتول العضلات كجسد شابٍّ في عقده الثالث يجلس في قصرٍ كبير فوق قمة جبلٍ مغطى بالثلوج..

عرشه الرخامي محاطٌ بينابيع يتدفق ماؤها من أعلى لتجري في نهرٍ لخارج القصر..

ينحني أمامه اثنان..

أحدهما نحيل يلبس إزاراً أخضر والجزء العلوي من جسده مكشوف وعليه بوادر التقدم في العمر ظاهرة ويُدعى (آغ)..



الآخر يلبس وشاحاً أبيضَ غطى معظم جسمه وشعره الأشقر لم يضاهِ لمعانه سوى أعينه الزرقاء وكان يلقب بـ(روشني)..

(آغ) واضعاً كفيه على كتفيه منزلاً رأسه محدثاً الرجل الكبير المعتلي العرش الرخامي: سيدنا وقبلة نورنا.. أتينا لننهل من حكمتك اللامتناهية ومشورتك الثاقبة..

(السيد الكبير) بصوتٍ يقشعر له البدن من غلظته: كتاب سليمان..

(روشني) نازلاً على إحدى ركبتيه حانياً رأسه: لقد أرسلنا مجموعة من القتلة لعربستان لإحضار ثمن الكتاب حسب طلب (الماران).. ولا شك أن أحدهم سيعود به في أي لحظة..

قوطع حوارهم بدخول رجلٍ ثالث أسمر البشرة وحليق الرأس والوجه يلبس حزاماً ذهبيّاً امتلأ بالخناجر ولباسه كان كالجلباب الفضفاض المصنوع من القنّب الهندي غطى جسده بالكامل بما فيه رأسه. عندما أصبح ذلك الرجل أمام السيد الكبير رفع الغطاء عن رأسه خلال نزوله هو الآخر على ركبته قائلاً:

لقد قُتل ثلاثة منهم.. للتو وصلني الخبر..



(آغ) متراجعًا عن البقية وكأنه لا يريد أن يكون بجانبهما:

- قتلوا ؟!.. القتلة لا يُقتلون ؟

(روشني) مديراً نظره للرجل الأسمر المنحني بجانبه أمام السيد الكبير وبنبرة متوترة: - انتقِ كلماتك بحذر يا (فايو).. نحن في حضرة السيد الكبير ولسنا في اجتماعٍ خاص..

(فايو) موجهاً نظره للسيد الكبير وحديثه للجميع: لن أقدم سوى الحقيقة لسيدنا.. اثنان من القتلة المصنفين قتلوا.. والآخر كان تحت التدريب فقط..

(السيد الكبير) بهدوء: القاتل هو من يطلب الماران رأسه ثمنًا لكتاب سليمان ؟

(فايو): نعم.. لم نتوقع منها هذه المقاومة.. فهي مجرد ساحرة.. سقوط (سائمة) لم يفاجئني بقدر سقوط (الحرباء)، لكن يبدو أن تلك الساحرة العربية تملك قدرات نجهلها

(آغ): ألم تكن (الحرباء) من الرتبة الخامسة ؟

(فايو) بنبرة تخللها حرج وخيبة: بلى..

(السيد الكبير) وسخطه بدأ يتعالى: وتجرؤ أن تأتي وتقولها أمامي ؟!.. لو شاع هذا الخبر بأن قتلة الطائفة الجنتية يُذبحون على يد بدوية في الصحراء فسنكون أُضحوكة!

(فايو) والفزع والتوتر يسيطران عليه: أعدك أن ذلك لن يحدث مرة أخرى وسوف ننجز المهمة على أكمل وجه وكما تشاء يا سيدي.

(السيد الكبير) بغضب مخيف: هذا ليس خياراً يا قائد القتلة!! هذه المهة الآن رُبطت بحياتك وأحدكما سيموت في نهاية الأمر!.. لا ترني وجهك مرة أخرى إلا ورأسها محمولٌ بيدك أو سيكون رأسك تحت قدمي!

خرج (فايو) يجر أذيال الخيبة من غضب سيده عليه وهذا لم يحدث له من قبل فقتلة الطائفة الجنتية نادراً ما يفشلون في مهامهم التي يرسلون لها، وحتى فشلهم لا يقود لقتلهم إلا في حالات نادرة جدّاً ومع خصوم أكثر قوة. بعد خروج قائد القتلة (فايو) من المكان تحدث (روشني) بقلق لسيده:

لا تغضب يا سيدي هذه مجرد عثرة وسنتجاوزها..

(السيد الكبير): وكم من العثرات ستواجهون إلى أن أحصل على مرادي ؟!

(روشني): نحن نملك قتلة يمكنهم إبادة عربستان بأكملها لكننا لم نرد أن نعطي تلك العربية شأنًا أكبر مما تستحق.. الموت على يدِ قتلتنا شرفٌ بحد ذاته وإرسال المراتب العليا منذ البداية سيظهرنا بمظهر الخائف منها.

(السيد الكبير) بتجهم شديد ونبرة ساخطة: وما هو مظهرنا الآن بعد مقتل اثنين من المصنفين على يدها.. بدوية حقيرة تجري خلف الدواب تكبدنا هذه الخسارة ؟!.. نحن منارة العلم في الدنيا تهتز مملكتنا التي بنيناها لسنين بسبب عربية ؟!

(روشني): الأمر لا يتعدى كونه سوء طالع في أرضٍ غريبة لا نألفها كثيرًا ولن نخذلك في المرة القادمة.. نعدك بذلك.

(السيد الكبير): تحدث عن نفسك ولا تقدم وعوداً على لسان غيرك.. فشل (فايو) لن يتحمله غيره.. ابتعد عن ناظري الآن قبل أن أصب ما تبقى من جام غضبي عليك!

(روشني) حانياً رأسه متضرعاً وهو يهم بالخروج: أمرك..

خرج (روشني) من قاعة عرش السيد الكبير وعند وصوله لمقره أرسل في طلب شاب صغير من أتباعه. دخل الشاب عليه بعد فترة وجيزة من استدعائه وكان بشعرٍ أسودَ قصير ولديه قرط ماسي في إحدى أذنيه وعندما رآه سيده مقبلاً عليه قال:

«السيد (فايو) أخفق مرتين والسيد الكبير غاضبٌ جدّاً منه وهو الآن يحاول إرضاءه بأي وسيلة بإتمام مهمة قتل العرجاء»

(الشاب): هل تريد مني مساعدته ؟

(روشني) مبتسماً: نعم.. أريدك في مهمة خاصة وسرية!

(الشاب): مهمة من أي نوع ؟

(روشني): مهمة في عربستان وأريدك أن تبدأ بتنفيذها فوراً..

(الشاب): أمرك يا سيدي.

(روشني): لقد اخترتك خصيصاً لهذه المهمة.. لا تخذلني..

(الشاب) وهو يضمحل في الهواء بعد ما سمع تفاصيل مهمته: لن يحدث ذلك..



عروس الحجاز



خلال غياب (زبجد) لإحضار المال الذي طلبته العرجاء بقيت هي والصبية والفارسة الهجدانية بالقرب من تلك البحيرة، ومع حلول الليل أشعلن ناراً باستخدام حطب الصحراء الذي جمعنه بالرغم من أن المنطقة لم تكن غنية به.

(رافدة) وهي جالسة أمام النار وتنظر لألسنة لهبها المتراقصة:

لمَ تريدين الذهاب للحجاز يا عمة ؟

(نافجة) وهي متربعة أمام النار ورأس (عوراء) على فخذها:

ولمَ لا أذهب للحجاز ؟

(رافدة): الحجاز اليوم هي أكبر مكان يجتمع فيه (اليعاقبة) وفرسان الماران وخاصة في سوقها الكبير.. أنتِ العرجاء التي يبحثون عنها منذ أن وطئت أقدامهم أرضنا.. هذه مخاطرة يا عمة!



(نافجة) متجهمة: الحجاز جزء من أرضنا وهي ليستِ لهم كي نخاف من دخولها.. سأدخلها برأسٍ مرفوع وليتعرض لي من يشاء!

(رافدة): لم تجيبيني.. لِمَ سوق الحجاز بالذات.. هناك أسواق كثيرة يمكننا الذهاب إليها في مناطق أخرى ونجد حاجتنا دون التعرض لخطر شعب الماران.. اصدقيني القول وأخبريني عن السبب.

(نافجة) منزلة رأسها وبنبرة فيها ضيق:

لأني لا أصدق ما أسمعه على الدوام وأريد رؤية ذلك بأم عيني..

(رافدة): ما الذي سمعتِه وتريدين رؤيته بعينيكِ ؟

(نافجة): أن أهل الحجاز لا يقاومون شعب الماران بما فيه الكفاية بل يرحبون بوجودهم ولذلك ازدهرت تجارتهم هناك دون المناطق الأخرى في الجزيرة.

(رافدة): هذه هي الحقيقة التي يعرفها الجميع.. أنهم لم يرفضوا الغزاة ويئسوا من إمكانية طردهم!

(نافجة) بغضب: هل رأيتِ ذلك بعينيك ؟!.. متى زرتِ الحجاز آخر مرة ؟!

(رافدة): أنا لم أزرها قط.. لكن.. هذا ما يُنقل لنا على الدوام من القوافل القادمة من هناك.

(نافجة): هذه القوافل مستفيدة من اليعاقبة ومستفيدة أيضاً من نشر مثل هذه الشائعات المحرضة التي تكسر العزيمة وتثبط الهمة.. أنا أعرف الحجاز وأهلها ومن المستحيل أنهم سلموا أنفسهم بسهولة للغزاة.

(رافدة): وما الذي ستستفيدينه لو تحققتِ من أنهم قاوموا أم لا ؟.. الأمر لا يستحق المخاطرة بنفسك!

(نافجة): بل يستحق.. نحن لسنا هكذا.. الجزيرة بجنوبها وشمالها، شرقها وقلبها تقاوم على قدر ما تسطيع فلِمَ تكون الحجاز مختلفة عنهم وهي أساس الحضارة في بلادنا ؟.. أنا متيقنة أن ما ينقل لنا غير صحيح وسوف أتحقق من ذلك بنفسي

(رافدة): أتمنى أن لا نلقى حتفنا سعياً وراء تلك الحقيقة..

(عوراء): هل سأحصل على لباسي من الحجاز يا عمة ؟

(نافجة): نعم يا صبية.

(عوراء): أنا سعيدة لذلك..

(نافجة): لمَ؟

(عوراء): لأن حديثك عنها كان جميلاً وشعرت أنكِ تحبينها كثيراً.

(نافجة): أنا أحب كل حبة رملٍ في أرضي وأرض أجدادي..

(رافدة) بتهكم: أرضنا أصبحت مداساً للعجم!

(نافجة): سأفقأ أعين كل من غزا أرضي من العجم وأرسله إلى العدم..

(رافدة): شيخ قبيلتنا زاره مجموعة من الفرس قبل عدة أشهر...

(نافجة): فرس؟.. وما الذي يفعله هؤلاء الأوغاد في منطقة بعيدة كالتي تقطنها قبيلتك!

(رافدة): لا أعرف لكنهم فيما يبدو كانوا يريدون نشر طرق حياتهم وعقيدتهم الغريبة التي يتبعونها بيننا.. رافقهم شخصٌ يتحدث العربية بطلاقة عجيبة حتى إنه أتقن لهجاتنا القديمة وتحدث مع شيخنا بها!

(نافجة): وهل تأثر شيخكم بسمومهم؟

(رافدة): استضافهم ثلاثة أيام كما هو في عرفنا.. بالرغم من أنه لم يكن مرتاحاً لوجودهم!

(نافجة): هذه عادات العربي الأصيل.. أن يكون الضيف في حمايته الثلاثة الأيام الأولى.. وماذا حدث في اليوم الرابع ؟

(رافدة): أمر الشيخ بدفنهم أحياء أمام خيمته الكبيرة..

(نافجة) مبتسمة ببهجة كبيرة ظاهرة على محياها: بوركت يده..

(عوراء): أنا لست عربية يا عمة.. هل تكرهينني أنا أيضاً ؟

(نافجة): هل تكرهين العرب ؟

(عوراء): بالطبع لا.. لقد عشت طيلة حياتي هنا ولساني عربي ولا أعرف شيئًا في حياتي إلا ما هو عربي

(نافجة): إذاً أنتِ منا حتى وإن لم تكن جذورك قد غرست في أرضنا أما الفرس فلا..

(عوراء): و(زمجد).. هل تكرهينه أيضاً ؟

(نافجة): ما دام عبداً يأتمر لأمري فأنا لا أحبه ولا أكرهه لكن شعبه أعدائي طال الزمن أم قصر..

(عوراء): هم أعدائي إذاً..

(نافجة) تمسح على شعر (عوراء) الأحمر وتقبل جبينها..

(رافدة) تستلقي على الرمال وتوجه نظرها للنجوم: سوف أنام الآن.. هل تريدين مني شيئاً يا عمة ؟

(نافجة): خذي حذرك من العقارب..

(رافدة) مغمضة عينيها: نحن فوق هضبة.. لن تمسنا العقارب هنا.

(نافجة) مبتسمة: نوماً هانئاً يا بدوية..

مع أول إشراقة للشمس واستيقاظ الجميع عاد الجني الأزرق حاملاً معه صندوقاً خشبيّاً صغيراً مده لـ(نافجة) خلال جلوسها مع (رافدة) و(عوراء) على الهضبة الرملية المطلة على البحيرة. أخذت العرجاء الصندوق دون أن تقف ووضعته في حجرها وفتحته والفتاتان تطلان برأسيهما للنظر في محتواه الذي كان مجموعة من القطع الذهبية، فرفعت نظرها لـ(زمجد) الواقف أمامها:

مال حر غير مسروق.. أليس كذلك أيها الفارسي ؟

(زمجد): لن يفتقدها أحد..

(رافدة) ملتقطة قطعة منها وممعنة النظر بها: كم تساوي الواحدة منها ؟

(عوراء) بانبهار: لم أرَ ذهباً من قبل..

(نافجة): هذا أكثر مما نحتاجه.. سوف نأخذ كفايتنا فقط!

(رافدة): وما الضير في أخذها كلها يا عمة ؟

(نافجة) وهي تغلق الصندوق بعد ما وضعت بعض قطعه في جيبها: كثرة المال تُفسد النفوس وشحها يكسرها..

(رافدة) معيدة نظرها للقطعة التي كانت بين أصابعها: أنتِ أول إنسان يذم كثرة المال يا عمة..

(نافجة) وهي تلتقط القطعة الذهبية من يد (رافدة) وتضعها في جيبها: هيا كي نلحق على السوق قبل حلول المساء.

(رافدة) ضاحكة: نلحق على ماذا ؟!.. نحن على بعد مسيرة أسابيع من «الحجاز»!

(نافجة) مديرة نظرها نحو (زمجد) وهي لا تزال تحدثها: لن نحتاج سوى غمضة عين.. أليس كذلك أيها الفارسي ؟

حنى الجني الأزرق رأسه باسماً وفي لمح البصر كان الجميع بدوابهم يقفون عند مدخل «سوق الحجاز» الكبير وسط دهشة عظيمة تجلت على وجه (رافدة) و(عوراء) التي قالت: ما الذي حدث ؟.. أين نحن ؟!



(نافجة): بعض مزايا هذا الفارسي المفيدة..

(عوراء) متحسسة جسدها بكفوفها: كيف انتقلنا بهذه السرعة ؟

(نافجة) منتبهة للجني الأزرق وهو يتنفس بثقل: ما بك ؟

(زمجد): لا شيء يا سيدتي غير أن المسافة كانت طويلة بعض الشيء!

(نافجة): أليس نقل الإنس من قدرات الجن ؟

(زمجد): بلى لكن تلك القدرة تختلف من جني لآخر حسب عمره.

(نافجة): هل ستكون بخير ؟

(زمجد): نعم لا تقلقي علي.. برهة من الوقت وأعود كما كنت..

(نافجة) تبدأ بالعكز نحو مدخل السوق: هيا كي نتسوق إذاً.

(رافدة) تستوقف العرجاء وتُسدل خمارها على رأسها مغطية معظم ملامحها: أعرف بأنكِ شجاعة يا عمة لكن لا ضير من الحرص..

(نافجة) بتهكم: ماذا عن قدمي المبتورة ؟.. لن تستطيعي إخفاء سير عكزي!

(رافدة): سيأخذ الجني الأزرق مكان قدمك المفقودة مثلما فعل سابقاً.

(نافجة): أنا لست خائفة منهم.. حاولي أن تفهمي ذلك.

(رافدة) بنبرة صارمة: لكن أنا خائفة عليك ولن تمنعيني من حمايتك!

ابتسمت العرجاء وهي ترى قلق وحرص الفارسة الهجدانية عليها فأشارت لـ(زمجد) أن يتشكل كقدمها ففعل وبدأت بالسير بشكل طبيعي نحو السوق.

أمسكت (رافدة) بلجام (الغبساء) و(لشيم) وتبعت العرجاء بعد ما ربطت عكازها بفرسها..

دخل الجميع سوق «الحجاز» الكبير والذي اكتظ بالناس والبضائع المعروضة من كل أطراف الجزيرة. كان أكثر المنبهرين بما يحدث هي (عوراء) لأنها لم ترَ شيئاً مثل هذا من قبل، ما دفعها لزيادة وتيرة سيرها حتى أصبحت بجانب (نافجة) لتمسك بطرف لباسها وتتشبث به وعيناها المتسعتان تحومان وتجولان حول السوق في محاولة لاستيعاب ما تراه من زحام وأصوات متعالية بين المتسوقين والبائعين.

وقفت (نافجة) عند رجلٍ يملك دكانًا للصرافة ورمت أمامه إحدى

القطع الذهبية التي كانت بحوزتها وقالت له:

أريدها دراهم صغيرة..

أمسك الرجل بالقطعة المعدنية وأمعن النظر إليها لثوانٍ ثم قضم عليها وعاود النظر إليها مرة أخرى..

(عوراء) خلال مراقبتها لما كان يفعله مخاطبة عمتها: هل الذهب يؤكل يا عمة ؟

(نافجة) مخاطبة الرجل: ليس لدي اليوم بطوله.. هيا ناولني الدراهم!

(الرجل): القطعة تساوي ألف درهم لكني لا أملك مثل هذا العدد الآن.. يمكنك الذهاب لدكان الصرافة المقابل لي فهو بلا شك يملك الكثير من الأموال التي يستطيع مقايضة هذه القطعة بها.

التفتت (نافجة) للدكان الذي أشار إليه الرجل ورأت أنه يعود لأحد اليعاقبة فتغيرت معالمها للاشمئزاز وقالت:

لن أتعامل مع هؤلاء القوم..

(الرجل): إذا كنتِ لا تمانعين فلدي ثلاثمائة درهم فقط ويمكنني أن أعوضكِ عما تبقى ببعض القطع الفضية..

(نافجة) معيدة نظرها للرجل: حسناً لا بأس.. ضعها كلها في صُرة واحدة.

نفذ الرجل طلب العرجاء ومد لها صُرة جلدية حوت القطع الفضية والدراهم..

أخذت العرجاء المال وأكملت المسير مع بنتيها إلى أن وصلت لمكانٍ كالإصطبل وطلبت من المشرف عليه أن يقوم بتعليف وسقاية الدواب وتنظيفها حتى تعود، وأخبرته بأنها سترسل مشترياتها من السوق له ليضعها على دوابهم وهذا أمرٌ مألوف في معظم الأسواق.

(مسؤول الإصطبل) : وما هو اسمك كي أعرف أن المشتريات تخصك ؟

(رافدة) مقاطعة حديثهما: ضعها باسم (رافدة الهجدانية)..

(نافجة) مبتسمة: قلقك هذا غير مبرر!

(رافدة): لا تهتمي إذاً ودعيني أقوم بما يرضيني.

(نافجة) وهي تدفع لمسؤول الإصطبل أجرته مبتسمة: بدوية عنيدة!..

استأنف الجميع تقدمهم لوسط السوق وخلال سيرهم قالت (رافدة):

ما الذي سنشتريه يا عمة ؟

(نافجة): لنبدأ بشراء لباسٍ جديدٍ للصبية بدل الذي تمزق..

(عوراء) وهي لا تزال متشبثة بها: أريده أن يكون أخضر اللون.

(رافدة) باستنكار: أخضر اللون!.. لِمَ لا تتركين مسألة انتقاء اللباس لي ؟

(نافجة): دعيها تأخذ ما تشاء.

(رافدة): وأين هم باعة الملابس ؟.. لم أرَ أي أحدٍ منهم حتى الآن!

(نافجة): السوق كبير لا تستعجلي..

(عوراء) تشد لباس (نافجة) وهي تشير لرجلٍ يجلس على قارعة الطريق يشحذ وقد بدت عليه آثار المرض الشديد: عمة!.. أعطيه بعض المال..

(نافجة) ملتفتة إلى المتسول: إنه مصاب بالجذام فلا تقتربي منه!

(عوراء) متوسلة: أرجوكِ يا عمة مدي له بعض الإحسان كي تحل علينا بركته.

(نافجة): السوق مليء بالشحاذين.. هل ستفعلين ذلك في كل مرة نمر بأحدهم وتطلبين بركتهم ؟

(عوراء): لا!.. أعدك!.. فقط هذا المسكين!.. أريد أن تحل علينا البركة خلال تسوقنا!

(رافدة): لِمَ لا تحسنين أنتِ إلى العمة ببركة الصمت ؟

(نافجة) وهي تزفر وتتوجه للمتسول وترمي عليه درهماً: هل ارتحتِ الآن ؟

(الشحاذ) ملتقطاً الدرهم من الأرض ومخاطباً (نافجة):

ليتكِ عزفتِ عني لأبيت جائعاً.. بخستِني بعطائك وليتكِ لم تعطيني..

ضحكت (رافدة) من كلام المتسول وقالت: ما هذا الشحاذ المتحذلق ؟

(نافجة) لـ(عوراء): هل هذا ما تريدينه ؟.. أن نُهان من أبي الجذام هذا ؟

(عوراء) متوسلة وهي تبتسم: أعطيه المزيد يا عمة.. إنه مسكين وسيمنحنا بركته..

(نافجة) وهي ترمي درهماً آخر عليه بتأفف وتذمر: خذ أيها المسكين لتحل علينا بركتك!

(الشحاذ) ملتقطاً الدرهم الثاني قائلاً:

أرى المنة في عينيكِ.. بئس العطاء والمعطي..

انفجرت (رافدة) بالضحك ولم تتمالك نفسها كي لا تغضب عمتها لكنها كانت معجبة بسلاطة لسان المتسول..

(نافجة) متجهمة: ماذا تريد ؟.. ألا يرضيك شيء ؟!

(رافدة): هذا المتسول كالحفرة بلا قاع..

(الشحاذ) بنبرة بائسة:

هكذا هم الأغنياء.. يذلون الفقراء لأنهم يملكون الصحة والمال ولا يطيقون سماع المحتاج حتى بسؤال..

(نافجة): أنا أعرف تماماً ما الذي سيرضيك..

رفعت العرجاء سعفة نخيل جافة كانت ملقاة على الأرض بجانبها وبدأت تنهال عليه بالضرب والجلد مبتدئة برأسه ومنتهية ببطنه وظهره وهي تقول:

لا كرامة لمن خُلق ذليلاً مطأطئ الرأس ولا يرفعه إلا للبصق في وجه من يُحسن إليه..

صرخت (عوراء) في عمتها وهي تقول: ماذا تفعلين يا عمة ؟!

سحبت (رافدة) الصبية كي لا تقاطع عمتها وهي تضرب المتسول وهمست في أذنها قائلة: لا تتدخلي فالعمة تهديه شيئًا من بركتها..

بدأ المتسول يصرخ متوجعاً ومتوسلاً وهو يقول:

كفى يا سيدتي!.. أتوسل إليكِ أن ترحميني!

توقفت (نافجة) عن ضربه ورمت السعفة الجافة على وجهه وقالت متجهمة:

هل تريد المزيد من المال أيها المبارك ؟

(الشحاذ) معتدلاً في جلسته ومسنداً ظهره للجدار وبأنفاس ثقيلة ومتقطعة قال:

أعطيتِني أكثر مما أستحق يا كريمة.. وأكثر من ذلك سيكون إسرافاً..

(نافجة) وهي تهم بالرحيل: جيد..

شدت (رافدة) (عوراء) وهي تكتم ضحكاتها من شكل المتسول بعد ما تلقاه من عقاب وتبعت عمتها..

(عوراء) بتجهم لـ(نافجة): التخلي عن الضعفاء أمرٌ مقيت يا عمة!

(نافجة) دون أن تلتفت إليها:

لا أحد يتخلى عن أحد لأنه لا أحد مسؤول عن أحد..

(عوراء) بحزن: سيكرهكِ الناس إذا لم تحسني إليهم..

(نافجة): عندما يكرهك الناس ستكون مسؤولياتك تجاههم أقل وهذا أمرٌ مغرٍ..

(رافدة) لـ(عوراء): لا تجادلي العمة فلن تغلبيها أبدًا..

أقبل الثلاثُ على جزء من السوق انتشرت فيه محلات الملابس والعطارة والأقمشة والحلي والمجوهرات بأنواعها فقالت (عوراء) وهي متنشية:

هل سأشتري لباسي الجديد من هنا ؟!

(نافجة): نعم.. اذهبي وابحثي عن ما تريدين وعودي كي أبتاعه لكِ.. لكن لا تبتعدي كثيراً ولا تشتري من محلات اليعاقبة.

(عوراء): وكيف أعرفهم؟

(نافجة): هم من تكون أشكالهم كالقردة ويتحدثون كالحمير..

(عوراء) وهي تائهة: لم أفهم!

(نافجة): اذهبي فقط ولا تبتعدي..

(رافدة) وهي تراقب الصبية تسير نحو الحوانيت: هل من الحكمة تركها في السوق تتجول وحدها يا عمة ؟.. الأسواق أماكن خطرة وممتلئة بالمتربصين خاصة بصبية صغيرة مثلها!

(نافجة) وهي تتوجه لمحل عطارة قريب منها: لا تقلقي لن نفقدها والفارسي معنا.

جرت (عوراء) لمحلات الملابس القريبة وبدأت تبحث فيها عن شيء يعجبها وخلال ابتعادها دنت (رافدة) التي كانت تتفحص بضاعة محل العطارة وقالت:

هل سنبيت في المدينة اليوم يا عمة ؟

(نافجة) دون أن تلتفت إليها خلال تذوقها لمسحوق من شوالٍ كبير: لا.. سنأخذ ما يلزمنا ونرحل.

(رافدة): ماذا عن التحقق من رفض أهل الحجاز لوجود اليعاقبة.. أرى أن الجميع هنا يعملون بانسجام ولا أحد معترض على ذلك غيرك!

(نافجة): ما زال الوقت مبكراً للحكم..

(رافدة) وهي تعبث في بعض بضائع المحل بيدها: أنا شخصياً اتخذت قراري.. لقد سلم أهل الحجاز أرضهم طواعية حتى إن الحراس عند مدخل السوق كانوا من فرسان الماران ولن أستغرب إذا حكم المدينة أحد منهم فهم متغلغلون في كل مكان.

(نافجة) وهي تسحب قارورة صغيرة وتشم محتواها:

تَقَبُّل أمرٍ ما لا يعني قبوله..

(رافدة): ماذا تقصدين ؟

(نافجة): انتشار المرض في الجسد لا يعني أن المرض هو الأصل وأن الجسد يقبله أو يتقبله.. أهل الحجاز ليسوا أقل شهامة من بقية العرب.. معلمي السابق كان حجازيّاً وتعلمت منه الكثير عن حب الأرض والدفاع عنها.

(رافدة): ومن كان معلمك ؟

(نافجة) متجاهلة سؤالها وموجهة حديثها للبائع الجالس:

هل لديك لحاء نبات الجوز ؟

نهض البائع من مكانه وأخرج بعض القطع الخشبية اللينة ومدها لها بصمت..

أخذت العرجاء اللحاء ومررت طرف لسانها عليه ثم أخذت كسرة منه وبدأت تطبطب به على شفتيها وتفرك به أسنانها و(رافدة) تراقبها باستغراب: هل هذا طعام يا عمة ؟

(نافجة) وهي تمد قيمته للبائع: هل تريدين تجربته ؟

(رافدة): تجربة ماذا ؟

(نافجة) تمد قطعة من لحاء شجرة الجوز لها وتقول: فقط ضعي منه على شفتيك..

أمسكت (رافدة) بقطعة اللحاء وبعد النظر إليها لثوانٍ قربتها من فمها وما أن لامست لسانها وشفتيها حتى بصقته وهي تقول: إنه لاذع!!

(نافجة) وهي تسير مبتعدة عن المحل: لأنه جيد.. لو كان بارداً لما اشتريته..

(رافدة) تلحق بعمتها وهي لا تزال تحاول تذوق اللحاء مرة أخرى بوجهٍ مُنكمش: لكن ما فائدته ؟!

(نافجة) وهي تقف عند محل آخر وتعاود دعك طرف قطعة اللحاء على شفتيها: يعطي بعض القبول لوجوهنا..

(رافدة) رافعة القطعة أمام ناظرها: إذاً هي للتجمل!..

(نافجة) باصقة بعض قطع اللحاء الملتصقة على شفتيها: ربما لكِ.

(رافدة) وهي تحاول وضع كسرة اللحاء على شفتها بحذر: هل هذا أحد أسرار نضارة وجهك في سن السبعين ؟

صمتت العرجاء ولم ترد عليها وهي تتفحص بضائع المحل..

(رافدة) مبتسمة وبخبث: هل تذكرك لمعلمك السابق أثار شيئاً في قلبك يا عمة ودفعك لشراء هذا اللحاء اللاذع ؟

(نافجة) ماسحة بلسانها ما تبقى من اللحاء على شفتيها باسمة: أطبقي فمك يا بدوية..

(رافدة) ملتفتة خلفها: لا أرى (عوراء) يا عمة.. هل أبحث عنها ؟

(نافجة) دون أن تلتفت معها: لا تقلقي إنها قريبة.

بدأت (نافجة) تطوف المحلات وتبتاع بعض اللوازم لرحلتهم القادمة التي لم تحدد مسارها بعد واشترت بعض الخيام الصغيرة

والشعير وقدراً صغيراً وكانت ترسل مشترياتها للإصطبل ليتم تحميلها على الدواب. بعد ما فرغت من تسوقها مع (رافدة) قالت لها: ألا تريدين أنتِ شيئاً ؟

(رافدة): لا.. لم أرَ شيئاً أحتاجه.

(نافجة) مبتسمة: هذا ما أحبه في بنات الصحراء اللاتي لا يستوطن الطين والحجارة.. حاجاتكن محدودة ولم تنجرفن مع المظاهر مثل نساء المدن!

(رافدة): لِمَ أشعر أن في كلامك إهانة مبطنة يا عمة ؟

(نافجة): على العكس تماماً أنا أقدر ذلك بشدة وأحب المرأة الواثقة من نفسها.. غيرك كانت ستشتري الكثير من الأمور التي لا حاجة لها بها.

(رافدة): لو كان لي خيار لاشتريت سيفًا جديداً فقط لا أكثر.

(نافجة): وما الذي يمنعك ؟

(رافدة): السيوف ليست رخيصة يا عمة وليست كشراء قطعة قماش أو بعض العطور



(نافجة): ستشترين سيفاً جديداً وأنا من سيختاره لكِ إذا لم تفعلي أنتِ.

(رافدة) مبتسمة: لا حاجة لذلك فسلاحي جيد

(نافجة) وهي تسير نحو أحد الحدادين المختصين بصنع السلاح: لا جدال معي في هذا الأمر..

وقفت (رافدة) أمام الأسلحة المعروضة في حيرة فقد كانت بين كبيرٍ وصغيرٍ وبأشكالٍ متعددة: لا أعرف يا عمة أيها أختار..

(نافجة): سأريك كيف تختارين..

أشارت (نافجة) للحداد الذي دنا منها قائلاً: تفضلي يا سيدتي بماذا يمكنني أن أخدمك ؟

(نافجة): ما هو أغلى سيف تعرضه للبيع ؟

(الحداد) مديراً نظره للأسلحة المعلقة خلفه ومشيراً لسيفٍ بنصل صنع من معدن بلونٍ غريب مائلٍ للزرقة وقال: هذا..

رفعت العرجاء كفها محركة أصابعها الأربعة في إشارة منها بأن يجلبه لها.. تناولت السيف من مقبضه وبدأت تشوح به وتقول بتعجب:



هذا السيف لا وزن له بالرغم من حجمه الكبير.. هل تحاول أن تغشنا أيها الحداد ؟.. سوف ينكسر من أول ضربة!

(الحداد) مبتسماً: هذا السيف يا سيدتي مصنوع من الحديد المبروق وهذه أهم ميزة فيه وهي اجتماع الخفة والصلابة.

(رافدة): ما هو الحديد المبروق ؟

(الحداد): معدن نفيس ينتج عندما يضرب برق السماء حديد الأرض..

(نافجة): وكيف يحدث ذلك ؟

(الحداد): بمحض المصادفة النادرة فقط.. عندما يضرب البرق الحديد تتضاعف قيمته عشرات المرات لأنه يصبح معدنًا نفيسًا أثمن من الذهب.

(نافجة) بتهكم: وكيف يمكن أن نشتري شيئًا أثمن من الذهب ؟

(الحداد) مبتسماً: قيمته يمكن التفاوض عليها.

(نافجة) مخرجة قطعة ذهبية من صُرة النقود: هل تكفي هذه ؟

(الحداد): واحدة أخرى وسيكون السيف لكِ يا سيدتي.

(رافدة): لا يا عمة هذا كثير!

(نافجة) متجاهلة كلامها ومخرجة قطعة أخرى:

خذ وناولني السيف وأضف له غمداً جلدياً يمكن ربطه على الظهر.

(الحداد): حاضر..

(رافدة) مبتسمة: شكراً يا عمة..

(نافجة): هل سترمين الآخر أم تبيعينه ؟.. يمكنك بيعه على هذا الحداد.

(رافدة) ممسكة مقبض سيفها القديم: لا.. هذا السيف وإن كان قديماً فهو معي منذ زمن طويل ولن أتخلى عنه.

(نافجة): كلمات لا تخرج إلا من فارسة حقيقية..

انقطع حديثهما عندما خرجت (عوراء) من خلفهما وبدأت تشدهما بحماس: لقد وجدته أخيراً!

(نافجة): وجدتِ ماذا ؟

(عوراء) وهي لا تزال متحمسة: أجمل رداء في السوق!.. إنه رائع!

(رافدة) بتهكم: ولونه أخضر بالتأكيد

(عوراء): نعم!.. كيف عرفتِ ؟!

(الحداد) يمد السيف بعد ما وضعه في غمدٍ جلدي: تفضلي يا سيدتي..

أخذت (رافدة) السيف وربطته خلفها قائلة: هيا لنشتري الشجرة التي تريدها!..

(نافجة) ضاحكة: هيا..

سارت الاثنتان خلف الصبية المتحمسة والتي كانت تقفز بسعادة أمامهما نحو المتجر الذي وجدت فيه الرداء الذي أعجبها، وبالفعل وصلن للمكان وابتعن اللباس لها وفي حماسها كانت ستخلع لباسها القديم وتلبس الجديد لكن (رافدة) استوقفتها قائلة:

ماذا تفعلين يا حمقاء ؟!

(عوراء): سأجرب ردائي الجديد!

(رافدة): ليس هنا أمام الناس!

(عوراء): لقد نسيت بسبب حماسي..

(نافجة): ألا يمكنك الانتظار حتى نرحل من السوق ؟

(عوراء): لا.. أريد تجربته الآن!

(رافدة): أنصتي للعمة ولا تكوني طفلة!

(نافجة): لا بأس اتركيها..

سألت العرجاء البائع عن ما إذا كان هناك مكان قريب يمكن للصبية تجربة لباسها الجديد فيه فأشار لها نحو منزل طيني صغير بلا باب وقال:

«يمكنها استخدام هذا المكان..»

ذهب الثلاث لذلك المنزل الصغير والذي بدا أنه مكان لتخزين البضائع فوقفت (نافجة) عند الباب وهي تقول لها: هيا اذهبي وبدلي ملابسك..

(عوراء): لكن لا يوجد باب يا عمة!

(رافدة) بغيظ: للتو كنتِ ستخلعين ملابسكِ أمام السوق بأكمله! والآن تريدين باباً ليغطيكِ ؟!.. ما حكايتك ؟!

(عوراء) بخوف: أخبرتكِ بأن حماسي أنساني نفسي.. لِمَ أنتِ غاضبة مني هكذا ؟

(نافجة) مبتسمة: ادخلي معها يا (رافدة) وأنا سأقف عند الباب.

دخلت (عوراء) ومن خلفها (رافدة) وكان المكان ضيقًا بسبب البضائع المكدسة فيه فقالت الصبية وهي محتضنة للباسها الأخضر الجديد: غطي عينيك..

(رافدة) بتأفف: سأخرج!

(عوراء): لا، أرجوك.. ابقي.. لكن لا تنظري لجسدي.

(رافدة): هل تخجلين مني ؟

(عوراء) بحزن: لا أريدك أن تري جسدي فقط..

(رافدة) تلف وجهها وتسير لتقف مع (نافجة) عند المدخل: حسناً أسرعي!

بدأت الصبية بتبديل ملابسها و(رافدة) تقف بجانب (نافجة) لكنها لم تستمر بالتحديق أمامها مثل عمتها بل أدارت رأسها لتختلس النظر وما أن وقعت عينها على جسد (عوراء) العاري حتى أخذت شهقة قصيرة وغطت فمها وعادت بنظرها للأمام.

(نافجة) وقد لاحظت ما حدث: ما بكِ ؟.. ما الأمر ؟



(رافلة) بنبرة مرتبكة ونظرها للأمام: جسدها أسوأ من وجهها..

تجهمت (نافجة) وتوجهت للمخزن الصغير ودخلت على (عوراء) التي استقبلتها بابتسامة عريضة وهي باسطة ذراعيها مستعرضة رداءها الأخضر الجديد:

ما رأيك يا عمة ؟!

(نافجة) بهدوء وبرود: اخلعي رداءك..

(عوراء) بعجب خالطه بعض الخوف: لِمَ يا عمة ؟.. ما الذي اقترفته ؟

(نافجة): اخلعيه فقط يا ابنتي..

خلعت الصبية رداءها الجديد ورمته على الأرض كاشفة عن جسدها المتلئ بالنُّدب والحروق بأشكالٍ وأحجامٍ مختلفة..

(نافجة) وهي مستاءة مما تراه: من فعل بكِ ذلك ؟

(عوراء) مغطية صدرها بساعدها واضعة قبضتها تحت إبطها ورأسها للأرض: كل من يعبر طريقي وتسول له نفسه.. لا يمكن أن أحصيهم..

سكتت العرجاء ولم تتحدث فقد أحست بالشفقة على تلك الصبية



المسكينة ولم تكن تعرف ماذا يمكنها أن تقول أو تفعل لتخفف عنها وتنسيها ذلك العذاب الذي عاشته لسنواتٍ طويلة منذ طفولتها..

(عوراء) منزلة رأسها خلال صمت (نافجة): هل يمكنني أن ألبس ملابسي الآن ؟.. أرجوك..

مدت العرجاء ذراعها للأسفل والتقطت الرداء الأخضر وبدأت تُلبسها إياه وبعد ما انتهت مسحت على رأسها قائلة:

لقد انتهى كل شيء.. انسي ما كان وفكري بما سيكون..

(عوراء) بحزن: لو لم تهجرني عائلتي لما أصبحت هكذا..

(نافجة): لقد وُهبتِ عائلة جديدة وأقسم لكِ إنها لن تهجرك أبداً..

(عوراء): أي عائلة ؟

(نافجة) مشيرة بقمة رأسها باسمة لـ(رافدة) التي كانت لا تزال تنتظر بالخارج:

أنا وتلك البدوية والفارسي البغيض..

(عوراء) تبادلها الابتسام: حقاً أنا جزء منكم ؟.. أنا لا أملك شيئاً لأقدمه..

(نافجة) تضع رأس الصبية تحت إبطها وتبدأ بالسير للخارج:

أنتِ ستصبحين كعكازي الذي لا أسير دونه..

بعد خروجهما من المخزن الطيني الصغير التفتت (رافدة) إليهما ورأت أن كلتيهما تبتسمان فعلمت أن الأمور على ما يرام وقالت مخاطبة الصبية ببهجة:

هذا الرداء جعلك تبدين كفتيات العرب..

(عوراء) تمسح بكفها على شعرها الأحمر بخجل:

لا يوجد عربيات بشعرٍ كشعري ولا بشرة بيضاء كبشرتي!..

(نافجة): غير صحيح يا ابنتي.. ثم إن رداءك السابق لم يكن لباسك وأنتِ صغيرة وكونه لباساً غير عربي فهذا لا يدل على أنكِ لستِ عربية.. من أين حصلتِ عليه ؟

(عوراء): جميع ملابسي كانت من المحسنين الذين قصدوا المدينة للعلاج وذلك اللباس أهدتني إياه امرأة قدمت لعلاج ابنتها ولم تكن تتحدث العربية.

(رافدة): ولغتك السابقة ؟



لا أذكر عنها شيئًا.. مثل أهلي تماماً لا أعرف عنهم شيئًا.. تعلمت النطق بالعربية فقط لكني لا أجيد رسمها.. أجيد العد قليلاً فقط..

(رافدة): ما زلت لا أصدق أن هناك من يرمي أطفاله ويرحل عنهم!..

(نافجة): معظم البشر لا يمكنهم أن يكونوا تيجانًا لكن أغلبهم يمكن أن يكونوا أحذية.. هناك أناسٌ أسوأ من ذلك يا هجدانية.. أسوأ بكثير.. هيا لنرحل..

(رافدة): هل نحن جاهزون للرحيل الآن ؟

وجهت العرجاء نظرة مطولة للسوق ممعنة النظر في مرتاديه وهم يتسوقون بكل هدوء مع اليعاقبة وزفرت بحسرة..

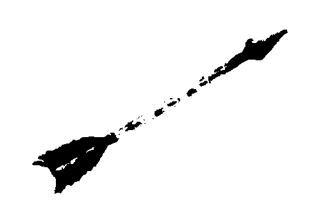
(رافدة): تقبلي الأمر يا عمة..

(نافجة): حتى وإن حدث هذا فهو رغماً عنهم.. الحجاز كانت.. وما زالت.. وستكون للأبد لنا..

(رافدة): ربما.. هيا لنرحل..



سهام الحق



قبل أن يتحرك الجميع نحو الإصطبل لأخذ دوابهم حدثت جلبة وتجمع كبير للناس عند أحد الدكاكين، وكان صراخ النساء مسموعاً وأحاديث المارة والمتسوقين المتعالية تُحدث تجمعًا وزحامًا أكبر لم يفرقه إلا مجموعة من فرسان الماران الذين تدخلوا وفرقوا الناس بالقوة من حول ما اجتمعوا عليه. لفت ذلك التجمهر انتباه العرجاء التي سارت نحوه بسرعة و(رافدة) من خلفها تنادي عليها بقلق:

إلى أين يا عمة ؟!.. لا تقتربي منهم!

لم تنصَع (نافجة) لندائها واستمرت بالجري حتى وصلت لظهور المتجمهرين وأطلت برأسها لترى سبب هذه الفوضى التي دبت فجأة في المكان فشاهدت رجلاً مُلقى على الأرض وفي صدره



ارتكز سهمٌ أرداه قتيلاً.

(نافجة) سائلة من كان بجوارها وعيناها لم تتنحيا عن جثة الرجل المقتول:

ما الذي حدث ؟

(الرجل) وجسده يهتز من تدافع الناس خلفه: ما يحدث كل يوم.. تاجر يعقوبي يُقتل على يد أحد الرافضين لوجودهم ويفر هاربًا!.. هذه ليست أول مرة..

أغمضت العرجاء عينيها وكأن هموم الأرض التي كانت على ظهرها قد أزيحت وابتسمت وكادت تضحك لولا أن (رافدة) شدتها وسحبتها بقوة للخلف وهي تقول بغضب:

هل جننتِ يا عمة ؟!.. ماذا لو رآكِ أحد فرسان الماران وأنتِ تبتسمين هكذا لمقتل أحد أتباعهم ؟!.. ماذا سيكون مصيرك ؟!

(نافجة) وكأنها لم تسمع شيئًا مما قالته (رافدة) وبسعادة كبيرة:

أخبرتكِ بأنهم يمقتونهم مثلنا ولن يرضوا بوجودهم!

(رافدة) بعصبية: هل يمكننا الرحيل الآن قبل أن ينكشف أمرنا إذًا ؟!

(نافجة) ومحياها لا يزال مشرقاً بابتسامة عريضةٍ: يمكننا الرحيل حيث تشائين يا بدوية!

عاد الجميع أدراجهم نحو الإصطبل والعرجاء لا تزال منتشية بما رأته وأن كل ما كان يُنقل من أخبار خارج غرب الجزيرة لم يكن سوى إشاعاتٍ مغرضة. أخذ الجميع دوابهم المحملة بمشترياتهم وقبل رحيلهم عن الإصطبل قررت العرجاء شراء دابة لتمتطيها (عوراء) بدل السير أو الركوب خلفها وبالفعل انتقت لها جوادًا قويّاً لكن (رافدة) قالت:

كثرة الدواب يا عمة ستزيد من عبء تعليفها وسقايتها..

(نافجة): سيأتيها رزقها مثلنا.

قبل أن يصلوا لنهاية السوق المؤدي لمخرج المدينة لاحظت العرجاء أن وجه (عوراء) كان متكدراً فسألتها عن السبب فقالت لها: لم أشترِ كل ما أريد!

(رافدة): لا وقت لذلك.. يجب أن نترك المدينة في الحال فالمكان ليس آمناً لنا وخصوصاً العمة.

(نافجة): ماذا كنتِ تريدين ؟

(عوراء) وهي لا تزال متجهمة كالطفل:

كنت أريد أن أشتري كرات الحنطة وأريد قراءة طالعي أيضاً!

ضحكت (نافجة) من طلباتها لكن (رافدة) لم تكن سعيدة بذلك خاصة وأنها أحست بأن (نافجة) ستستجيب لها فنهرتها:

نحن لسنا هنا في نزهة!.. سنرحل الآن سواءً أردتِ أم لا!

(نافجة) رافعة كفها في وجه (رافدة): هدئي من روعك يا هجدانية..

(رافدة) بعصبية: لا تقولي لي إنك ستنفذين طلباتها الغبية يا عمة ؟!

(نافجة) لـ(عوراء): أين بائع الحنطة هذا ؟

(عوراء) بحماس: بائعة وليست بائعاً وهي سيدة طيبة جدّاً وستعطيني ثلاث كرات مقابل درهمٍ واحدٍ فقط!

(رافدة) بتذمر: لا أصدق أنكِ ستخاطرين بنا لأجلها.. فرسان الماران سيغلقون بوابة السوق والمدينة بحثاً عن قاتل التاجر وسينكشف أمرنا بسبب بطنها المفجوع!

(عوراء): أنا لست مفجوعة!

كانت العرجاء خلال هذا السجال سعيدة ولا تزال تحت تأثير بهجتها بمعرفة أن أهل الحجاز يقاتلون اليعاقبة ووجدت في نفسها رغبة غريبة لإسعاد من حولها لذا وافقت على تلبية طلب الصبية بالرغم من المخاطرة الحقيقية لقيامها بذلك.

(نافجة): هيا أرينا الطريق نحو بائعة الحنطة هذه!

(عوراء) تقفز بسعادة: إنها قريبة من هنا لا تقلقي والعرافة كذلك ليست بعيدة!

(رافدة) بتجهم: لا تحتاجين لقراءة طالعك فمستقبلنا أسود ككرات حنطتك.

(عوراء) ساخرة من (رافدة): الحنطة ليست سوداء!

جرت (عوراء) عائدة لقلب السوق ومن خلفها (نافجة) مبتسمة لسعادتها و(رافدة) تتذمر..

وقفت الصبية عند امرأة شابة مكتحلة الأعين بشكل كبير وكفاها وقدماها محناة بالحنة السوداء والحلي المصنوعة من العظام غطت صدرها وساعديها فقالت (رافدة): أي نوع من الحنطة سنشتريها من هنا ؟



(عوراء) والشابة المكتحلة تمسح على رأسها باسمة:

هذه العرافة وليست بائعة الحنطة!

(نافجة) للعرافة: كم ستتقاضين لقراءة طالع الصبية ؟

(العرافة) وهي تشد أذن (عوراء) برفق وتمازحها:

لن أتقاضى شيئًا.. فليس كل يومٍ أستطيع قراءة كف صبية مثل هذه ؟

(نافجة): لِمَ لم تقرئيه لها أول مرة أتت فيه لكِ ؟

(العرافة): لم تسمح لي.. قالت بأنها لا بد وأن تستأذن من عمتها!

(عوراء): نعم لم أكن لأقوم بشيء دون علمك يا عمة.

ابتسمت العرجاء وأشارت للعرافة لقراءة كف الصبية..

أمسكت العرافة بكف (عوراء) وأخذت تمسح بكفها المحنى عليه ثم مسحت بكفها الآخر على رأسها نزولاً على ندبة وجهها الكبيرة وعينها البيضاء المفقوءة وبعد ثوانٍ قليلة بدأت تتنفس بثقل وتحول ذلك لسعال شديد و(عوراء) تراقبها بتعجب: ما بكِ يا سيدتي ؟

سحبت العرافة يديها وقالت وهي تتنفس بثقل:



أعتذر يا صبية.. لا أستطيع.. مستقبلك حالك السواد كماضيك..

(عوراء) بحزن: ماذا يعني ذلك ؟

(رافدة): هذا يعني أنها محتالة وتريد إرهابك بكذباتها!

نظرت العرافة بحدة لـ(رافدة) وبحركة سريعة أمسكت بساقها المكشوفة وقالت بكلمات سريعة: رافدة ابنة الشيخ شبيل بن مطنب الهجداني.. قتلتِ الشيخ (سياج) ضيف أبيك وهربتِ من قبيلتك لأنه حاول..

سحبت (رافدة) ساقها من قبضة العرافة وهجمت عليها بغضب لضربها لكن (نافجة) أمسكتها ومنعتها من ذلك وقالت بهدوء: ماذا ستفعلين ؟

(رافدة) مستشيطة غضباً وبصوت مرتفع جدّاً لفت انتباه بعض المارة:

سأضرب هذه اللعينة!!

(نافجة) ممسكة بـ(رافدة) وهي تحاول التفلت منها باستماتة:

لأنها كاذبة أم لأنها تقول الحقيقة.. لا تثيري ضجة حولنا بغبائك ورعونتك!



انتبهت (رافدة) للمارة الذين توقفوا لمراقبة ما يحدث فتمالكت نفسها بوجهٍ متجهم وقالت: متى سنرحل ؟!

(نافجة) وهي تشير لـ(عوراء) بالابتعاد عن العرافة: سنرحل الآن..

(عوراء): لكن ماذا عن كرات الحنـ..

(نافجة): لا وقت لذلك الآن ألا ترين أن أختكِ مستاءة ؟

(عوراء) بحزن: سأكون مستاءة أنا أيضاً لو لم أحصل على كرات الحنطة..

(نافجة): الرغبة في الشيء ليست سبباً كافياً للحصول عليه..

(رافدة) بوجه تحول من الغضب للكآبة:

دعيها تشتري ما تريد يا عمة.. هذا ليس ذنبها..

أخرجت العرجاء درهماً من جيبها وناولته للصبية التي اندفعت نحو (رافدة) وعانقتها وهي تقول: شكراً يا أختي!

(رافدة) تمسح على رأسها بابتسامة ودمعة: لا تتأخري سنكون بانتظارك هنا..

جرت الصبية نحو محل بيع الحنطة الذي لم يكن في مرمى ناظرهما واختفت بين زحام الناس..

(نافجة): أي قلبٍ مكسور بين أضلعك تخفين يا بدوية..

(رافدة) تمسح دمعتها بقاع كفها: لا أريد الحديث عن الأمر يا عمة.. أرجوك..

(نافجة): الكرم أحد مفاتيح السعادة.. وما قمتِ به للصبية سيخفف عنكِ.

صمتت الاثنتان بعدها ولم تتحدثا وبقيتا تراقبان حركة السوق..

بعد عدة دقائق من غياب (عوراء) تحدثت (رافدة) وقالت: لقد تأخرت..

(نافجة) تجلس على الأرض مسندة رأسها لحجر على الأرض: ستعود..

(زيجد) وهو متشكل كقدم العرجاء: هل تأذنين لي بالحديث يا سيدتي ؟

(نافجة) بسخرية: وماذا سيقول الناس لو رأوني أتحدث لقدمي يا فارسي ؟

لم يتحدث الجني الأزرق بعدها لكن العرجاء قالت مبتسمة:

تحدث.. واخفض صوتك قدر الإمكان..

(زمجد): أعتقد أني أعرف لماذا تخلص أهل الصبية منها..

(رافدة) وهي تجلس وتوجه حديثها لقدم عمتها: عن ماذا تتحدث ؟

(نافجة) ونظرها للمارة أمامهم: ارفعي رأسك وأنتِ تتحدثين معه كي لا تلفتي نظر الناس!

(رافدة) رافعة رأسها ونظرها للأمام: حاضر يا عمة..

(زمجد): أنا مستغرب حقاً أن لا أحدَ منكما لاحظ ذلك!

(نافجة) وهي تتظاهر بمراقبة السوق والناس:

نلاحظ ماذا يا فارسي ؟.. تحدث ولا تراوغ..

(زمجد): لقد حكت لي السيدة (رافدة) ما حدث معكما عند البحيرة.. ألم تتساءلي كيف نجوتما ؟

(نافجة): أنا لا أذكر شيئًا مما حدث كل ما أذكره هو أني شعرت بنعاس وفقدت الوعي بعد ما وصلت لطرف البحيرة.

(زمجد): ما حدث هو أنكما تعرضتما لهجوم من متنورة.. ومتنورة قوية جداً ليست كتلك التي قابلناها سابقاً!

(نافجة) لـ(رافدة): أصحيح ما يقوله ؟

(رافدة): نعم يا عمة.. عجوز شمطاء بخمس نجوم على وجنتها!

(نافجة): خمس ؟.. وكيف تغلبتِ عليها وحدك ؟

(زمجد) مقاطعاً حوارهما: هذا ما أريد قوله يا سيدتي.. بعد ما تركتِني مع ذلك الصنم البابلي ركزت عينيّ عليه كي لا يتحرك لكن الصبية اندفعت نحوي خائفة عندما رأته وأسقطتني أرضاً وشتتت نظري عنه.. لم تسقطني لأنها قوية لكن شيئاً غريباً يحدث لي حين تمسني أو أمسها.. أفقدتني الكثير من قوتي وقتها..

(نافجة): لقد نقلتها إلى هنا معنا ولم يحدث لك شيء!..

(زمجد): أنا لا أمس أجسادكن عند قيامي بنقلكن.

(نافجة): وما علاقة ذلك بترك أهلها لها ؟

(زمجد) مستأنفاً حديثه: مع سقوطي أمام فوهة الكهف وتنحي بصري عن الصنم البابلي لا بد وأنه أكمل هجومه علي وقد تحرك

نحونا غير أن ما حدث هو أني فقدت الوعي مثل السيدة (رافدة) وغبت عن اليقظة ليومٍ كامل.

(نافجة): لكننا لم نجدك عند فوهة الكهف عندما عدنا لك ووجدنا الصبية بخير!

(زمجد): هذا لأنني كنت على بعد مسافة كبيرة جدّاً منه.. وكأن شيئًا أو طاقة هائلة تسببت بإغماءتي ودفعتني ورمت بي بعيداً!

صمتت العرجاء وهي غير مرتاحة لما كان الجني الأزرق يحاول أن يُلمح له ثم قالت: ماذا تريد أن تقول ؟

(رافدة): ما يريد قوله هو أن (عوراء) قد تكون هي من قتل الصنم البابلي وتلك المتنورة..

(نافجة): هل تسمعان نفسيكما ؟.. هل رأيتما الشخص الذي تتحدثان عنه ؟.. إنها مجرد صبية مسكينة قضت معظم عمرها تشحذ طعامها وأقصى طموحها الآن هو تناول بعض كرات الحنطة وأنتما تعتقدان أنها قادرة على القتل ؟.. وقتل من ؟.. صنم مسحور ومتنورة بخمس نجوم.. هل فقدتما عقليكما ؟.. لا تؤولا الأمور على أهوائكما..

(زمجد): لِمَ تتمزق ملابسها بعد كل مرة يصاب من حولها بإغماءة كما حدث عند البحيرة ؟

(نافجة): ولِمَ لم يتمزق عندما دفعت بك على حد قولك ؟.. لا تلقِ تقصيرك وفشلك في حمايتها عليها..

(زمجد): كما تشائين يا سيدتي..

(نافجة): مشيئتي لا علاقة لها بالحقيقة وهي أن هناك تفسيراً آخر لما حدث.. أنا متيقنة من ذلك.

(رافدة): أنا مقتنعة بكلام الفارسي

(نافجة) وهي تقف: هذا شأنكِ أنتِ..

(رافدة) تقف معها: إلى أين يا عمة ؟

(نافجة) بتهكم وهي تسير في الطريق نفسه الذي سلكته (عوراء): سأبحث عن الصبية قبل أن تقتل أحداً آخر..

لم تبتعد العرجاء كثيراً حتى رأت (عوراء) تجري نحوها وتنادي عليها بنبرة فرحة وهي باسطة كفيها اللتين امتلأتا بكرات الحنطة: عمة!.. عمة!.. انظري..!

(نافجة) وهي تنظر لعدد كرات الحنطة الكبير التي حملتها بين يديها:

كمية كبيرة من كرات الحنطة.. هل الحنطة أصبحت رخيصة لهذا الحد ؟

(عوراء) باسمة: ما زالت ثلاث كراتٍ بدرهمٍ واحد فقط!

(نافجة): أرى أضعاف ذلك بحوزتك.. هل سرقتِها ؟

(عوراء): لا! لا! أنتِ لا تفهمين!

(نافجة) مبتسمة: أفهميني إذاً..

(رافدة) وهي تصل إليهما وتشاركهما الحديث: جيد لقد عادت.. لنرحل الآن يا عمة قبل أن تُغلق أبواب المدينة.

(نافجة): لنسمع ما تريد قوله أولاً.

استأنفت الصبية حديثها وقالت: كنت غاضبة من بائعة الحنطة لأنها لم تعطِني سوى ثلاث كرات..

(رافدة): ألم يكن هذا ثمنها ؟.. ثم إن ثلاث كرات كافية.

(عوراء): كنت أريد المزيد..

(رافدة): الطمع صفة سيئة.

(نافجة) لـ(رافدة): إذا استمررتِ بمقاطعتها فلن نخرج من هنا أبداً!

(رافدة): حسناً يا عمة سأصمت.

(نافجة) للصبية: وكيف حصلتِ على المزيد ؟.. هل عدتِ للتسول مرة أخرى ؟

(عوراء) وهي مبتهجة: لا!.. رجل طيب رآني وأنا أحاول إقناع البائعة العنيدة بأن تعطيني المزيد فاقترب مني وأخبرني بأن آخذ ما أشاء منها وهو سيدفع ثمنها فأخذت ما استطاعت يداي حمله!

(رافدة): هذا يعتبر تسولاً..

تنظر (نافجة) لـ(رافدة) بنظرة «أين التي ستصمت ؟»..

(عوراء) بغضب: لا ليس تسولاً!

(نافجة): ماذا تسمينه إذاً ؟

صمتت الصبية لثوانٍ ثم قالت بحزن: هل أعيدها ؟

(نافجة): وما الفائدة من ذلك الآن ؟

(عوراء): سآخذ ثمنها من البائعة وأعطيها للرجل الطيب.

(رافدة): وأين ستجدينه في هذا السوق المكتظ.. احتفظي بها ولا تكرري هذا مرة أخرى.

(عوراء) بحماس: لن يكون ذلك صعباً فوجهه مميز جدًّا ولا يمكن نسيانه!

(نافجة) وهي تمسح على رأس الصبية باسمة: هل هو حسن المظهر إلى هذا الحد ؟

(عوراء) ضاحكة: لا ليس كذلك يا عمة!.. نعم هو بالفعل جميل وملامحه جذابة جدّاً.. لكن.. ليس هذا ما يميز وجهه فقط!

(نافجة) وهي مستمتعة بعفوية الصبية في الحديث: ماذا إذاً ؟

(عوراء): شعره الأسود الطويل وتلك الخصلة البيضاء المنسدلة من غرته مميزة وكذلك النجوم!

(نافجة) وقد تحولت ملامحها من السعادة للقلق: نجوم ؟

(عوراء) بالحماس نفسه: نعم!.. النجوم المنتشرة على وجهه كثيرة ويمكن أن أراها من مسافة بعيدة لكثرتها!..



(نافجة) للصبية بتوتر: كم عددها ؟

(عوراء) باستغراب: عدد ماذا ؟

(نافجة): عدد النجوم التي كانت على وجهه

(عوراء) وهي تنظر للأعلى بفم مفتوح وتعد بسبابتها في الهواء: أعتقد أنها كانت عشراً.. ربما أكثر.. لا أذكر..

(رافدة) بقلق: هل سأل عن العمة ؟

(عوراء) بتعجب: العمة ؟.. ولمَ يسأل عنها ؟

(رافدة) بعصبية: فقط أجيبي!

(عوراء) بخوف من عصبية (رافدة): لا.. قال لي فقط إنه كان سعيداً بلقائي

(رافدة) واضعة كفها على كتف العرجاء من الخلف: يجب أن نخرج من هنا..

(نافجة) بعجب خالطه بعض القلق: كيف وجدونا مرة أخرى بهذه السرعة ؟

(رافدة): هل تظنين يا عمة أنها مصادفة أم أن هذا المتنور أتى خلفنا عمداً ؟

(نافجة) وهي تهم بالعودة والخروج من السوق: لا أنوي البقاء لمعرفة ذلك

تبعت (رافدة) عمتها ومن خلفهما (عوراء) وهي تقول:

عن ماذا تتحدثان ؟.. هل أنا في مشكلة لأني أخذت كرات الحنطة ؟

ركب الجميع دوابهم وبدؤوا بالسير خارج السوق متجهين نحو بوابة المدينة التي اجتمع حولها عدد كبير من فرسان الماران لتفتيش القوافل الراحلة وكل من ينوي الخروج. وقفت قافلة العرجاء على بعد من هذه الفرقة التي تفتش الناس فقالت (رافدة): لقد فات الأوان..

(نافجة) للجني الأزرق المتشكل كقدمها: هل تستطيع نقلنا خلف السور يا فارسي ؟

(زمجد): بعد شرائك الدابة الثالثة لا أستطيع..

(نافجة) وعينها على بوابة المدينة: عن ماذا تتحدث ؟

(زمجد): أخبرتك يا سيدتي أن الجن الأزرق له طاقة محددة في نقل الأنفس.. كل فرد منا يملك قدرة مختلفة يحددها ثقل ما ننقله

وذلك الجواد الثالث الذي اقتنيتنّه للصبية رفع الثقل المجتمع لكم ولا أستطيع حملكم جميعاً.

(رافدة): لِمَ لا تنقلنا على دفعتين ؟

(نافجة): البدوية محقة.. انقلنا أولاً ثم عد للدواب وأحضرها.. هل تستطيع فعل ذلك ؟

(زبجد) وهو متشكل كقدم العرجاء: نعم يا سيدتي..

قبل أن يُنفذ الجني الأزرق أمر العرجاء اضطرب الحراس عند البوابة وكأنهم قد كشفوا أمراً ما وبالفعل فقد أمسكوا بشخصٍ ملثم يحمل معه قوساً ومجموعة من السهام وبعد التحقق على عجالة من تلك السهام اكتشفوا أنها مطابقة للسهم الذي قتل التاجر اليعقوبي.

(رافدة) وهي تراقب ما يحدث: يبدو أننا لن نضطر للانتقال على دفعات.. لقد أمسكوا الفاعل..

(نافجة): لن نضطر للانتقال لكننا سنضطر للقتال..

(رافدة): ماذا ؟!

شدت العرجاء لجام (الغبساء) وانطلقت بسرعة نحو مجموعة الفرسان الممسكين بالملثم ويقودونه بعيداً عن مخرج السوق ومرت من خلالهم وفرقتهم لتستدير وتندفع مرة أخرى نحوهم.

(عوراء) بجزع من فوق جوادها الجديد: ما الذي تفعله العمة ؟!

(رافدة) تسحب سيفها المبروق وتضرب خاصرة جوادها بأعقاب قدميها منطلقة نحو عمتها: ما تفعله أي فارسة عربية..

لم يكن مع (نافجة) سلاح لذا كانت تعتمد على ركل ورفس الفرسان بأقدامها ولم تكن تريد استخدام طلاسمها في المكان المكتظ بالناس كي لا تؤذي أياً من الأبرياء حتى وصلت إليها (رافدة) ورمت لها سيفها القديم وبدأت الاثنتان بمقاتلة فرسان الماران من فوق دابتيهما لتخليص رامي السهام من قبضتهم. خلال القتال أتت تعزيزات من حراس السوق للفرسان وأصبحت أعدادهم أكبر وبعضهم حضروا على ظهور خيول مهيئين للقتال.

(نافجة) وهي تطعن آخر فارس من المجموعة الأولى وتراقب المزيد مقبلين عليها مخاطبة رامي السهام الملثم المقيد: هل يمكن أن تمدنا ببعض المساعدة ؟

رفع رامي السهام يديه المقيدتين مشيراً للعرجاء بأن تقطع قيدهما فأنزلت سيفها على عقدة قيده وقطعتها وما أن تحرر حتى استعاد قوسه وجراب سهامه من جثة الفارس الذي أخذها منه سابقاً وجثا على ركبة واحدة وبدأ يسحب من جراب السهام التي ربطها خلف ظهره بسرعة ويطلقها مصيباً كل فارسٍ في رأسه وتحديداً بين عينيه.

(رافدة) وهي تراقب ما يحدث وموجهة حديثها لـ(نافجة) التي وقفت بجانبها على (الغبساء): لم أرَ رامي سهام بهذه البراعة من قبل!

(نافجة) ماسحة الدماء التي لطخت نصل سيفها على مؤخرة جواد (رافدة) بنبرة ممازحة: لِمَ رميتِ لي سيفك القديم ولم تعطيني الجديد لأجربه ؟

(رافدة) وهي تراقب فرسان الماران يتساقطون من سهام الرامي مبتسمة:

هل هذا أوانه يا عمة ؟

نفدت سهام الرامي فجرى مسرعاً وبدأ ينتزع سهامه المغروسة في جثث الفرسان ويضعها في جرابه.

(نافجة) وهي تراقب ما يفعله: حماسه للقتال عجيب..

(رافدة) تشاركها مراقبة المشهد نفسه: أليس هذا ما كنتِ تُريدينهُ للحجاز ؟

(نافجة): بلى لكن أرض «الحجاز» خسرته اليوم منذ أن كُشف أمره ولن يستطيع العودة والانضمام لإخوته ولو فعل فسيعرضهم للخطر.

(رافدة) تشير لـ(عوراء) بأن تقترب منهما: يجب أن نرحل يا عمة قبل أن تأتيتهم تعزيزات أكبر.. يكفي ما فعلناه.

(نافجة) ملتفتة إليها: وماذا عن الرامي ؟.. سيموت لو تركناه!

(رافدة): لن نستطيع صد جيش المدينة بأكمله والبوابة مفتوحة خلفنا بدون حراسة.. هو سيجد طريقة للهرب لا تقلقي..

(عوراء) تصل إليهما على ظهر دابتها الجديدة: أنا لم أركب دابة من قبل.. هذا الجواد يسير على هواه ولا يطيعني..

(نافجة) ونظرها على (رافدة) وحديثها للجَني الأزرق الذي لا يزال متشكلاً كقدمها:

أيها الفارسي.. بعد تجاوزنا البوابة عد وأحضر الرامي وأخرجه خارج أسوار المدينة

(زمجد): أمرك..

شدت العرجاء لجام فرسها وعدت بها خارج المدينة و(عوراء) من خلفها وتبعتها (رافدة) بعد أن ألقت نظرة أخيرة على الرامي الذي حُوصر من جديد من قِبل فرسان الماران.



عين الصقر

استمرت العرجاء ومجموعتها بالعدو خارج المدينة ولم يبطئوا من سرعة عدوهم إلى أن أصبحت أسوار المدينة لا تكاد تُرى في الأفق.

ما أن أبطأ الجميع من سرعتهم حتى أوقفت العرجاء فرسها ملتفتة خلفها وهي تحدث نفسها بصوت مسموع للآخرين:

«أتمنى أن الوقت لم يداهم الفارسي لإنقاذ ذلك الرامي..»

(رافدة) توقف جوادها أيضاً وتشاركها النظر لأسوار المدينة في الأفق خلفهم:

من المفترض أن يظهر الآن إذا كان قد نجح في مسعاه!

(عوراء) وهي تحاول إيقاف جوادها بشد لجامه بقوة:

توقف!.. لِمَ لا تزال تتحرك ؟!



انطلق جواد الصبية مسرعاً للأمام وهي تصرخ من الخوف لأنها لم تستطع السيطرة عليه..

(نافجة) ونظرها لا يزال منصبّاً على أسوار المدينة وبهدوء:

الحقي بها وأعيديها يا (رافدة)..

(رافدة) تضرب خاصرة جوادها وتلحق بـ(عوراء) قائلة:

«مشكلات هذه الصبية لا تنتهي..»

بقيت العرجاء وحدها وشيئًا فشيئًا فقدت الأمل بنجاة الرامي لكن ظهور (زمجد) أمامها وهو يحمل الرامي بين أذرعه بدد تلك الشكوك لتقول له:

أحسنت صنيعاً.. ما به ؟.. هل أصيب ؟

(زمجد): لا.. لقد أفقدته الوعي خلال نقله كي لا يجزع.

(نافجة): جيد.. متى سيفيق ؟

(زمجد) واضعاً جسد الرامي على الأرض: وقتما تشائين يا سيدتي.

(نافجة): أعد له الوعي الآن..

عادت (رافدة) وهي تسحب جواد (عوراء) وهي فوق ظهره ورأت الرامي على الأرض فقالت: هل مات ؟

مسح الجني الأزرق على وجه الرامي الملثم والمغطى بالجروح جراء تعنيف فرسان الماران له عندما قبضوا عليه ليفتح عينيه اللتين كانتا بلونٍ وشكلٍ غريبين.. كانت عيناه بلون رمادي فاتح كالفضة وحدقته السوداء صغيرة جدّاً ولأن اللثام كان يغطي معظم رأسه فلم يظهر من وجهه سوى جبينه وجزء من غرة شعره ذي اللون الكستنائي وعينيه اللتين تشبهان أعين القطط.

بعد ما أفاق نهض الرامي بسرعة من مكانه وبدا عليه الخوف الشديد عندما رأى نفسه في الصحراء، لكن نفسه اطمأنت قليلاً عندما شاهد وتعرف على من أنقذوه وخلصوه من قبضة فرسان الماران عند بوابة المدينة.

بادرته (نافجة) بالحديث: أنت بمأمنٍ الآن.. لا تقلق.

(رامي السهام) بصوتٍ أنثوي حانية رأسها للعرجاء: شكراً لإنقاذي..

(رافدة) بتعجب: إنها فتاة..

(نافجة): شكراً لكم أنتم لأنكم تقاتلون اليعاقبة..

(رامية السهام) موجهة نظرها لقدم (نافجة) المبتورة: نعم.. القتال الذي استلهمناه منكِ.. العرجاء العظيمة.. التي رفضت الانصياع للهاران وأزلامه.. أنتِ رمز كفاحنا وأنا أشعر بالفخر الكبير للحديث معكِ الآن!

(نافجة) تنظر لقدمها المبتورة مبتسمة:

ليست كل فاقدة لقدمها هي العرجاء التي تتحدثين عنها..

(رامية السهام): وليست كل فاقدة لقدمها تخاطر بحياتها لإنقاذ خارجة عن القانون!

تجددت مشاعر السعادة والفخر في صدر العرجاء وهي تشاهد إحدى نتائج دعوتها للقتال تتجلى بهيئة مقاتلة شجاعة كالتي تقف أمامها وقالت:

رافقتكِ السلامة يا..

(رامية السهام) حانية رأسها مرة أخرى للعرجاء:.. (كُميت).. وأنا في خدمتك يا قائدة..



(نافجة): لا أريد منكِ سوى الاستمرار فيما تقومين به حتى نُخلص أرضنا من رجس اليعاقبة.

(كُميت): لا أستطيع العودة للمدينة الآن وإلا فسأُعَرض بقية إخوتي للخطر.. كنت أطمع في..

(رافدة) مقاطعة حديثها: في الانضمام إلينا..

(كُميت) موجهة نظرها لـ(رافدة): نعم.. بعد إذن القائدة العرجاء بالطبع.

وجه الجميع أنظارهم لـ(نافجة) التي كانت تبتسم بصمت ثم قالت: ماذا يمكنكِ أن تقدميه لنا ؟

(كُميت) مخرجة قوسها وأحد سهامها: كل مهارتي في الرماية ستكون فداء لكِ وتحت تصرفك!

(رافدة) بتهكم مصطنع: هل أنتِ جيدة برمي السهام ؟

(كُميت) وهي تشد السهم على القوس: ما تراه عيني لن يخطئه نصل سهمي.. ألم تري مهارتي اليوم ؟

(نافجة): أي شخصٍ يمكنه شد السهام وإطلاقها.. لكن إصابة الأهداف أمرٌ آخر..

(كُميت) وهي ترخي شدها للسهم منزلة رأسه للأرض وبكل ثقة: اختبريني..

(رافدة) رافعة رأسها للسماء لترى غرابًا باسطاً جناحيه يحلق فوقهن: هل ترين ذلك الطير ؟

(كُميت) رافعة رأسها هي الأخرى: نعم

(رافدة) ورأسها لا يزال مرفوعاً: إذا أصبتِه فسوف نسمح لكِ بالانضمام إلينا.. ما رأيك يا عمة ؟

(كُميت): تشد السهم مرة أخرى وتوجهه نحو الغراب المُحلق فوقهن:

في ذيله أم بطنه..

(رافدة) ضاحكة: أي مكان سيفي بالغرض.

(نافجة) بصرامة وهي تحدق بـ(كُميت): لا.. في عينه.

نظرت (كُميت) بعينيها اللتين تشبهان أعين القطط للعرجاء للحظة

ثم أعادت نظرها للغراب وشدت أكثر على السهم وأخذت نفساً عميقاً لم تطلقه إلا مع إطلاق سهمها في كبد السماء. وجه الجميع أنظارهم للأعلى لمتابعة السهم المنطلق الذي أصاب هدفه ليبدأ الغراب بالسقوط نحو القاع حتى استقر على الأرض بعيداً عنهم. همت (كُميت) بالذهاب لاستعادته لكن (نافجة) استوقفتها قائلة: انتظري..

أشارت العرجاء للجني الأزرق بإحضار الغراب وفي لمح البصر مده لها و(كُميت) تراقب ما يحدث بانبهار وصدمة وقالت: هل هو من الجن.. ؟

(عوراء) ضاحكة: جن أزرق.. فارسي بغيض كما تسميه العمة!

(نافجة) وهي تتفحص الغراب لترى أن السهم أصابه في عينه واخترق العين الأخرى بالفعل: مهارتك عالية يا حجازية..

(كُميت): أستطيع إصابة أهداف أكثر صعوبة من ذلك يا سيدتي..

(نافجة) وهي تشد لجام فرسها وتهم بالتحرك: لا تناديني بسيدتك.. اركبي خلف الصبية العوراء إذا كنتِ تجيدين ركوب الخيل.

(كُميت): هل معنى ذلك أنكِ وافقتِ على أن أرافقك ؟

(رافدة) تلحق بعمتها: سترافقيننا جميعاً..

(عوراء) تشير لها بحماس: هيا تعالي وقودي هذا الحيوان العنيد بدلاً عني!

جرت (كُميت) وقفزت فوق دابة (عوراء) وشدت اللجام والصبية أمامها وتبعت المجموعة و(زمجد) يسير خلفهم. لم يمضِ على سيرهم وقتٌ طويل حتى رأوا في الأفق خيال رجل يقف في وسط الصحراء المفتوحة.

(نافجة) دون أن تتوقف عن المسير: ماذا الآن ؟

(زمجد) مسارعاً في خطواته ليصل إلى العرجاء: طاقته هائلة يا سيدتي.. متنور بلا شك..

(رافدة): هل نغير من مسارنا ؟

(نافجة): إذا كان متنورًا بالفعل فلا فائدة من الهرب.. استعدوا للمواجهة..

(كُميت): إنه مجرد رجلٍ واحد.. أستطيع إصابته من هنا لو رغبتِ يا قائدة!

(نافجة): لننتظر حتى يبادر هو بالعداء.

مع استمرارهم بالتقدم اتضحت معالم الرجل الواقف وكان يلبس عباءة نصفها أزرق والنصف الآخر أحمر وعندما أصبحت المسافة بينهم لا تتجاوز العشرين ذراعاً صرخت (عوراء) بسعادة:

هذا صديقي الذي اشترى لي كرات الحنطة!

(رافدة) بتوتر: المتنور ذو العشر النجوم..

(نافجة) لـ(زمجد): توارَ عن الأنظار وتمركز خلفه وهاجمه إذا حاول التقدم نحونا

(زمجد) وهو يختفي: أمرك!

(رافدة): هل حقاً تنوين مواجهته يا عمة ؟

(نافجة): وهل لديكِ خيارٌ آخر ؟

أشارت العرجاء بالتوقف عندما أصبحت المسافة بينهم عشرة أذرع فقط والرجل لا يزال واقفاً أمامهم دون أن يتحرك أو يتكلم. قفزت (عوراء) من فوق جوادها وجرت مسرعة نحوه فصرخت فيها

(رافدة): عودي يا حمقاء!

وصلت الصبية للرجل وعانقته وهو بدوره وضع كفه على ظهرها مبتسماً وقالت له: لقد وبختني عمتي لأني أخذت منك ثمن الحنطة!

(المتنور) مبتسماً: ألم تخبريها أنها كانت هدية مني ؟

(عوراء) بحزن وعبوس: أخبرتها لكنها لا تزال غاضبة مني.

(المتنور) رافعاً رأسه وموجهاً نظره لـ(نافجة) المحدقة به بحذر وتوتر:

عمتكِ ستتفهم الأمر.. أليس كذلك يا عرجاء ؟

(نافجة): اترك الصبية وشأنها.. نزالك معي فقط..

(المتنور) مبتسماً: نزال ؟.. لم يحن الوقت لذلك بعد.. ما زال هناك من هو أدنى مني يبحث عنكِ.. وسيجدك.. إذا تمكنتِ منه وقتها فسيكون بيننا نزالٌ قصير..

(رافدة) هامسة للعرجاء: عن ماذا يتحدث ؟

(كُميت) تخرج سهماً وتشده موجهة نصله للمتنور: أعطيني الأمر يا قائدة وسأرديه قتيلاً!

(نافجة): أخفضي سلاحك..

(كُميت): لكني أستطيـ..

(نافجة) بصرامة: أخفضيه!

أنزلت (كُميت) سلاحها وعندما رأى المتنور ذلك قال و(عوراء) لا تزال بجانبه: قرار حكيم يا عرجاء..

(عوراء): وهي تخرج كرة من كرات الحنطة من جيبها وتمدها للمتنور: تفضل..

(المتنور): ما هذه ؟

(عوراء): تبدو جائعاً وأنت قلت بأنك تحب كرات الحنطة!

(المتنور): أحبها لكني أفضل كرات الفستق التي تصنعها أمي..

(عوراء): كرات الفستق ؟.. تبدو لذيذة.. بالرغم من أني لا أعرف ما هو الفستق!

(المتنور): الفستق هو أشهر منتج في مسقط رأسي.. مدينة «كرمان».. نصنع أشياء كثيرة منه..

(نافجة) مشاركة في الحديث: هذه المدينة فارسية أليس كذلك ؟

(المتنور) موجهًا نظره نحو العرجاء رافعاً خصلة شعره البيضاء التي

تدلت خلال انحنائه للحديث مع الصبية:

نعم.. فارسية.. جزء من إمبراطورية فارس العظمى..

(نافجة) باشمئزاز: عظيمة في ماذا ؟.. في الغدر والخداع والخيانة ؟

(المتنور) مبتسماً: لا.. في زراعة الفستق..

تتجهم العرجاء من تهكمه ولا ترد..

(المتنور) وعيناه تلمعان بسرعة خاطفة:

يجب أن أرحل الآن.. أتمنى أن تشاء الأقدار ونلتقي مرة أخرى يا عرجاء..

اختفى المتنور بعد هذه العبارة..

(عوراء): انتظرا.. خذ كرات الحنطة الخاصة بك!

(رافدة) متنفسة الصعداء: لقد نجونا..

(نافجة): للوقت الراهن فقط..

ظهر (زمجد) بجانب سيدته وقال: لِمَ رحل ؟

(نافجة): يقول بأن موعده لم يحن بعد.. من الجيد أنه لم ينتبه لوجودك.

(زمجد): لقد شل حركتي بمجرد أن تمركزت خلفه.. هذا المتنور يملك قدرات مخيفة..

(نافجة): ما بك ؟.. يبدو عليك الإعياء..

(زمجد): لا شيء يا سيدتي.. سأكون بخير.

(نافجة): هذا ليس وقت مراعاة مشاعري.. تحدث وقل الحقيقة ؟

(زمجد): نقل الأنفس مهمة شاقة وتستنزفني كثيراً..

(نافجة): أعرف أخبرتني عن ذلك.. لم أكن أعلم بأنها تستنزفك لهذا الحد.. لن نلجأ لذلك إلا في الحالات الحرجة.

(زمجد): أنا رهن إشارتك فيما تأمرين يا سيدتي وقدراتي مسخرة لكِ وقتما تشائين.

(نافجة): وبقدراتنا الحالية سنكون في عداد الهالكين لو اعترض طريقنا هذا المتنور مرة أخرى.. لا بد أن نجد (شق) و(سطيح) بسرعة.

(كُميت): (شق) و(سطيح) ؟

(رافدة): نعم.. هل تعرفينهما ؟

(كُميت): نعم.. وأعرف كيف نصل إليهما لو رغبتم في ذلك.

(نافجة) ملتفتة عليها: هذا ليس وقت العبث يا حجازية!

(كُميت): أنا لا أعبث يا قائدة.. أنا لا أعرف مكانهما تحديداً لكن أعرف من يمكنه أن يدلنا على موقعهما الآن.

(نافجة): موقعهما الآن ؟

(كُميت): (شق) و(سطيح) لا يبقيان في مكانٍ واحد.. ولا يبقيان معاً.. أحدهما يُسأل والآخر يجيب!

(رافدة): لم أفهم..

(كُميت): ليس من المفترض أن تجديهما كليهما لطرح سؤالك.. فقط جدي أحدهما واطرحيه.

(نافجة): ثم ماذا ؟

(كُميت): ثم تبحثين عن الآخر ليعطيك الجواب..

(رافدة): المسألة أصبحت أصعب.. نحتاج لرحلتين للحصول على الإجابة التي نبحث عنها!

(كُميت): وما هو السؤال ؟

(نافجة): دعْكِ من السؤال الآن.. أين نجد من سيدلنا على أحدهما ؟

(كُميت) مشيرة للجنوب: يجب أن نسير جنوباً نحو «حضرموت»..

(نافجة) تشد لجام (الغبساء) وتوجه رأسها نحو الجنوب: لماذا «حضرموت» ؟ ؟.. ما الذي يوجد هناك ؟

(كُميت): بئر الجن.. بئر «برهوت».. ساكنوه هم من سيرشدوننا لـ(شق) و(سطيح)..

(رافدة): كيف تعرفين كل هذا ؟

(كُميت) محدقة بـ(رافدة) بأعينها الرمادية وحدقتها السوداء الصغيرة:

هناك أشياء كثيرة لا تعرفينها عني..

(نافجة): لا يهم كيف تعرفين أو ماذا تعرفين.. المهم أن تكوني صادقة في ما تقولينه!..

(كُميت) واضعة كفها على رقبتها: لو كنت كاذبة فأهدري دمي..

(نافجة) ملتفتة إلى (زمجد): ما رأيك أيها الفارسي ؟.. الجن هم شعبك.. هل سمعت بهذا البئر من قبل ؟

(زمجد): لا يا سيدتي!

(نافجة) منطلقة بفرسها نحو الجنوب: سنعرف عند وصولنا إذاً!

لحقت (رافدة) بعمتها وقبل ابتعادها صرخت في (عوراء) التي كانت تلعب بالرمال قائلة: هيا!

مدت (كُميت) ذراعها وحملت الصبية وأركبتها معها ولحقت بالبقية..



طريق الموت نحو حضرموت

اضطرت المجموعة لشد الرحال نحو «حضرموت» سيراً على دوابهن دون الاستعانة بقدرات الجني الأزرق في اختصار المسافة بعد أن علمت العرجاء بأن (زمجد) يفقد الكثير من قوته وقدراته عند نقلهن وآثرت أن يحتفظ بها في حال لو احتاجته في قتالٍ ما. بعد مسيرة ربع يوم أسدل الليل أستاره لكن العرجاء لم تأمر قافلتها بالتوقف وشقت الصحراء تحت ضوء النجوم والقمر الناقص ولم يعترض أحد على قرارها. انتصف الليل وغزا النعاس أعين الجميع لذا رفعت (نافجة) ذراعها قائلة: يكفي سيراً لهذا اليوم.. انصبن الخيام..

تعاونت (رافدة) و(كُميت) في نصب الخيمتين اللتين اشترتهما العرجاء من سوق الحجاز وأشعلتا ناراً أمامهما فدخلت (عوراء)



إحداهما على الفور واستلقت ونامت وبقي الآخرون حول النار يتسامرون قليلاً.

(نافجة) للجني الأزرق: هل من قدراتك صيد الطرائد ؟

(زمجد): أستطيع تحديد أماكنها لكنني لا أقوى على الإمساك ببعضها.

(رافدة): مثل ماذا ؟

(زمجد): الأرانب وما على شاكلتها لا أقوى عليها.. يمكنني الإمساك بالأفاعي والزواحف.

(نافجة): لا أظن أننا نريد تناول الزواحف يا فارسي!

(زمجد): أعتذر يا سيدتي هذا أمر خارج عن إرادتي.

(كُميت) وهي تقف: تعال معي وحدد لي أماكن الأرانب واترك الباقي لي.

وجه (زمجد) نظره للعرجاء منتظراً الإذن منها فأومأت برأسها وأذنت له ليرحلا معاً على أقدامهما..

(رافدة) تمسح بكفيها أمام النار وهي تراقب (كُميت) تبتعد مع (زمجد):

هذه الفتاة تملك حماسًا يستحق الإطراء..

(نافجة): لِمَ تمسحين يدك أمام النار ؟.. الأجواء ليست باردة!

(رافدة) مبتسمة: هذه عادة لا أكثر..

(نافجة): هل كنتم تشعلون النار ليلاً وتجتمعون حولها عندما كنتِ مع قبيلتك ؟

تغيرت معالم وجه (رافدة) للتجهم وقالت: لا تحاولي فتح هذا الموضوع معي يا عمة!

(نافجة): أي موضوع ؟.. أخبرتك سابقاً أني لن أسألك عن سبب هربك.. لا تكوني حساسة وشدي من عزمك.. قتلك لضيف أبيك أمر لا يعنيني.

وقفت (رافدة) بوجهٍ متجهم وغاضب وقالت بعصبية: أنا ذاهبة للنوم مع (عوراء)!

(نافجة): افعلي ما تشائين لكن لا تظهري جنونك يا بدوية أمامي وإلا رأيتِ جانبي الآخر!

لم ترد (رافدة) على عمتها وسارت غاضبة نحو الخيمة الصغيرة واستلقت بجانب الصبية النائمة..

بعد مدة على غيابها عادت (كُميت) وهي تحمل وراءها خمسة أرانب مربوطة وعلى أجسادها آثار ضربات سهامها فاستقبلتها العرجاء بابتسامة:

«أرى أن الصيد كان موفقاً..»

(كُميت) وهي تجلس أمامها وترمي بالأرانب المربوطة بجانب النار المشتعلة: الجني الأزرق أفادني كثيرًا..

(زمجد) وهو يظهر أمامهما: هل تأمرينني بشيء آخر يا سيدتي ؟

(نافجة): هل يأكل الجن الأرانب ؟

(زمجد): لا.. لكن لو تكرمتِ اتركنَّ لي عظامها عندما تلتهمن لحومها.

(كُميت) وهي تسلخ أحد الأرانب بخنجر صغير أخرجته من جيبها:

نلتهم ؟.. تتحدث وكأننا ذئاب!

(زمجد): أعتذر لو كان في ذلك إهانة.

(نافجة): بل أصبت.. نحن كالذئاب.. ارحل الآن وسنحتفظ لك بالعظام

(زبجد) حانياً رأسه وهو يختفي: ممتن..

أكملت (كُميت) سلخ بقية الأرانب و(نافجة) تراقبها مبتسمة..

(كُميت) وهي تشد جلد أرنب من على جسده وتبادل العرجاء الابتسام:

لمَ تبتسمين يا قائدة ؟

(نافجة): هل كل إخوتك مثلك ؟

(كُميت): مثلي ؟.. ماذا تعنين ؟

(نافجة): متحمسين وعازمين على تحقيق أهدافهم..

(كُميت) ترمي أحد الأرانب على النار: وأكثر مني.. آه لو يرونني الآن وأنا أجلس مع العرجاء لتقطعت قلوبهم حسدًا!

(نافجة): أنتم من يقوم بالعمل الشاق..

(كُميت): لا تبخسي نفسك يا قائدة.. روحك وعزيمتك تعيش في دواخلنا ولن نتوقف حتى نحقق رغبتك.

(نافجة): هذه ليست رغبتي فقط.. يجب أن تكون هذه رغبتنا جميعًا..

(كُميت): اطمئني، الرافضون لوجود اليعاقبة في نمو وتزايد يومًا بعد يوم وانتقلت للمدن المجاورة وقد كبدناهم خسائر فادحة.

(نافجة): أسعدتِني..

(كُميت): هل لي بسؤال يا قائدة ؟

(نافجة): ناديني بعمة فقط.. لا أحب الألقاب المزيفة.

(كُميت): هذا أقل ما يمكن أن أصفك وألقبكِ به ثم إن لساني لا يقوى على نطق غيرها

(نافجة) مبتسمة: حسناً.. هاتي ما عندك!

(كُميت) بتردد: ما القصة ؟

(نافجة): أي قصة ؟

(كُميت): المجموعة التي تسير معكِ.. الجني الغريب.. الرجل الأغرب الذي اعترض طريقنا اليوم.. الفتاة العوراء وأختها

البدوية.. انتقالي بسرعة خارج أسوار المدينة.. للتو بدأت أستوعب أن أحداثاً كثيرة حدثت وكلها شوشت تفكيري.

(نافجة): يبدو أن رحلة الصيد أعطتكِ وقتاً كافياً لترتيب أفكارك!

(كُميت): نعم هذا ما حدث وأتمنى أن أجد إجابة شافية عندك.

(نافجة) مبتسمة: ناوليني الأرنب قبلها لأنه قد نضج..

رفعت (كُميت) الأرنب المشوي من على النار ومدته لـ(نافجة) التي بدأت بسرد الحكاية من أولها إلى أن التقت بها عند مدخل المدينة..

(كُميت) والدهشة مهيمنة على محياها: كل هذا حدث في الأيام القليلة الماضية ؟

(نافجة): ويبدو أننا مقبلون على ما هو أكثر..

(كُميت): لا تقلقي يا قائدة أنا معكِ في السراء والضراء.

(نافجة) ضاحكة: كوني جاهزة أيضاً أن نكون في القبر نفسه معاً..

(كُميت): سيكون هذا شرفاً لا أجرؤ على تخيله.. الموت للأرض هو ما أحيا له.

وضعت العرجاء يدها على كتف الرامية الحجازية وهزته وهي

تراقب النار أمامها: كلامك هذا طمأنني على أرضنا يا ابنة الحجاز..

(كُميت) مبتسمة: لِمَ تنادينني بأرضي يا قائدة ؟

(نافجة): لأن أرضنا هي منبتنا وأصلنا وليست ألقابنا.. كل العظماء ينتسبون لأرضهم وليس لغيرها..

(كُميت): معكِ حق يا عرجاء «هجر»..

(نافجة): هل تعلمين أني لم أخترْ لقب العرجاء هذا

(كُميت): المعذرة.. هل استأتِ من استخدامي له ؟

(نافجة): لا..لا.. أنا فخورة به لأنه يثير الرعب في قلوب أعدائي والفخر والحماسة في إخوتي لكن..

(كُميت): هناك لقب آخر تفضلينه..

(نافجة) وحزن مفاجئ يهجم على وجهها: لقب لم ينادِني به أحد سوى أمي وأبي وفقط حينما يكونان غاضبين مني..

انتبهت (كُميت) أن دمعة في أحد محاجر (نافجة) بدأت تتكون بعد ما تذكرت أبويها وأحست بالذنب والإحراج أنها أثارت ذلك الموضوع معها. لم تتوقف (نافجة) عن الحديث واستمرت بالكلام



خلال تحديقها بالنار بوجهٍ مكتئب جدّاً لكن فيه ظل ابتسامة وقالت:

«أمي جنوبية عنيدة وعصبيتها تتمكن منها دائماً لكن لم أرَ أكبر وأطيب من قلبها بعكس أبي أو ابن النخيل كما كانت أمي تلقبه حينما تغضب منه.. أبي كان رجلاً شجاعاً جدّاً ولم يرَ كثيرٌ من الناس تلك الشجاعة لأنه لم يكن يظلم بها لكني كنت أراها دوماً.. يظهر عطفه لي دوماً وهو أول من يدافع عني ويعانقني عندما كانت أمي توبخني.. كنت شقية جدّاً لكنه لم يكترث وأحب صبيانيتي..»

(كُميت) منزلة لثامها بسبابتها: وقد أنجبا عظيمة يحق لهما الفخر بها..

(نافجة) تلمس بيدها أذنها المجدوعة ودموعها تزداد انهمارًا: كانا يناديانني بالجدعاء وليس العرجاء.. ماتت مني قطعتان.. ولدي إحساسٌ قويٌّ أن ما تبقى مني سيلحق بهما عما قريب..

صمتت (كُميت) ولم تستطع إكمال الحديث..

نهضت (نافجة) من أمام النار وهي تقول من وراء حزنها الظاهر:



قومي بطهي بقية الأرانب كي تتناولها أختاك عندما تستيقظان ونامي بالخيمة الأخرى.

(كُميت): ماذا عنكِ يا قائدة ألن تنامي في الخيمة ؟

(نافجة) وهي تسير مبتعدة عن المكان: الخيام تخنقني.. لا تنسي ما طلبته منكِ

(كُميت): حاضر يا قائدة..

في اليوم التالي فتحت (كُميت) عينيها لترى (رافدة) تهزها بهدوء لتوقظها:

«العمة تريد منا التحرك الآن..»

نهضت الرامية الحجازية من مكانها على عجالة وخرجت من الخيمة الصغيرة لترى الجميع مستعدين للرحيل فقالت: لِمَ لم توقظوني باكراً ؟

(نافجة) من فوق دابتها: كنتِ آخر من خلد للنوم وبحاجة لوقت أطول للراحة.. هيا اطوي الخيمة والحقي بنا مع (عوراء)..

(عوراء) من فوق جوادها ملوحة بيدها باسمة لـ(كُميت): أنا بانتظارك!



رفعت الحجازية رأسها للأعلى عندما سمعت نعيق غرابٍ حلق فوقها وقالت: غريب.. هل الغربان تحلق في هذه المناطق عادةً ؟

تحرك الجميع جنوباً وبعد فترة وجيزة لحقت بهما (كُميت) و(عوراء) وسارتا بجانبهم. أمضت القافلة أربعة أيام في السير المتواصل نهاراً والمبيت ليلاً لكن وفي اليوم الخامس كانت الشمس محرقة على غير العادة وحصص الماء التي حملوها في قربتهم الكبيرة لم تكن ستكفيهم سوى ليومين آخرين كحدٌ أقصى لذا قررت العرجاء تغيير مسارهم ليمروا بمدينة صغيرة تعرفها تقع في الجوار على خط التجارة بين «اليمامة) و«اليمن».

(رافدة): سنضطر للسير شرقاً يا عمة لنصل لتلك المدينة وهذا سيؤخرنا عدة أيام

(نافجة): نتأخر خيرٌ من أن لا نصل.. الماء ضرورة لا مناص منها

(رافدة): ماذا عن..

(نافجة) مقاطعة كلامها: لن أستخدم الفارسي..

(رافدة): كنت سأقول لِمَ لا نستعين بـ(ليشم) كما فعلنا المرة السابقة ؟

(نافجة): هذا قراري ولا نقاش فيه.

وجهت (رافدة) نظرها للخلف حيث كانت (كُميت) و(عوراء) وكأنها تبحث عن معاونة في إقناع (نافجة) بالعدول عن قرارها، لكنها لم تجد سوى الأعين المحدقة بها بصمت فتقبلت الأمر وصمتت هي الأخرى. الصحراء التي قطعوها ذلك اليوم كانت جرداء وقاحلة وهضابها الرملية الشاهقة أرهقت دوابهم صعوداً ونزولاً، وكلما وصلوا لقمة إحداها لم يروا سوى الخواء في الأفق لكن العرجاء استمرت بالتقدم وهي واثقة من أن تلك المدينة التي تحدثت عنها قريبة وسيصلون إليها قبل نفاد الماء.

نهاية ذلك اليوم المُرهق وعند انتصاف الليل نصب الجميع الخيام لأن العرجاء لم تكن توقف قافلتها مع غروب الشمس كما هو معتاد في سير القوافل لكنها كانت تُصر على التقدم حتى وقتٍ متأخرٍ من الليل. لم يكن النوم في الخيام مريحاً تلك الليلة بسبب أشعة الشمس التي اكتنزتها الأرض طيلة النهار فقرر الجميع النوم في العراء لتخفيف وطأة الحرارة المنبعثة من الرمال.

استلقى الأربع على الأرض دون إشعال نار وبعضهن خففن من

ملابسهن فقط ليشعرن بأي نسمة عابرة تساعدهن للدخول في عمق النوم لكن ذلك لم يحدث. استلقت (رافدة) في أقصى اليسار تليها (كُميت) تبعتها (عوراء) ثم (نافجة) ولم يكن يسمع لهن صوت سوى تقلبات بعض الفتيات من وقتٍ لآخر على الرمال. أول من خرج عن صمته وبدأ يتذمر من الحر كانت (رافدة): الحر لا يطاق يا عمة!

(نافجة) وهي مستلقية على جنبها الأيمن بعينين مغمضتين:

وماذا تريدين مني أن أفعل ؟

(رافدة) بتأفف: لا أعرف لكننا لن نستطيع الحصول على أي قسط من النوم هكذا!!

(كُميت) وهي مستلقية على ظهرها وأعينها للسماء: الأمر ليس بذلك السوء.. أرى أن الأجواء طبيعية.

(رافدة) بنبرة ساخطة: أنتِ تنامين ملثمة فلا تتحدثي عن ما هو طبيعي!

(كُميت): يمكنني مساعدتك على النوم لو رغبتِ.

(رافدة): لا، شكراً.. نامي أنتِ!

(عوراء) لـ(كُميت): ساعديني أنا.. فأنا لا أستطيع النوم أيضًا..

جلست (كُميت) وأشارت لها بأن تحضر قماش الخيمة المصنوع من وبر الإبل الثقيل..

نفذت الصبية ما أمرتها به وعندما استلقت بجانبها مرة أخرى أخبرتها بأنها سوف تلفها وتغطيها بالكامل بغطاء الخيمة لفترة من الزمن.

(رافدة) وظهرها مدار لهما وبتهكم: الفتاة تريد النوم لا الموت..

(عوراء) من تحت الغطاء: أنا أشعر بالحر أكثر من السابق!

(كُميت): أعرف.. أخبريني عندما ينضح الماء من جبينك.

(عوراء) بنبرة قلقة: حاضر..

كانت (نافجة) تنصت لما يحدث وعلى وجهها ارتسمت ابتسامة لأنها تعرف الطريقة التي تحاول (كُميت) استخدامها، وهي عادة معروفة عند بعض العرب عندما يشتد بهم الحر ليلاً ولا يستطيعون النوم فيقومون بلف أنفسهم بالصوف والوبر لتعرق أجسادهم



ويعدها يزيلون الأغطية دفعة واحدة لتصبح نسمات الجو باردة عند اصطدامها بأجسادهم المبللة بالعرق، فقط لوقتٍ قصير يسمح لهم بالدخول في النوم براحة.

(كُميت) لـ(عوراء): هل نضَح العرق منكِ ؟

(عوراء): نعم وأكاد أختنق..

انتظرت (كُميت) تحرك الهواء قليلاً ثم سحبت الغطاء عن الصبية: كيف تشعرين الآن ؟

(عوراء) مبتهجة: أشهر بانتعاش وهواءٍ بارد يضرب جسدي!

(كُميت) مبتسمة: هذا لن يدوم طويلاً حاولي النوم بسرعة قبل أن يزول الأثر

(عوراء) مغمضة عينيها بحماس: حسناً!!

(رافدة) بتذمر: لن تنامي بهذه الطريقة الحمقـ..

قوطع تذمر (رافدة) بشخير الصبية الذي تعالى وهي مستلقية على ظهرها..

(كُميت) مبتسمة لـ(رافدة): ماذا كنتِ تريدين أن تقولي يا أختي ؟



(نافجة) وهي لا تزال مغمضة العينين ومستلقية على جنبها الأيمن وظهرها للجميع: كانت تريد أن تشكرك على إضافة الشخير على حر بدنها..

ضحكت (كُميت) لكن (رافدة) لم تكن مسرورة للسخرية التي تعرضت لها وقالت بهدوء: لن تستفزيني يا عمة لا تحاولي..

(نافجة) بتهكم: ماذا قلتِ ؟.. لم أسمعكِ من صوت الشخير!

وضعت (كُميت) يدها فوق لثامها كي لا تسمع (رافدة) ضحكاتها ولا يتحول الأمر لشجار لكن (نافجة) استمرت بمناكفتها وقالت:

هل تريدين مني أنِ أطلب من الجني الأزرق أن يضعكِ في حجره ويقرأ لكِ تهويدة ؟

(رافدة): عطر..

(نافجة): بمَ تهرطقين يا بدوية ؟

نهضت (رافدة) من مكانها واستنشقت الهواء قائلة: أشم رائحة زكية..

(كُميت) وهي تجلس: عن ماذا تتحدثين ؟

(نافجة) وهي على حالها: لقد فقدت عقلها من حرارة الأجواء!

(رافدة) تسير مبتعدة عنهن: هناك شيء قريب منا!.. رائحته جميلة!

وقفت (كُميت) ولحقت بها مما دفع العرجاء للجلوس ومراقبتهما وهما تبتعدان وهي تحدث نفسها:

«الحجازية فقدت عقلها أيضاً..»

غابت الاثنتان لفترة طويلة لكن العرجاء لم تكترث لغيابهما واستلقت مرة أخرى وغلبها النوم ولم تدم تلك الغفوة طويلاً لأن (رافدة) أيقظتها بطريقة مفاجئة وهي تتحدث بسرعة وتوتر. غضبت العرجاء من طريقة إيقاظها لها وقالت:

هل جننتِ ؟!.. ما بكِ ؟!

اكتفت (رافدة) بالإشارة بسبابتها للطريق الذي سلكته مع (كُميت) دون أن تقول شيئًا لكن ملامح وجهها نطقت بالكثير. كان الخوف متجلياً عليها مما دفع (نافجة) لسحب عكازها والنهوض لرؤية ما أثارها وأفزعها، بالرغم من تلك الجلبة إلا أن (عوراء) لم تستيقظ وتُركت وحدها بجانب الدواب. عكزت العرجاء خلف (رافدة)

لمسافة طويلة وهي تقول:

أين الحجازية ؟!.. ولمَ أنت متوترة كهذا وأين نحن ذاهبتان ؟!

لم ترد (رافدة) واكتفت بالسير أمام العرجاء والإشارة لها باللحاق بها وكأنها لا تريد الحديث أو إصدار أي صوت، قطعت الاثنتان مسافة طويلة حتى وصلتا لطرف صخرة استلقت فيه (كُميت) على بطنها وكأنها تراقب شيئًا في الأفق أمامها. استلقت (رافدة) بجانبها وشاركتها النظر و(نافجة) تشاهد ما يحدث في حيرة شديدة. حاولت العرجاء رؤية ما كانت الفتاتان تراقبان لكنها لم ترَ شيئًا سوى وادٍ صخري سحيق. رفعت (نافجة) عكازها ووكزت (رافدة) بقوة أسفل ظهرها وهي تقول بتجهم:

أخبريني ما الذي يحدث وإلا رميتكما في الوادي!

(رافدة) ونظرها لأسفل الوادي: ألا ترين ما نراه يا عمة ؟!

(كُميت) مشاركة (رافدة) النظر: ألا ترين كل هذا الجمال ؟

بالطبع لم ترَ العرجاء شيئًا مما تحدثتا عنه وشعرت أن هناك أمرًا مريبًا يحدث وأن بنتيها تعرضتا لطلسمٍ ما لذا قامت بمجاراتهما في كلامهما



وقالت:

بلى.. بلى.. أرى كل شيء.. هيا لنعد الآن..

ردت الاثنتان بالرد نفسه تقريباً وهو أنهما لا تريدان الرحيل وتفضلان البقاء والاستمتاع بمشاهدة «الجمال» أمامهما كما أسمتاه.

عكزت العرجاء عائدة أدراجها من حيث أتت، وبعد فترة وصلت ورأت (عوراء) على حالها نائمة فنادت على (زمجد) وظهر لها في الحال: بمَ تأمرين ؟

(نافجة): لا أريد أن أستهلك من قوتك لكن حدث أمرٌ غريب ولا أستطيع التعامل معه وحدي.. شرقاً من هنا الفتاتان تهلوسانِ ولا أعرف السبب.. اذهب وتحقق من الأمر فأنا لم أستطع معرفة ما بهما.. وأحضرهما معك عند عودتك.

(زمجد) وهو يختفي: أمرك..

لم يغب الجني الأزرق طويلاً حتى عاد مصطحباً الفتاتين معه وهما مقيدتان ببعض عروق الشجر وعندما سألته العرجاء عن سبب ذلك قال:



لقد كانتا في حالة جنونية عندما وصلت إليهما وخشيت أن تؤذيا نفسيهما!

(نافجة) وهي تراقبهما وهما على الأرض تتقلبان وتهذيان بكلمات غير مفهومة: وهل عرفت سبب ما أصابهما ؟

(زمجد): لدي تخمين..

(نافجة) وصبرها ينفد: ومتى سأسمع تخمينك هذا ؟!

(زمجد): هناك مجموعة من أشجار «السدرة الحمراء» في تلك المنطقة.. أعتقد أنهما تناولتا من نبقها..

(نافجة): هل أنت متيقن من ذلك ؟

(زمجد): متيقن من أنهما لو تناولتا منها فما يحدث معهما هو مجرد البداية..

(نافجة): والنهاية ؟

(زمجد): الموت إذا لم تحصلا على الترياق وهو شربة ماءٍ من عينٍ خاصة!

(نافجة): لا تهدر الوقت في الكلام!.. اذهب حالاً وأحضر لهما هذا الماء!

(زمجد) بتردد وخيبة: لا أستطيع..

(نافجة) بعصبية: هذا أمر ولا يحق لك رفضه!

(زمجد): أنا لا أرفض تنفيذه.. أنا لا أستطيع.. البئر التي نحتاج من مائها موجودة في عمق كهفٍ لا أسطيع دخوله ولو دخلت فسأقطع إرباً.

(نافجة): أين يقع هذا الكهف ؟

(زمجد): أقصى الجنوب من هنا.. في منطقة «خور روري».. كهف الشياطين العاشقة..

(نافجة): هل تملك قوة كافية لنقلنا إلى هناك في الحال ؟

(زمجد): مع الدواب.. لا أظن..

(نافجة): ماذا عن نقلي أنا والفتاتين فقط ؟

(زمجد): بقاؤهما هنا أكثر أماناً لهما فتلك المنطقة خطرة وموحشة جدّاً خاصة في هذا الوقت.

(نافجة): انقلني أنا إذًا فقط ثم عد إلى هنا فوراً وابقَ معهن.

(زمجد): وكيف ستعودين ؟.. لن أقوى على إعادتك إلا في صباح اليوم التالي.

(نافجة): لا يهم!.. هيا أيها الفارسي خذني لكهف الشياطين العاشقة حالاً ولا تضيع الوقت!

في لمح البصر وجدت العرجاء نفسها في منطقة أرضها مخضرة وأمامها سلسلة من الجبال البنية الصغيرة وعدد من الفوهات الكبيرة المؤدية لدواخلها. كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل والرؤية محدودة لكن معالم التضاريس من حولها واضحة. التفتت إلى (زمجد) الواقف بجانبها وقالت:

ماذا الآن أيها الفارسي ؟.. أين كهف الشياطين العاشقة هذا ؟

(زمجد): الشياطين العاشقة تقيم أسفل منا في باطن الأرض عبر أنفاقٍ ممتدة ومتشعبة وهذه المنطقة هي أحد المداخل المؤدية إليها.

(نافجة): والبئر التي بها ترياق الفتيات أين تقع ؟

(زمجد) مشيراً لأحد المداخل الكبيرة: هذا الكهف سيقودك لأول

الطريق للقاع.. مكان البئر مجهول بالنسبة لي.. لكن أنصحكِ يا سيدتي أن تدخلي الكهف خلال النهار فالشياطين بالداخل تكون أقل نشاطاً وقتها.

(نافجة): كل لحظة تمر سوف تكون على حساب حياة بنتيّ.. لا أستطيع الانتظار والمخاطرة بأرواحهما.

(زمجد): ما زلت لا أنصح بذلك.. لا يوجد سوى الموت في الأسفل لكل دخيلٍ على الشياطين العاشقة!

(نافجة) متجاهلة تحذير الجني الأزرق ومستنشقة بعض الهواء:

ليل هذا المكان جاف وبلا ريح..

(زمجد): هل أنتِ حقاً مستعدة للموت ؟

(نافجة): لا.. لكن لن أستطيع العيش لو حدث لهما مكروه وهما في حمايتي.. لا تتأخر بالعودة لهُنَّ وارجع هنا غداً لتأخذني عندما تستعيد قوتك.

(زمجد): وإذا لم أجدكِ ؟

(نافجة): انتظر لمنتصف النهار.. وإذا لم أعد فسأكون قد هلكت..

صمت الجني الأزرق ولم يرد واختفى..

لم تنتظر العرجاء كثيراً بعد رحيل (زمجد) وبدأت بالعكز نحو فوهة الكهف وقبل اقترابها من فتحته المظلمة بدأت تسمع ما يشبه الهمسات لمجموعة كبيرة من الأنفس توسوس لها بكلماتٍ غير مفهومة. توقفت لبرهة بسبب تلك الهمسات المخيفة لكنها استجمعت شجاعتها وأكملت المسير متجاهلة الأصوات، الظلام في ذلك الكهف كان أقل ما يمكن أن يقال عنه أنه حالك السواد. وبالرغم من هذا تعمدت (نافجة) أن لا تشعل أي نارٍ لتنير لها الطريق واكتفت بتحسس جدران الكهف للتقدم داخله. تملك العرجاء طلسماً يشعل لها بريقاً يسهل عليها التوغل في غياهب الكهف لكنها لم ترد الاستفادة منه دون حاجة، خاصة وأنها تعلم أن الشياطين تستثار من الضوء خاصة القاطنة في الأماكن المظلمة.

تعقدت تضاريس جوف الكهف مع مرور الوقت وتقدم العرجاء وأصبح من الصعب عليها إيجاد الفتحات التي تقودها لعمق أكبر، وبالرغم من حاجتها الماسة لنورٍ ينير دربها إلا أن عدم اعتراض



الشياطين لها أكد لها أن تخمينها بالسير بهذه الطريقة هو الحل الأمثل والأكثر أمانًا. تبدد هذا الشعور بالطمأنينة عندما زلت قدمها في حفرة عميقة لم تتمكن من رؤيتها بسبب الظلام وشجت رأسها وسط ضحكات مزعجة ومتعالية صدرت حولها في ذلك القاع الذي وقعت فيه.

بين تلك الضحكات صدرت بعض الكلمات وأنصاف العبارات المفهومة من عدة مصادر وجهات مثل «مبتورة حمقاء!!»..

«إلى العظام خذوها!»..

«قدموها قرباناً لشهيدة العاشق!»..

«تلمذ!».. «تلمذ!»..

أخذت جميع الأصوات تردد بعد هذا الاسم نفسه.. «تلمذ».. ومع ترديدهم له كانت أصواتهم تعلو وتزداد حدة وغضباً لدرجة أن (نافجة) وضعت كفيها على أذنيها وقاية من ذلك الإزعاج المؤلم. تحولت بعدها الصرخات إلى بكاء ونحيب جماعي بالاسم نفسه عندها تسلل الرعب لقلب العرجاء التي بدأت بالزحف في الظلمة



بدون عكازها ولم تحاول رفع رأسها أو نظرها للأعلى من حيث كانت تلك الأصوت تأتي. بعد زحفٍ لمسافة خمسة عشر ذراعاً تقريباً انتشلها شيء ما وسحبها بقوة وسرعة خاطفة وأخذ يحلق بها للأعلى. لم تكن العرجاء ترى شيئًا حولها لكنها أحست أنها ترتفع لقمة الكهف وأن يداً بمخالب طويلة قابضة على أكتافها. رائحة ذلك الشيء كانت نتنة وصدر منه فحيحٌ كالأفعى. لم تنتظر (نافجة) لترى مصيرها وقرأت طلسماً ووجهت لبطن ما كان يحملها لتحرقه بنارٍ علقت به مما دفعه لرميها للأسفل وأن يحلق بعيداً عنها مصدراً أصواتاً دلت على تألمه من تلك النار.

السقطة الثانية للعرجاء كانت مؤلمة أيضًا لكن لم ينتج عنها إصابة خطيرة. أحست (نافجة) أنها وقعت على مجموعة من العصي، وبسبب الإرهاق الشديد الذي ألم بها ونسمات الهواء التي عبرت بجانبها قامت بإغماض عينيها ودخلت في خليط من النوم والإغماءة البسيطة.



بساتين عصبة مجد

استيقظت العرجاء.. وقبل أن تنهض وترفع رأسها من على الأرض وقعت عيناها على حقلٍ أخضرَ امتد أمامها وامتلأ بالزهور المتنوعة بكافة الألوان توسطته واحة جميلة أحاطت بها أشجار نخيلٍ مثمرة.

جلست (نافجة) وأمعنت النظر في المنظر الخلاب أمامها ورفعت رأسها للسماء لتجد أنها أكثر روعة فقد كانت صافية زينتها بعض الغيوم الكثيفة البيضاء المتفرقة كقطع القطن.

دهشة العرجاء بلغت ذروتها عندما رأت أن قدمها المبتورة مكانها وكأنها لم تُمس وأخذت تلمسها وتتحسسها لتتحقق مما رأته عيناها وخلال قيامها بذلك تحدث معها صوت أتى من ورائها قائلاً: لا تفرحي كثيراً إنه مجرد حلم..



وجهت (نافجة) نظرها نحو الصوت لترى (دعجاء) تقف خلفها باسمة ومن ورائها مجموعة من الفتيات يلعبن.

(دعجاء) وهي تجلس بجانب (نافجة): كيف حالكِ يا ابنة «هجر» ؟

(نافجة) بخليط من السعادة والدهشة: بخير يا عمة.. كم أنا سعيدة لرؤيتك مجددًا!

(دعجاء) وهي سارحة في الواحة الجميلة: كيف حال بناتك ؟

(نافجة): بخير.. اثنتان منهن مرضتا وأنا أحاول إيجاد علاجٍ لهما..

(دعجاء) مبتسمة: متعبات هن دائماً..

(نافجة): من الغريب أن أكون في حُلم وأدرك ذلك!

(دعجاء): الأغرب أن نكون في واقع ولا ندركه!..

(نافجة): ماذا تقصدين يا عمة ؟

(دعجاء): هذه لن تكون آخر مرة تتعرض فيها إحدى بناتك للخطر..

(نافجة) منزلة رأسها بحزن: أعرف.. وهذا الأمر يؤرقني..

(دعجاء): أنتِ تذكرينني بنفسي كثيرًا.. هناك صفاتٌ عدة تجمعنا..

(نافجة): هذا فخرٌ لي يا عمة..

(دعجاء): هل تحبينهن ؟

(نافجة): من ؟.. بناتي ؟.. نعم.. لو كنت قد رزقت بأطفال فلا أظنني سأحبهم مثلهن

(دعجاء): إذاً لا تكرري الخطأ الذي اقترفته!

(نافجة): ماذا تقصدين ؟

(دعجاء): لقد مت مرتين في حياتي السابقة.. عندما كنتُ معكِ ومن قبلها عندما علمت أن بناتي قتلن جميعًا.. فقدت الرغبة بعدها بالحياة لكن الأسوأ هو شعوري بالذنب لأني لم أترك لهن المجال ليعشن حياتهن بسبب أنانيتي..لو لم يلتقين بي لما انتهين تلك النهاية البشعة..

(هنان) ضاحكة وهي تقترب منهما من الخلف: لا تنصتي لها يا عمة (نافجة)!.. العمة تحب تهويل الأمور!

(دعجاء) وهي تشدها من ذراعها وتطيح بها أمامهما ضاحكة:



أنتِ آخر من يتكلم عن تهويل الأمور!.. هل استمتعتِ بالموت في أرض الفرس ذليلة ؟!

(هنان) تنهض بسرعة وتقفز مكانها مبتهجة ورأسها للسماء: لم أكن ذليلة يا عمة!.. مت وأنا أقاتل بها أومن به وسأعيد الكرة لو قُدر لي ذلك!

(دعجاء) تهمس مبتسمة لـ(نافجة): ابنتي (ربوح) هي الأعقل بينهنَّ أما هذه فمجنونة منذ أن التقيت بها أول مرة..

(نافجة) بحزن: ماذا تريدين أن تقولي لي يا عمة ؟

(دعجاء) وهي تراقب (هنان) تجري نحو الواحة وتقفز فيها: لا أستطيع قول شيءٍ سوى لا تكرري ما قمت به أنا.. الفتيات اللاتي معك الآن يحببنكِ لكن حبهن هذا ليس سبباً لأن تسلبيهن أعمارهن وتحرميهن أن يعشن حياتهن كاملة..

وجهت (نافجة) نظرها للبحيرة وشاركت عمتها مراقبة (هنان) وهي تسبح فيها وبعد صمتٍ لم يدم طويلاً نهضت (دعجاء) وأشارت لها بالخروج من البحيرة واللحاق بها.



(نافجة): إلى أين يا عمة ؟

(دعجاء) وهي تنتظر قدوم (هنان) إليها: لقد حان وقت رحيلنا..

(نافجة): ومتى سيحين وقت رحيلي ؟

(دعجاء) وهي تستقبل (هنان) وتضع خمارها على شعرها الأحمر القصير لتجففه من ماء البحيرة:

هذا السؤال إجابته ليست عندي يا بنت أملج..

سارت (دعجاء) عائدة مع (هنان) للبنات الأخريات اللاتي كُنَّ يلعبنَ خلفهن وتركت العرجاء مع أفكارها..

خلال جلوس (نافجة) وتأملها البحيرة تلبدت السماء فجأة بغيومٍ سوداء حجبت نور الشمس تمامًا وأخذت ترعد وتبرق بقوة تبعها هطول أمطارٍ بلون الدم. نهضت من مكانها مفزوعة وقد تلطخت من الأمطار الدامية وقبل أن تتحرك من مكانها لمحت شيئاً يخرج من قلب البحيرة التي تحولت لبركة من الدم. شيئًا فشيئًا اتضحت معالم ذلك الشيء الذي سار خارج البحيرة وبدأ بالتوجه نحوها والذي لم يكن سوى ذلك المتنور ذي النجوم العشر.

ارتسمت على وجهه ابتسامة خبيثة وهو يشق طريقه عبر الأمطار الحمراء نحو (نافجة) التي عجزت عن الحركة والهرب لأن أقدامها تحولت لصخورٍ كبيرة ثبتتها مكانها. عندما أصبحت المسافة بينهما خمسة أذرع تقريباً قال المتنور كلمة واحدة بالفارسية قبل أن يرفع كفيه في وجهها ليخرج منهما نورٌ ساطع مزق جسدها ونزع اللحم عنه ولم يبقِ منه سوى العظام.

درب العظام



أفاقت العرجاء مفزوعة من حلمها الذي تحول لكابوس ورأت نوراً مسلطاً على وجهها وقد كان ذلك النور هو أشعة الشمس القادمة من فتحة بالأعلى لم تكن ظاهرة لها ليلاً. نهضت بسرعة عندما اكتشفت أنها مستلقية على كمية كبيرة من العظام البشرية وزادت رهبتها بعد أن زحفت مسرعة لترى أنها مستقرة فوق جبل كبير من العظام والجماجم وقالت محدثة نفسها بنبرة متوترة:

ما هذا ؟.. أين أنا ؟

(صوت من حولها): أنتِ فوق ما تبقى من قبيلة (سحيان).. أنتِ فوق عرش زعيمنا الشهيد..

التفتت العرجاء على مصدر الصوت قائلة: من أنت ؟!



(الصوت) بسخطٍ مرتفع اهتز له المكان: أنا من اعتديتِ عليه بنارك!.. وسوف أقتص منكِ!

(نافجة) مستجمعة شتات تركيزها:

لقد كنت أمامك طيلة الليل.. لِمَ لم تقتص مني وقتها ؟

أصدر الصوت زمجرة ولم يرد عليها..

(نافجة) مبتسمة: أنت لا تستطيع أليس كذلك ؟

صوت الزمجرة يزداد قوة وغضباً..

(نافجة) وهي تجول بنظرها حولها: لكن لماذا ؟

(الصوت) بعصبية وغضب: أستطيع تمزيقك وقتما أشاء!!

(نافجة) تسحب عظمة فخذ كبيرة وتستعين بها للوقوف:

ماذا تنتظر إذاً.. هيا أنا أمامك..

بدأ الصوت يصرخ بجنون لأن العرجاء كانت محقة فهو لا يستطيع التقدم نحوها لكنها لم تكن تعرف السبب وخلال ذلك الصراخ توقف الصوت فجأة وحل الهدوء في المكان ثم قال بنبرة ذات زمجرة خفيفة يملؤها الغل:



طال الزمن أو قصر ستحاولين ترك القمة وسأكون بانتظارك..

(نافجة) تتجول فوق قمة جبل الجماجم وتبحث بنظرها:

إذاً ما يخيفك موجود على قمة هذه الكومة من العظام.. أليس كذلك ؟

الصوت يزمجر ولا يرد..

استمرت العرجاء بالبحث فوق القمة المنارة بضوء الشمس القادم من الفتحة العلوية حتى وقعت عيناها على فراءٍ رمادي اللون متكورٍ على الأرض فبدأت بالعكز نحوه وخلال تقدمها أخذ الصوت يتوسل بصوتٍ متوتر ومرعوب:

لا!.. لا توقظي أبا كاسب!.. لا توقظيه!

(نافجة) وقد وصلت للفراء ومسكته ورفعته: هل هذا ما يخيفك ؟

صرخ الصوت بقوة وبدأ بالبكاء مستغيثاً طالباً الرحمة..

ابتسمت العرجاء لأنها عرفت أن هذا الفراء يخيف ذلك الشيطان المتربص بها فلبسته وقالت: اكشف عن نفسك ولا تتحدث من وراء حجاب!

(الصوت) بصوت مرعوب: الرحمة يا أبا كاسب!.. الرحمة!



لم تكن العرجاء تفهم تماماً سبب خوف الشيطان من الفراء لكنها لم تطل التفكير في الأمر وحاولت استغلال ذلك للحصول على ما تريد والخروج من المكان بأسرع وقت فقالت: أين البئر التي تنبع في هذا الكهف ؟

(الصوت): لايوجد بئر هنا يا أبا كاسب!

(نافجة) بغضب: لا تراوغ وأجب!

لم يرد عليها الصوت وأخذ يبكي ويرتعد ويهرطق بلغة غير مفهومة..

قررت العرجاء البحث عن البئر بنفسها وعكزت تجاه الجهة الأخرى من جبل العظام، وقبل أن تصل للطرف الآخر شاهدت هيكلاً عظميًّا وعلمت على الفور أنه يعود لامرأة لأن لباسها وشعرها الأسود الطويل دلا على ذلك. بدأت العرجاء تعكز بعظمة الفخذ نحو تلك الجثة المتحللة وقبل أن تصل إليها عاود الصوت الحديث معها وبدأ بالتوسل إليها: أرجوك!.. لا تعبثي بـ(نورة)!.. أرجوك يا أبا كاسب!.. هي كل ما تبقى لنا من سيدنا (ملاز)!

(نافجة):.. (نورة) ؟.. (ملاز) ؟.. من هذان يا شيطان ؟!

(الصوت): اتركيها وشأنها وسوف أحقق لك ما تريدين..!

(نافجة): لا أريد سوى بعض الماء من البئر التي تنبع هنا..

(الصوت) بنبرة مختنقة خوفاً: أقسم لك يا أبا كاسب أن لا ماء هنا سوى ماء العاشق الكبير!

(نافجة) بوجهٍ مستنكر: عن أي ماء تتحدث ؟.. أرِني إياه!

خرجت سلسلة من الخيوط النارية كالحبال وشكلت ممرًا نزولاً من قمة جبل العظام وأنارت الطريق إلى مكانٍ لم تتمكن العرجاء من تحديد تفاصيله فقالت:

إلى أين يؤدي هذا الطريق ؟

(الصوت): ماء العاشق الكبير..

بدأت العرجاء بالعكز بين حبال النار وهي متوجسة مما ستقودها إليه لكن الرهبة في صوت الشيطان طمأنتها بأنه لن يحاول التعرض لها والفراء فوق ظهرها وأكملت المسير حتى وصلت للنهاية حيث رأت تجويفًا ممتلئًا بالماء الراكد وقالت: من أين ينبع هذا الماء ؟

(الصوت) من خلفها: النبع جف منذ زمنٍ طويل.. هذه دموع

العاشق الكبير التي ذرفها على معشوقته.. لقد قضى أعواماً طويلة يرثيها ويبكي على فراقها هنا..

(نافجة): أي حبٍّ مجنون كان يكنه ذلك الشيطان في قلبه..

(الصوت): حب لم يجارِه سوى حب السيدة (تلمذ) له..

(نافجة) مديرة نظرها نحو مصدر الصوت: ومن (تلمذ) هذه ؟

اشتعل على مقربة من العرجاء وهج نار زرقاء كاشفة عن شيطانة مصلوبة ومعلقة على جدار الكهف فاشمأزت من منظرها وخلال تحديقها بجسدها المعلق قال الصوت: هذا المكان لا يرحب إلا بالعشاق الحقيقيين.. خذ ما تريد يا أبا كاسب وارحل.. ارحل واتركنا نبكِ في سلام..

أخرجت العرجاء قربة صغيرة أحضرتها معها وملأتها من دموع (عاشق نورة) وربطتها ثم قالت: ما اسمك يا شيطان.. ؟

(الصوت): أنا (ناب) يا أبا كاسب.. (ناب).. (ناب)..

(نافجة): سأرحل الآن وأترككم في سلام يا (ناب).. أرشدني لطريق الخروج من هنا..

(ناب) وشعلة صغيرة تظهر من حيث كان يتحدث: سر خلفي..

تبعت العرجاء الشعلة حتى قادتها لفوهة غير التي دخلت منها وبعد تجاوزها للخارج سمعت (ناب) يقول لها من وسط تجويف الكهف وراءها:

لا تعد يا أبا كاسب مرة أخرى.. لا تعد..

لم تعرف (نافجة) أين هي من المكان الذي طلبت من الجني الازرق أن ينتظرها عنده وأحست ويسبب سقوطها داخل الكهف أنها نزلت ويجب أن تصعد الجبل كي تستطيع تحديد المنفذ من حيث أتت أول مرة، لم تكن العظمة التي عكزت عليها مناسبة لذلك لكن (نافجة) بذلت مشقة كبيرة في الصعود وأمضت وقتاً طويلاً إلى أن وصلت للقمة ومنها أخذت تتجول وتبحث بنظرها حتى وقعت عينها على (زمجد) أسفل إحدى القمم. صرخت العرجاء عليه منادية وهي تلوح بيدها من الأعلى وفي لمح البصر كان الجني الأزرق أمامها يسندها قائلاً:

ما الذي أتى بك إلى هنا يا سيدتي ؟

(نافجة) والإعياء قد أصابها: خذني لهُنَّ بسرعة!

(زمجد): أمرك..

وفي لمح البصر انتقل الجني الأزرق من المكان..

أفاقت العرجاء ليلاً في مكانٍ هادئ ومفتوح فنهضت ببطء ورأت بناتها الثلاث على بعدٍ منها يتفحصن بعض الصخور والدواب من خلفها وبجانبها عكازٌ خشبي جديد منحوت ببراعة فابتسمت لعلمها بأنها تمكنت من إنقاذ حياتهن.

(زمجد) من خلفها: لقد سقيتهُما الماء واستعادتا عافيتهُما فوراً!

(نافجة) وهي سارحة في الفتاتين وهما تمازحان (عوراء): لم يكن ماء..

(زمجد): ماذا كان إذاً ؟

(نافجة): أشعر أنني مخطئة باصطحابهنَّ معي.. ليس لهن أي ذنب ليتحملن تبعات مسعاي ورحلتي نحو المجهول.. لا تحاسب أحداً على أحلامٍ حلمت بها وحدك.. هذا ما كان يقوله لي دائمًا

(زمجد) رافعاً نظره للفتيات في الأفق:



أعتقد أنهن سعيدات بوجودهن معكِ يا سيدتي حتى وإن تخللت ذلك بعض المخاطر

(نافجة): لا أريد أن يصيبهن مكروه بسببي..

(زعجد): لقد أهديتهن سعادة وخيرًا كثيراً أستطيع رؤية ذلك في أعينهن.

(نافجة) وهي سارحة ببناتها: من يكره لك الشر يحبك أكثر ممن يريد لك الخير..

(زعجد): هن معكِ باختيارهن ولا يوجد شيء أجمل من أن يكون قرارك بيدك

(نافجة) ملتفتة إلى الجني الأزرق: ماذا عنك أنت ؟

(زعجد): أنا مسير ولست مخيراً!..

(نافجة): ماذا لو كنت مخيراً ؟

(زعجد): حرريني وستعرفين.

(نافجة) تستلقي على ظهرها قائلة: هذا علمٌ لا أريد اكتسابه..

بعد عدة دقائق عادت الفتيات من لعبهن ورأين أن عمتهن قد

استيقظت فهجمن عليها دفعة واحدة وعانقنها فقالت (نافجة) متأففة من اجتماعهنَّ عليها: ابتعدن عني!

(عوراء) خلال عناقها: اشتقت لكِ يا عمة!

(نافجة): لم أغِب إلا لبرهة من الوقت!.. انهضي وأبعدي بطنك المملوءة بالحنطة عن صدري!

(كُميت) تشد من عناق العرجاء: لكن غيابك وإن قصر كان طويلاً علينا

(نافجة): هل احتساء دموع ذلك الشيطان أفقدكِ عقلكِ يا حجازية ؟!

(رافدة): لا لكن شوقنا إليك فعل بنا ذلك!

(نافجة): لم أكن أعنيك يا بدوية لأنك لا تملكين عقلاً من الأساس!



الوشق

أمضت المجموعة ليلتها في المكان نفسه بعد تعافي (رافدة) و(كُميت) مما أصابهما من تناول ثمار «السدرة الحمراء» وفي غداة اليوم التالي نهض الجميع باكراً بنشاط عدا (نافجة) التي أظهرت تعباً وإعياءً شديداً. اقترحت الفتيات عليها أن يبقوا يوماً آخر حتى تتماثل للشفاء لكنها أبت وأصرت على استئناف تقدمهم نحو «حضرموت» جنوبًا. سارت قافلتهم تحت حر الشمس الأخف حرارة من الأيام الماضية وقبل أن ينتصف بهم النهار رأى الجميع في الأفق عاصفة رملية هوجاء مقبلة عليهم، وهذا أمرٌ طبيعي لكن ما كان غريباً هو جزع (زمجد) الذي لم ترَه (نافجة) من قبل، حين دنا منها وهي على ظهر (الغبساء) وقال بتوتر: هل تأذنين لي بالابتعاد يا سيدتي حتى تمر هذه العاصفة ؟

(نافجة): تبتعد ؟.. تبتعد إلى أين ؟.. ولماذا ؟

(زمجد) وعيناه المرتبكتان على العاصفة المقتربة: الجن والشياطين لا يقفون أمام العواصف ويتجنبونها لأن رمالها قد تتسبب بهلاكنا.

(نافجة): لم أسمع بهذا الأمر من قبل..

(زمجد) متوترًا من اقتراب العاصفة أكثر: الأتربة والرمال خطر حقيقي على جنسنا، حبة واحدة في عين أحدنا كفيلة بأن تصرعه في الحال.

(نافجة): ومتى ستعود ؟

(زمجد) والعاصفة على وشك ضرب القافلة وبنبرة بلغت أقصاها في التوتر:

لن أطيل.. أقسم لكِ!

(نافجة) وهي تغطي وجهها بخمارها: حسناً.. يمكنك الانصراف!

اختفى الجني الأزرق فوراً ومع اختفائه ضربت العاصفة الجميع فغطين وجوههن بالأقمشة عدا (كُميت) التي كانت متلثمة أصلاً.

لم تتوقف القافلة عن السير وشقت طريقها خلال العاصفة لكن

وتيرة سيرهم أصبحت أبطأ ورؤوسهم بما فيها رؤوس دوابهن كانت محنية ضد العاصفة القوية. انعدمت الرؤية تماماً بعد مسافة من المسير داخل تلك العاصفة العنيفة لدقائق لتبدأ بعدها بالانفراج والتشتت شيئًا فشيئًا حتى صفا الجو تماماً.

(رافدة) مبعدة اللثام عن وجهها باصقة بعض الرمال التي تسللت إلى فمها: وأخيراً اجتزناها!

(عوراء) وهي على الدابة مع (كُميت):

لقد كان شعوراً جميلاً والرمال تضرب جبيني..

(نافجة) تزيل اللثام عن وجهها وتتنفس بثقل: هيا لنكمل طريقنا..

(كُميت) تلاحظ الإعياء على (نافجة): ما رأيك أن نرتاح قليلاً يا قائدة ؟

(نافجة): لا.. يجب أن لا نتوقف..

نعق غرابٌ فوق رؤوسهنَّ فرفعت الفتيات أنظارهُنَّ نحوه وقالت (رافدة):

من الغريب رؤية غراب وحده في منطقة كهذه..

(كُميت) وعينها على الطائر الأسود: لقد رأيته من قبل.. وكأنه يلحق بنا..

(عوراء) تشير للأرض بجانبها بصوت مرتفع: انظرن!

وجه الجميع أنظارهن حيث كانت الصبية تشير عدا (نافجة) المرهقة ورأين بعض قطرات الدم المنتشرة على حبيبات الرمال فقالت (كُميت):

قد يكون حيواناً مصاباً..

(رافدة): لا، انظري للأثر الذي خلفه.. إنها آثار أقدام!

(نافجة) موقفة فرسها وملتفتة إليهن: عن ماذا تتحدثن ؟

(عوراء): عن الرجل المصاب يا عمة!

ترجلت العرجاء عن دابتها وعكزت نحو الدم والأثر وأمعنت النظر فيهما لثوانٍ ثم رفعت رأسها ودارت حول نفسها وسط مراقبة الفتيات الصامتات ثم قالت بعد أن أعادت نظرها للأثر:

من الواضح أن صاحب هذا الأثر كان يجري.. لكن من ماذا يا ترى ؟

(عوراء): كيف عرفتِ أنه كان يجري يا عمة ؟

(كُميت): لأن الأثر ليس عميقاً وهذا يعني أنه لم يطأه بكامل ثقله..

(نافجة) وهي تجثو على ركبتها وتتفحص الأثر أكثر: أمر غريب!

(رافدة) باهتمام: ما الأمر يا عمة ؟

(نافجة) تستند على عكازها لتنهض مرة أخرى: هذه الآثار حديثة جدّاً..

(عوراء) بنبرة محتارة: كيف عرفتِ هذا أيضاً يا عمة ؟!

(رافدة): أنا سأجيبك هذه المرة.. لأن العاصفة الرملية كانت لتزيل أي أثرٍ مضى عليه وقت.. هذا الأثر لم يمضِ عليه دقائق وربما ثوانٍ فقط ومن غير المعقول أنه أُحدث للتو وإلا كنا رأينا صاحبه في هذا الأفق المفتوح الخالي من الأشجار والصخور

(عوراء): ماذا يعني هذا كله ؟

(نافجة) تعكز عائدة نحو فرسها: هذا يعني أننا يجب أن نتحرك بسرعة ونبتعد عن هذه المنطقة غير المُطمئِنة!

قبل أن تصل العرجاء لدابتها بخطوات فقدت توازنها ووقعت على الأرض..

(رافدة) تقفز من فوق جوادها وتعاونها على النهوض وما أن لمستها حتى قالت: جسدك يشتعل يا عمة!.. أنتِ مصابة بالحمى!

(نافجة) تقف وتربط عكازها بلجام (الغبساء) وتعتلي ظهرها قائلة: هيا قبل أن نخسر النهار..

(رافدة) تمسك اللجام وتمنع الفرس من التقدم وتقول بصرامة: سننصب خيمة وستبقين فيها حتى تزول عنكِ الحمى!

ركلت العرجاء قبضة (رافدة) القابضة على لجام (الغبساء) واستأنفت المسير بوجه مرهق جداً..

وجهت (رافدة) نظرها لـ(كُميت) و(عوراء) اللتين كانتا على الدابة نفسها بوجهٍ يطلب المساعدة لكن الحجازية اكتفت برفع أكتافها في إشارة منها أنه «ما باليد حيلة..» ولم تحاول إحدَاهن إجبار (نافجة) على التخييم وأخذ قسط من الراحة بل اكتفين بالسير على دوابهن خلفها. لم ترفع (كُميت) عينها من على (نافجة) المتقهقرة ولعلمها المسبق أن لا شيء يمكن أن يثنيها عن التقدم أكثر أبقت نظرها عليها في حال حدثت لها إغماءة متوقعة جراء تلك الحمى. خيم الصمت



والهدوء على الرحلة لمدة قبل أن ينقطع بنداء رجلٍ يستغيث من خلفهن.

(رافدة) توقف جوادها ملتفتة خلفها وهي تسل سيفها المبروق من غمده الجلدي: من هذا ؟

(كُميت) تقف هي الأخرى وتشد سهماً على قوسها وتوجهه نحو رجلٍ يجري نحوهن آتياً من الأفق: هل أنهيه ؟

(رافدة) وهي تعيد نظرها للأمام: انتظري.. لنسأل العمـ..

شاهدت (رافدة) العرجاء على الأرض و(الغبساء) تحاول إيقاظها بدفع بطنها برأسها..

قفزت (رافدة) من فوق جوادها وجرت نحوها وهي تصرخ: عمة!.. ما بكِ ؟!

(كُميت) منادية على (رافدة) وسهمها مرتكز على الرجل الذي بات قريباً:

هل أقتله ؟!.. أجيبيني ؟!

(رافدة) وهي منكبة على عمتها: افعلي ما تشائين!

شدت الحجازية على قوسها أكثر وأغمضت عينها اليمنى وأخذت نفسًا عميقاً واستعدت لإطلاق السهم..

نزلت (عوراء) عن الدابة في اللحظة نفسها التي قررت فيها (كُميت) إطلاق سهمها تجاه الرجل المندفع عندما رأت أن (نافجة) واقعة على الأرض وضربت القوس برأسها خلال نزولها مما شتت السهم لينغرس في الرمال وليعطي الرجل المندفع وقتًا إضافيًا للوصول إليهن لكن سرعة الحجازية في سحب وشد سهمٍ آخر كانت خارقة واستطاعت شده في وجه الرجل الذي وقف رافعاً يديه قائلاً:

أنا لا أضمر لكم شرًا!

(كُميت) وسهمها مشدود في وجهه: لِمَ تجري نحونا إذاً ؟!

(الرجل): لأن هناك من يطاردني!

(كُميت) دون أن ترفع عينها أو سهمها المشدود عنه: لا أحد يطاردك!.. لا تكذب!

(الرجل): صدقيني.. انظري لإصابة ساقي..

ألقت الحجازية لمحة سريعة كالبرق بعينها على ساقه قبل أن تعيدها

عليه وتحققت من أنه يقول الصدق لكنها لم ترخِ أو تأمن له بعد وقالت:

هذا لا يعني شيئًا.. قطاع الطرق يتعمدون إيذاء أنفسهم لخداع القوافل ونهبها.

(الرجل) ويداه لا تزالان مرفوعتين: وهل أنتم قافلة تستحق النهب ؟

(كُميت) بغضب: اخرس!.. لا تتحدث حتى أسألك!

(الرجل): وهل سأقف كثيراً هكذا ؟

(كُميت): هل تفضل أن أضع نصل سهمي بين عينيك لنرتاح جميعاً ؟

(الرجل): لا.. لا بأس من الوقوف!

(كُميت) منادية على (رافدة) ونظرها على الرجل: ما الأمر ؟!.. هل العمة بخير ؟!

(رافدة): إنها مصابة بالحمى.. سأنصب لها الخيمة لترتاح.. سنتوقف هنا..

(كُميت) لـ(الرجل): سمعت أختي..

(الرجل): نعم سمعتها ؟.. هل تريدين مني مساعدتها في نصب الخيمة ؟

نزلت الحجازية من على دابتها دون أن تحيد بقوسها عن الرجل الواقف مرفوع الأيدي وقادته نحو المكان الذي نصبت فيه (رافدة) الخيمة الصغير لـ(نافجة) وهي تقول: تقدم أمامي كي نرى ماذا سنفعل بك ؟

(الرجل) وهو يسير مروراً أمامها: من منا قاطع الطريق الآن ؟

خرجت (رافدة) من الخيمة بعد ما تحققت من أن (نافجة) مستلقية براحة وتركت معها (عوراء) وعندما وقفت أمام الرجل المرفوع الأيدي تبسم لها قائلاً:

أنا (وشق).. كيف حالك ؟

وجهت (رافدة) لكمة قوية لوجهه أدمت شفتيه فقال غاضباً: لِمَ فعلتِ ذلك ؟!

(رافدة) وهي تفرك ظهر قبضتها: لأنك روعت مجموعة من النسوة..

(وشق) والدماء تسيل على ذقنه: وأين هن هؤلاء النسوة ؟

همت (رافدة) بضربه مرة أخرى لكن (كُميت) استوقفتها منادية عليها وبأعين تشير للعجب منها: ماذا تفعلين يا أختي ؟.. قيدي الرجل فقط!

(وشق) بتهكم: نعم يا أختها.. قيديه فقط..

زفرت الفارسة الهجدانية وأحضرت حبال الخيمة الثانية وقيدت الرجل وقبل أن تتركه رفسته في ظهره وهي تقول: لا تتحرك أو تفكر بالهرب..

(وشق) ووجهه يصطدم بالرمال: ومن سيفكر بترك هذه الجنة!

مع سقوط قرص الشمس خلف الكثبان الذهبية أعدت الفتيات بعض الطعام من صيد (كُميت) وجهزن حساءً لتقديمه لـ(نافجة) والرجل يرقبهن بصمت.

(رافدة) تملأ قربة صغيرة ببعض الحساء وتمده لأختها:

خذي هذه وأطعمي العمة والصبية..

(وشق): هل من الحكمة استخدام ماتكن الشحيح في صنع حساء ؟..

لِمَ لم تأكلن اللحم فقط ؟



(رافدة) بتجهم وهي تُقلب الحساء في القدر المعدني بعصا خشبية دون أن تنظر إليه: الحساء يعالج الحمى يا أحمق..

(وشق) بوجهٍ يخالطه التساؤل بشيء من التهكم: شخص محموم نسقيه ماءً ساخناً.. حتى الكهنة لم يفكروا بهذا العلاج العجيب

رفعت (رافدة) نظرها نحوه ورمقته بنظرة حادة وكأنها ذئبٌ يريد افتراس طريدة لكن (وشق) لم يبدِ أي اهتمام بل ابتسم وقام بتحريك حاجبيه للأعلى والأسفل. عادت (كُميت) وجلست أمامها وانتبهت للنظرات الحادة التي توجهها للرجل المقيد خلفهما وقالت لها: ما بكِ ؟.. لِمَ ترمقينه هكذا ؟

(رافدة) معيدة نظرها للقدر بتجهم: لا شيء..

(كُميت): ماذا سنفعل به ؟.. لا يمكننا إبقاؤه مربوطاً هكذا ؟

(رافدة): لننتظر إلى أن تتعافى العمة وهي من سيقرر مصيره.

(كُميت): هل نطعمه أو نعالج جرح ساقه ؟

(رافدة): جرحه ليس بليغاً.. اتركيه.

(كُميت): والطعام ؟

(رافدة): اسقيه ماء فقط.

(كُميت): أعرف بأنه لا يستحق لكن ذلك ليس من المروءة حتى وإن كان أسيرنا

(رافدة): لست مطمئنة له.. تصرفاته غريبة!

(كُميت): ماذا تعنين بغريبة ؟

(رافدة): لا أعرف كيف أشرح لكِ الأمر لكنه فاقد لعقله بلا شك..

حل الليل وتناولت الفتيات طعامهن وسقين (وشق) بعض الماء ثم قمن برمي بعض الحطب على النار التي استخدمنها لإعداد الحساء بعد أن رفعن القدر وغسلنه بالرمل. خرجت (عوراء) وجلست أمام النار معهن يتسامرن والرجل مقيد عند الدواب على بعد عشرة أذرع منهن.

(عوراء): العمة بدأت تتحسن..

(كُميت): يبدو أن حساء (رافدة) كان مفيداً!

(رافدة) وهي تعبث بجمر النار بعصا:

سوف ترغب بالرحيل بمجرد أن تفيق وهي تحتاج لراحة أكثر.

(كُميت): تعرفين عناد العمة.. لا يمكننا عدلها عن أي قرار تتخذه.

(عوراء): رغبتها في الوصول لتلك البئر قوية.. أشعر بذلك في كل خطوة تأخذها

(وشق) منادياً من بعيد:

لمَ لا تسمحن لي بالانضمام لكن.. أشعر بالملل!

صمتت الفتيات الثلاث ولم ترد عليه إحداهن أو حتى تلتفت إليه وكأنه ليس موجودًا..

(وشق): لِمَ لا تجبنني ؟!.. الليل حل والمكان موحش!.. وأشعر أن إحدى هذه الدواب بجانبي سوف تركلني بحافرها!

(رافدة) بتذمر: بدأت أفكر بتكميم فمه لأنه سيزعجنا طيلة الليل!

(كُميت): هل تشعر إحداكن بالنعاس ؟

(عوراء): لا..

(رافدة): ولا أنا.. لمَ تسألين ؟

(كُميت) منزلة لثامها كاشفة عن ابتسامتها: لِمَ لا نتسلى به ؟

(رافدة): بمن ؟.. المعتوه ؟

(كُميت): نعم.. الليل ما زال في أوله وهو يشعر بالملل كما يقول فلِمَ لا ؟

(عوراء): نتسل به كيف ؟

(رافدة): بمَ تفكرين ؟

(كُميت) تعيد لثامها على وجهها وتنهض سائرة نحو (وشق):

فقط قوما بمجاراتي..

أمسكت (كُميت) بطرف لباس الرجل وشدته بقوة وهي تقول: هيا انهض!

(وشق) مبتسماً: هل قررتما قتلي ؟

(كُميت) تُنهضه بقوة وتدفعه تجاه النار التي اجتمعن حولها: تحرك ولا تتذاكَ!

جثا (وشق) أمام النار بابتسامة عريضة وهو يحدق بـ(رافدة) ثم قال:

المكان هنا أكثر متعة من البقاء تحت سيقان الخيول.. سيقانكما أجمل!

ضربت (كُميت) رأسه من الخلف بكف يدها قبل أن تجلس مكانها وهي تقول: لا تتحدث حتى نتحدث إليك!

(وشق): أنتِ تتحدثين معي الآن.. هل معنى ذلك أنه مسموح لي بالحديث ؟

(رافدة) بتجهم: من أنت ؟! ومن أين أتيت ؟!

(وشق): لقد تهت عن قافلتي..

(رافدة): كاذب!.. كيف تهت ؟

(كُميت): إنه يكذب فعلاً.. لقد أخبرني بأنه مطارد ؟

(وشق): نعم.. كنت مطارداً وهربت وتهت في الصحراء

(رافدة): أنت تكذب.. أرى ذلك في عينيك..

(وشق): أنا لست بكاذب.. لقد طردوني..

(عوراء): هل سرقت منهم شيئًا ؟

لم يجب (وشق) على سؤال الصبية بل إنه لم يلتفت حتى عليها وكأنه لم يسمعها..

(رافدة): لِمَ لا تجيب ؟

(وشق): أجيب على ماذا ؟

(رافدة): على سؤال أختي!

(وشق): أي سؤال ؟.. لم تسألني شيئًا..

(كُميت) وهي تشير لـ(عوراء): لقد سألتك أختنا الثالثة سؤالاً.. أجب عليه.

(وشق) يدير نظره حيث أشارت (كُميت) ويبدأ بتقليب نظره ثم يقول:

عن من تتحدثان ؟.. لا يوجد أحد هنا غيركما!

(رافدة) ترمي بالعصا التي في قبضتها عليه بعصبية: لا تتظاهر بالجنون!

(وشق) ضاحكاً: لا يوجد مجانين هنا غيركن!.. ظننتها شجرة بسبب لباسها الأخضر!

(عوراء) تمسك جزءاً من لباسها وتنظر إليه: هذا اللباس جميل..

(رافدة): تجاهليه فهو يحاول استفزازك فقط.

(كُميت): ماذا سرقت من قافلتك يا لص كي يطردوك ؟

(وشق): أنا لست بلص..

(رافدة) بتهكم: ماذا إذاً ؟.. هل كنت كاهناً مباركاً تقود صلواتهم ؟

(وشق) وقد تغيرت معالم وجهه للتجهم وبصوت تخلله بعض الغلظة:

أنا لست بكاهن..

أصيبت الفتيات بشيء من الخوف من ردة فعله الغريبة لكنه سرعان ما عاود الابتسام قائلاً: لقد كنت حاكياً.. أحكي القصص للقافلة ليلاً لأنشر الأنس بينهم وأقدم لهم السلوان وأنسيهم مشقة الطريق..

(رافدة): لم أسمع بهذا العمل من قبل ؟

(كُميت): ولا أنا.. هل تجيد عملك هذا ؟

(عوراء): أنا أحب القصص..

(وشق) منزلاً رأسه بطريقة غريبة ومقرباً وجهه عند لهب النار:

ما رأيكن أن أحكي لكن حكاية..

(رافدة): لِمَ لا ؟.. الليل في أوله.. ما رأيك يا (كُميت) ؟

(كُميت): لا بأس.. لعل قصص المجانين ممتعة.. هات ما عندك!

أبعد (وشق) وجهه عن النار وانتصب في جلسته وحدق بهن بأعينه التي لمعت فيها ألسنة النار المشتعلة بينهم وقال: حدث في قريب الزمان.. أن عاش رجلٌ ضرير لا يملك من الدنيا سوى ما يُمد إليه..

مدينة الجوع



جلس الضرير (باذ) وسط سوق مدينته مفترشًا الأرض الصلبة يشحذ قوت يومه كما اعتاد منذ أن فقد بصره وقدرته على ممارسة حياته بشكل طبيعي قبل عشر سنوات عندما كان في السابعة عشرة من عمره؛ حيث تعرض لضربة قوية في رأسه إثر شجارٍ عنيف دار بينه وبين أحد أصدقائه، والمدينة التي يعيش بها لم ترحمه ولم ترحم حالته ولكونه وحيد أمه تعقدت حياته كثيراً بعد موتها ببضع سنوات من إصابته. لم يجد (باذ) أي عملٍ يمكنه ممارسته لإطعام نفسه سوى من خلال سؤال المحسنين الذين يعطفون عليه ببعض الطعام أو الملابس المستعملة من وقتٍ لآخر. لم يكن لهذا البائس سوى صديق واحد تعرف عليه في مهنة الشحاذة وهو رجل مصاب بالبهاق في معظم أجزاء جسمه لُقب بـ(ناصق)، وبالرغم من أن



مرضه الجلدي هذا ليس عائقاً أمامه ليعمل بشرف إلا أن نبذ الناس له وتعاملهم معه كشخصٍ غير طبيعي دفعه لذلك فقد عاملوه مثلما يُعامل ويُنبذ من هو مصاب بالجرب.

صداقة (باذ) و(ناصق) كانت قوية جدًّا ووصلت لمرحلة الأخوة وكل منهما اعتنى بالآخر. كانا يضحكان ويبكيان معاً.. يشكوان همومهما ويشاركان أحلامهما بعضهما مع بعض.. وبمشاركة تلك المشاعر معاً مع مرور الوقت أصبحت علاقتهما أكثر قوة ومتانة.

خلال جلوس (باذ) لممارسة عمله اليومي أحس بقطعة معدنية تسقط في حجره وهذا أمر طبيعي ويحدث وهو بدوره قدم عبارة شكر وامتنان لمن رماها كعادته وقال: أتمنى لك أضعافها يا صاحب اليد البيضاء..

أمسك (باذ) القطعة المعدنية وقربها من شفتيه ليعرف قيمتها لكنه صدم برائحة المسك القوية التي أصدرتها تلك القطعة وبدأ يقلبها ويستنشق عبيرها وهو في حالة انتشاء فالروائح الطيبة لا تمر عليه كثيراً فهو بالكاد يجد وقتاً للاستحمام مرة في الشهر إذا كانت الظروف مواتية. خلال سرحان (باذ) بقطعته المعدنية المعطرة سمع

في أذنه صوتاً قوياً يصرخ فيه:

«ماذا تفعل ؟!»

سقطت القطعة من يده لفزعه من ذلك الصوت الذي لم يكن سوى صديقه (ناصق) يمازحه كعادته، لكنه هذه المرة لم يضحك بل غضب وبدأ يلمس ويتحسس بكفيه الأرض أمامه بحثاً عن القطعة التي أسقطها وهو يقول بتجهم: لقد فقدتها بسببك يا أحمق!

(ناصق): فقدت ماذا ؟

(باذ): ابحث معي عنها!

(ناصق): عن ماذا ؟

(باذ) مبتسماً بسعادة كبيرة لأنه وجد القطعة المعدنية المعطرة: وجدتها!

(ناصق): أنت تتصرف بغرابة اليوم..ما الذي وجدت ؟

(باذ) مقرباً القطعة المعدنية من أنفه مرة أخرى ويبدأ باستنشاق عبيرها:

وجدت أجمل شيء حصلت عليه منذ مدة طويلة..

(ناصق): هذا مجرد درهم.. درهم نحاس.. ليس ذهبًا أو فضة كي تبتهج هكذا!

(باذ) يمد الدرهم في الهواء تجاه صوت صديقه: خذ نفحة منه واشتم رائحته.

(ناصق) باستنكار: ما بك اليوم ؟

(باذ) واضعاً الدرهم في جيبه: أنت لا تستحق هذا الجمال.

(ناصق) وهو يجلس بجانب صاحبه الضرير: المدينة اليوم في حدادٍ كبير

(باذ): لماذا ما الذي حدث ؟

(ناصق): بسبب أوامر الوالي بالأمس ألم تسمع ؟

(باذ): ومن أين سأسمع بأخبار المدينة إذا لم تخبرني أنت ؟.. أنا لا أترك مكاني إلا نادراً..

(ناصق): الوالي أصدر أمرًا بالأمس بتجنيد كل رجلٍ قادرٍ على القتال للمشاركة في معركتنا ضد القبائل التي تحاول أن تغير علينا!

(باذ): وما المشكلة ؟.. الدفاع عن مدينتنا واجب.

(ناصق): المشكلة هي أن استعانة الوالي بالرجال خارج جيشه دليل على أننا نخسر المعركة وأننا فقدنا الكثير من الجنود والأمور لا تسير لمصلحتنا.

(باذ): لو لم أكن ضريراً لتطوعت للقتال.

(ناصق) ضاحكاً: لا ترفع صوتك فالوالي وصل لمرحلة من اليأس وقد يقبل بتجنيدك كرامي سهام في جيشه المهزوم!

(باذ): هل تسخر مني ؟

(ناصق): نعم.. هل لديك مشكلة ؟

(باذ) ضاحكاً: لا أبداً كنت أريد التحقق فقط!

مع مرور الأيام تناقص عدد الرجال في المدينة فقد أكلتهم وافترستهم مفرمة الحرب والوالي مستمر في تجنيدهم لدرجة أنه بدأ بتجنيد أعمار صغيرة من الشباب وصلت إلى أقل من خمسة عشر عامًا. كثرت الأرامل والأمهات المكلومات لفقدان أبنائهن وتحولت المدينة لمجلس عزاء كبير. كانت أخبار الحرب مع القبائل المعادية للوالي تصل بشكل متقطع مع الرسل المرسلة من أرض المعركة وأغلبها

كانت لا تبشر بالخير. حرص (ناصق) على إيصال كل هذه الأخبار وما يحدث في المدينة لصاحبه الضرير (باذ) والذي كان يحاول أن لا ينصت له لأنه وعلى حد قوله لا يستطيع فعل شيء وتلك الأخبار تزيد من همه وغمه.

(ناصق): لِمَ ترفض أن تسمع مني أخبار الحرب ؟

(باذ): وما الذي سأستفيده ؟.. هذه الأخبار تملأ قلبي بالسواد.. لو كنت مشاركاً فيها فلربما اهتممت لكن ما تقوم به هو فقط تقليب المواجع علي وأنا لا أملك مزاجاً لذلك.. إذا كان عندك أخبار جميلة فقلها وعدا ذلك فالصمت أولى.

(ناصق): لا يوجد أخبار جميلة هذه الأيام.. رأيت اليوم امرأة تبكي وتصرخ في السوق بشكل جنوني..

(باذ): لماذا ؟

(ناصق): فقدت أبناءها الأربعة في الحرب في يومٍ واحد!

(باذ): فاجعة حقيقية.. فقدان أطفالك جميعاً أسوأ من الموت بكثير..

(ناصق): الحزن جزء أساسي من الحياة ولا مهرب منه..

(باذ): الناس لم يُخلقوا للحزن.. الحزن هو من خُلق لهم..

(ناصق) مبتسماً: لكنّ هناك شيئًا جميلاً يحدث في هذه المدينة بالرغم من كل الموت المخيم عليها..

(باذ) مبتسماً: جميل!.. هيا أخبرني وأسعدني!

(ناصق): المدينة تحولت لبستانٍ من النساء.. لا ترى غيرهن أينما ذهبت.. لم أرَ رجلاً منذ أيام.. حتى إن الأجواء أصبحت أكثر متعة وهدوءاً من السابق.

(باذ): وما فائدة ذلك لرجلٍ فاقد البصر مثلي ؟

(ناصق) ضاحكاً: نسيت أنك محروم من متعة النظر!

(باذ): لست محروماً من شيء سوى صديق يملك عقلاً.

بينما كان الاثنان يتناكفان قال (ناصق) بنبرة منبهرة لصاحبه: انظر!

(باذ) بعصبية: أنظر إلى أي شيء ؟.. هل أنت أحمق ؟!

لم يرد (ناصق) على صاحبه وكأنه كان منشغلاً بشيءٍ ما واستمر صمته لفترة حتى تحدث معه (باذ): لمَ سكت ؟.. هل ما زلت بجانبي أم رحلت ؟



شعر (باذ) بشيء يسقط في حجره وكان درهماً معطراً آخر كما حدث معه في المرة السابقة وخلال تفحصه له قال (ناصق) بصوت امتلأ دهشة: لم أرَ في حياتي أجمل منها..

(باذ) وهو يضع الدرهم في جيبه: أجمل مِن مَن ؟

(ناصق): التي رمت عليك الدرهم.. كانت جميلة بشكل عجيب!

(باذ): صفها لي..

(ناصق): كيف أصف الشمس ؟

(باذ): هل كانت حقاً بهذا الجمال أم أنك تبالغ لإغاظتي ؟

(ناصق): أنا من يشعر بالغيظ وليس أنت!

(باذ): لمَ ؟

(ناصق): لأنها رمت الدرهم لك وليس لي..

(باذ): لا تستأْ.. لعلها قصدتنا جميعاً.

(ناصق): أنت لم ترَ نظراتها.

(باذ): نظراتها لمن ؟

(ناصق): لك أنت بالطبع!.. كانت ستأكلك بعينيها..

(باذ): قد أكون ضريراً لكني لا أحتاج أن أبصر لأعرف هيئتي الرثة!

(ناصق): لا تنتقص من نفسك فأنت حسن المظهر ولو اغتسلت فستكون بهي الطلعة

(باذ): هل تذكر حلمي بأن أستعيد بصري وأن أحكم المدينة ؟

(ناصق): نعم..

(باذ): هذا الحلم أقرب للحدوث من أن امرأة مثلها تفكر حتى بالنظر إلي!

(ناصق): لقد نظرت وأعجبت بك وستعود للحصول على المزيد.

(باذ) بعصبية: المزيد من ماذا أيها الأبهق ؟!

(ناصق): صدقني وسترى بعينك..

(باذ) محركاً كفه أمام عينيه: أنا لم أرَ شيئًا منذ سنوات ولن يتغير شيء..

مضت الأيام ولم تتحسن أحوال المدينة وبدأت الشائعات تحوم حول الوالي وأنه ينوي الحرب قبل أن تصل القبائل المعادية له والتي

ألحقت هزيمة كبيرة بجيشه. في خضم تلك الأحداث تعرضت المدينة وسكانها لنقصٍ حادٍّ في الأغذية التي تصل بسبب عزوف القوافل عن عرض بضائعها في سوقها خشية انهيارها في أي لحظة. بدأت معالم مجاعة صغيرة تظهر وتخيم بظلالها على البلدة وكان أول المتضررين من تغير الأحوال هم الفقراء لأن الناس أصبحوا أكثر تمسكاً بما يملكون ويخزنون كل شيء تحسباً لأي طارئ.

(ناصق) عائداً من جولة تسول ويجلس بجانب (باذ): هل جنيت شيئًا اليوم ؟

(باذ): لم أحصل على فلس منذ أيام والجوع بدأ بنهش أوصالي.

(ناصق) مخرجاً كسرة خبز من جيبه بخفية ويمدها لصاحبه: خذ.. تناول هذه

(باذ) متحسساً بيديه حتى أمسك كسرة الخبز التي قضمها فوراً لشدة جوعه:

من الكريم الذي أعطاك إياها ؟

(ناصق): الكرماء يموتون في الحرب قبل الجنود.. لقد سرقتها.

(باذ) مبعداً كسرة الخبز عن فيه: سرقتها ؟.. لا أستطيع تناول طعام مسروق

(ناصق) باستهزاء ونبرة غير موافقة:

هذا ليس وقته.. الجوع هو نهاية الطريق ومعه كل الخطوط تزول!

(باذ) معيداً كسرة الخبز لصاحبه:

ربما.. لكن ليس معي.. سيأتيني ما هو من نصيبي.

(ناصق) يأخذ الكسرة ويدفسها في فمه قائلاً: ستصاب بالمرض وتموت هذا ما ينتظرك

(باذ) مسنداً ظهره للجدار: لا أحد يموت من الجوع..

(ناصق): من قال لك هذا الكلام الفارغ ؟

(باذ) ضاحكاً: لأنك ستموت من العطش قبلها..

ضحك (ناصق) وقال: أحمق!

(باذ) وضحكاته تتناقص لتتحول لصمت أتبعه بقول: لا أريد شيئاً من أحد سوى أن لا يُراد مني شيء..

(ناصق) وهو يلوك ما تبقى من كسرة الخبز ويسند ظهره بجانب صاحبه:

لم أفهم ما قلت لكن ذلك لن يفيدك الليلة حين يتضور فيها بطنك جوعًا..

(باذ): عيناي مثقلتان بالتعب وشفتاي أنهكهما الجفاف.. لكن.. لن أرهق قلبي بمحاولة تغيير من أنا.

(ناصق): كل هذا لأني طلبت منك تناول كسرة خبز ؟

(باذ): كسرة ستكسر شيئًا بداخلي.. أبعدها عني..

(ناصق): لا فائدة من حركتك مع أو عكس التيار إذا كنت لا تجيد السباحة.. أنت محتاج وهذه المبادئ لن تطعمك..

(باذ) وهو يهذي: ستمطر السماء خبزًا مثلما تنبت الأرض قمحًا..

(ناصق) ضاحكاً: ما بك اليوم ؟!.. هل هذه هلوسات المجاعة ؟!

(باذ) مبتسماً: ربما.. أحتاج بعض الماء إذا كنت لا تمانع من إحضار بعضه لي من البئر وسط السوق.

صمت (ناصق) ولم يرد على صاحبه..

(باذ): هل سمعتني ؟

لم يرد عليه أيضاً فبدأ (باذ) يتحسس حوله ليتثبت من أنه لم يرحل عنه لكنه أحس بجسد فأمسكه وهزه قائلاً: لِمَ لا ترد ؟

(ناصق) بهدوء خالطه بعض التوتر: إنها قادمة..

(باذ): من القادم ؟

(ناصق): المرأة صاحبة الدراهم المعطرة!

(باذ): حقاً ؟.. أين هي ؟

(ناصق): اصمت.. يبدو أنها تنوي التحدث معنا.

علم (باذ) بأن المرأة قد وصلت وهي الآن واقفة أمامهما لأن رائحة عطرها النفاذة انتشرت في المكان وبعد ثوانٍ من الصمت قالت: كيف حالكما اليوم ؟

(ناصق) بنبرة مرتبكة: نحن بخير.. كيف حالكِ أنتِ ؟

(المرأة): وكيف حال صاحبك ؟

دفع (ناصق) صديقه ليرد عليها لكن (باذ) أنزل رأسه ولم يتكلم..

(ناصق) بتحرج ضاحكاً: إنه بخير..

(المرأة) وعيناها على (باذ): ولمَ لا يرد بنفسه ؟

(باذ): أنا.. أنا بخير.. شكراً لسؤالك..

(المرأة): لن أطيل الحديث.. أريد أن أقدم لك عرضاً أتمنى منك أن تقبله.

(ناصق) مبتسماً: قبلته قبل أن أسمعه!

(المرأة): العرض لصاحبك وليس لك.. لكن الفائدة ستعود عليكما أنتما الاثنين

(ناصق) بحماس: هو موافق دون أن يسمع أيضاً!

(باذ) بتجهم: موافق على ماذا ؟!.. لا تتحدث عني!

(المرأة): أريد الزاوج منك وأن تنتقل للعيش معي في منزلي.. ما رأيك ؟

صمت الاثنان مصدومين مما سمعا فالمرأة كانت جميلة جدّاً ويتضح من لباسها ولباقة حديثها أنها من طبقة ميسورة وعرضها كان مخالفاً لأي منطقٍ يقبله العقل. عندما رأت المرأة صمتهما قالت:



«سأعود غداً لأخذ الإجابة وأرجو أن تكون التي أريد.. بل التي أتمنى..»

رحلت المرأة وبقي الاثنان صامتين لفترة طويلة محاولين استيعاب ما ألقي عليهما من حديث حتى خرج (باذ) عن صمته وقال: ما الذي حدث للتو ؟

(ناصق): أعتقد أن الملوسات أصابت الجميع بسبب المجاعة!

(باذ): المرأة كانت بكامل عقلها ولم تكن تهذي..

(ناصق) بحماس: إذاً لقد ابتسمت لنا الحياة أخيراً.

(باذ) وهو لا يشارك صديقه حماسه: الأمر مريبٌ جدّاً وهذه المرأة طامعة بأمرٍ ما..

(ناصق) بتهكم: وما الذي تملكه كي تطمع فيه ؟.. صحيح أن الرجال شحيحون هذه الأيام لكن لا يزال هناك رجالٌ مؤهلون أكثر منك بكثير ليحظوا بها كزوجة!

(باذ): أنت ترد على نفسك.. هذا ما يقلقني.

(ناصق): ما الذي ستخسره لو وافقت على الزواج منها ؟

(باذ): قد أخسر حياتي.. نحن نمر بمجاعة وقد تكون هذه المرأة طامعة في ذبحي وأكل لحمي!

(ناصق) ضاحكاً: ما هذا الخيال الجامح أيها الضرير ؟!

(باذ): أنا لا أمزح!.. من المستحيل أنها ترغب في الزواج مني لأسباب طبيعية!

(ناصق): أخبرتك منذ أول مرة رأيتها فيها أنها معجبة بك وستعود لك.. صحيح أني لم أتوقع أن تعرض عليك الزواج منها لكن الأمر لا يزال بالنسبة لي معقولاً.

(باذ): تزوجها أنت إذاً!

(ناصق): وهل كنت تظن أن العرض لو كان موجهاً لي كنت سأرفض.. المرأة تريدك أنت فقط.

(باذ) بتوتر: أشعر بالخوف.. حقيقة أنا خائف

(ناصق): وافق.. وسأكون معك ولن أتركك لا تقلق

(باذ) بعصبية: وهل ستكون بجانبي عندما تختلي بي ؟!

(ناصق) ضاحكاً: الأمر يعود لك!

(باذ): اغرب عن وجهي الآن!

(ناصق) وهو ينهض ويهءم بالرحيل:

فكر بالأمر جيدًا.. هذه فرصة لن تُلقي بنفسها أمامك مرة أخرى..

توقف (وشق) عن رواية القصة عندما شاهد أن (عوراء) قد توسدت كفيها ونامت وقال مبتسماً: لقد نامت..

(رافدة) ملتفتة إليه: وهل كنت تريدها أن تنام ؟

(وشق) بتوتر ضاحكًا: ولمَ أريدها أن تنام ؟

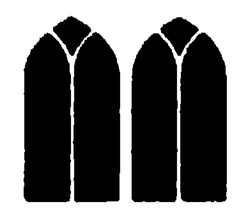
(كُميت): لِمَ أنت متوتر ؟

(وشق) مبتسمًا: أنا لست متوتراً.. هل أكمل القصة أم لا ؟

(رافدة): أكملها لنرى نهايتها!

(وشق): نهايتها أجمل من بدايتها..

(كُميت): لم يقل أحدٌ إن قصتك جميلة بعد.



عُرف الديلة

زُف (باذ) على عروسه التي كانت تُدعى (مزدة) وأقيم الزفاف ليلاً بمنزلها في احتفالٍ صغير لم يحضره الكثير من الناس، ولم يكن بجواره سوى صديقه (ناصق) الذي كان متحمساً أكثر منه لهذا الاقتران. مع تقدم الوقت بدأ الحاضرون بالرحيل واحداً تلو الآخر ولم يتبقَّ سوى صديق العريس. المرأة دفعت الكثير من الأموال لتغيير أحوال زوجها الجديد وصديقه أيضًا فقد اشترت لهما ملابس جديدة وابتاعت منزلاً متواضعًا لـ(ناصق) وقدمت كل هذا امتثالاً لشروط (باذ) للقبول بها كزوجة، وفي كل مرة توافق فيها على شرطٍ من شروطه تزداد حيرته للسبب الذي يدفعها لذلك، وبالرغم من محاولات صديقه المستمرة لإقناعه أن الحب أعمى مثله وهذه المرأة واقعة في حبه لكن (باذ) لم يصدق ذلك ولم يقتنع بكلامه.



(ناصق) وهو يتناول بعض طعام العرس: الوليمة اليوم رائعة.. من كان يظن أن مثلها يمكن أن يقام في ظل الظروف التي تمر بها المدينة!

(مزدة) وهي في كامل زينتها: يمكنك أخذ الطعام معك لمنزلك الجديد.

(ناصق) مبتسماً: فهمت..فهمت.. تريدان أن تكونا وحدكما.

(مزدة): إذا سمحت.. أم أنك تريد البقاء معنا في ليلة زفافنا ؟

(ناصق) وهو ينهض من مكانه ويحمل بعض الطعام ضاحكاً:

لا أبداً.. استمتعا بوقتكما وأنا سآتي في الصباح!

سار (ناصق) حتى وصل لباب الخروج وقبل أن يفتحه أحس بمن يربت على كتفه فاستدار ليرى زوجة صديقه تقول له: اسمع.. لا أريدك أن تأتي إلى هنا مرة أخرى.. ويستحسن أن لا تمر بالحي بأكمله..

(ناصق) بتعجب: هذا لم يكن اتفاقنا.. لن أسمح لكِ أن تمنعيني من مقابلة صديقي!

(مزدة) بنبرة ازدراء: صديقك لن يفارقك يا أحمق.. سيزورك في



منزلك وقتما يشاء.. لكن أنت.. لا أريد لأهل الحي أن يروك تتردد على منزلي.. مفهوم ؟

(ناصق) بخيبة: مفهوم..

(مزدة): سيصل لمنزلك نصيبك مما يطبخ عندنا مع الخدم.. أعرف بأن زوجي يحبك ولن أفرق بينكما، غير أن هذا لا يعني أنني أرحب بوجودك هنا ولا تخبر (باذ) بما دار بيننا وإلا فسوف أخفيك من حياته وأنا قادرة على ذلك.

(ناصق): وإذا دعاني لمنزله ؟

(مزدة): هذا منزلي وليس منزله.. ولو حدث ذلك فتهرب بأي حجة.. لا تجعلني أراك مرة أخرى.

(ناصق): لا تعيدي كلامك لقد فهمته من أول مرة.. لن تريني مجدداً.

خرج (ناصق) من منزل زوجة صديقه مكسوراً لكن إحساسه بأنه سيكون سعيداً خفف من ذلك الحزن وكذلك أحوالهما التي تغيرت وزوال حاجتهما للتسول مرة أخرى، ورأى أيضاً أن تلك



كانت أبسط تضحية يمكن أن يقدمها مقابل ما حصلا عليه. وصل الصديق المنهك لمنزله وأكمل تناول الطعام الذي أخذه معه من وليمة العرس ونام على الفور.

مضت الأيام بعد ليلة الزفاف ولم يحضر (باذ) لزيارة صاحبه لكن وكما وعدته زوجته كان الطعام يصل إليه ويُقسم له جزء مما يطبخون يومياً. برر (ناصق) عدم زيارة صديقه في الأسبوع الأول بانشغاله مع زوجته الجديدة لكن بعد انقضاء الأسبوع الثاني تحولت الطمأنينة لقلقٍ شديد وخوفٍ في الوقت نفسه من الذهاب لمنزل (مزدة) بعد ما حذرته. انتهت القطيعة المتبادلة عندما سمع (ناصق) طرقاً على بابه صباح مطلع الأسبوع الثالث. فتح الباب ليرى صديقه (باذ) فابتهج ورحب به أشد ترحيب ودعاه للدخول. عندما استقر الاثنان في الداخل بدأا يتبادلان العتاب لعدم تواصل بعضهما مع بعض:

(باذ): كيف استطعت أن تقاطعني لمدة أسبوعين ؟

(ناصق): أنا لم أقاطعك.. أنت من غرق في العسل ونسي أن له صاحباً يهتم لأمره!

(باذ): وما الذي منعك أن تزورني ؟.. أنت المبصر فينا وحضورك



أسهل من قدومي أنا لمنزلك..

(ناصق) بتردد: لم يمنعني شيء لكن..

(باذ): لكن ماذا ؟

(ناصق): لم أرد إزعاجك في أول أيام زواجك وكنت على يقين أنك ستأتي حالما تستقر.. لكن يبدو أن الزواج أجمل مما ظننت.

(باذ): لا تحاول أن تقنعني بهذا الكلام فأنا أعرفك حق المعرفة وهذا الأمر لم يكن ليمنعك من زيارتي.. أخبرني بالحقيقة.

(ناصق) ضاحكاً: أي حقيقة ؟!.. هل الزواج يحول المرء لشكاك.!.. دعك من هذا الآن وأخبرني بكل شيء!

(باذ): أخبرك بماذا ؟

(ناصق) ممازحاً صاحبه: لا تتظاهر بالحماقة الآن.. حدثني عن الزواج.. هل هو جميل.. مصيبة.. فخ كما يقولون ؟!

(باذ) مبتسماً: لا هذا ولا ذاك.. أوله جميل لا شك لكن مع الوقت تعتاد عليه..

(ناصق): هل عرفت سبب تعلقها بك وإصرارها على الزواج منك ؟

(باذ): لا.. يبدو أنها تحبني بالفعل كما تقول!

(ناصق): وكيف تيقنت ؟

(باذ): لم أتيقن بعد غير أن بعض المؤشرات تشير لذلك..

(ناصق): مثل ماذا ؟

(باذ) مبتسماً: عندما تصبح ضريراً بعض الناس يعتقدون أنك أصم كذلك.. سمعتها تتحدث مع إحدى صديقاتها في غرفة مجاورة للتي أنام بها وكانت صاحبتها تقول لها: «ليتني تزوجت ضريرًا مثلك..»

(مزدة): لماذا يا (شمر) ؟

(شمر): لم أنل من عينَيْ زوجي سوى الهم.. بدل أن يستخدمهما للافتتان والتغزل بي جندهما لمراقبتي والشك في حركاتي وسكناتي.. صدقيني أسوأ ما في الرجل عيناه.. أجمل ما في الضرير هو أنه يضع أذنيه حيث يجب أن تكون عيناه!

(مزدة) ضاحكة: وما هو أسوأ شيء بنا نحن ؟

(شمر) مبتسمة: لساننا على ما أظن.. لكن مهما كان أريد رجلاً يعشقني للأبد

(مزدة): كلمة «للأبد» هي أعظم كذبة قيلت في تاريخ البشر..

صمت (ناصق) بعد أن سمع كلام صاحبه ثم قال: حديثها هذا ليس دليلاً على أنها تحبك لشخصك..

(باذ): على ماذا يدل إذاً ؟

(ناصق): أعتقد أن زوجتك تعرضت لخيانة من نوعٍ ما من زوجها السابق وتريد شخصاً لا يبصر كي تأمن شر خيانته.. ربما يكون هذا سبب إصرارها على الزواج منك دون غيرك!

(باذ) : الخيانة بالقلب لا بالنظر..

(ناصق) : أيّاً كان السبب فنحن في نعيم بسبب زواجك هذا.

(باذ) وهو يزفر: نعم.

(ناصق): ما بك ؟.. لا تقل لي إنك لست سعيدًا.. أرجوك.. حياتنا السابقة لا تقارن بما نحن فيه الآن.. لو أن هذه المرأة تضربك بالسوط كل يوم فلن تكون حياتك بالسوء نفسه الذي كانت عليه.

(باذ): أنا كنت سعيدًا لم أكن تعيساً..

(ناصق): ربما لأنك لا ترى حولك.. الحياة بشعة وقبيحة يا صديقي ومن يعيشونها أقبح.. كن ممتناً لما أنت فيه.

(باذ) مبتسماً: تقصد لما نحن فيه!

(ناصق) وهو يضرب بكفه ظهر صاحبه ضاحكاً: نعم لما نحن فيه!.. لا تفسد الأمر بشكوكك وعش حياتك الجديدة بسلام!

(باذ) وهو يهم بالرحيل: زيارتي لك أبهجتني..

(ناصق): لا تغب طويلاً عني.. فمهما كنت في راحة إلا أن رؤيتك والحديث معك لها شعورٌ مختلف.

(باذ) مبتسماً: وأنا كذلك أشعر بالشعور نفسه.. لا تقلق سأعرج عليك بعد عدة أيام..

غاب (باذ) وطال غيابه ولم يعد كما وعد صاحبه وبعد ما يقارب ثلاثة أسابيع عاد وطرق باب صاحبه الذي تفاجأ من رؤيته: أين كنت كل هذه الفترة ؟!.. ظننت أن مكروهاً أصابك!

(باذ) متحسساً بيديه للدخول لمنزل صديقه: ومع هذا لم تكلف نفسك القدوم والسؤال عني..

(ناصق): صدقني كنت أريد ذلك لكن لم أرد أن أزعجك.. وعلى أي حال الطعام لا يزال يصلني وهذا طمأنني نوعاً ما.

(باذ) وهو يجلس: بطنك كان وما زال أكبر همومك.

(ناصق) ضاحكاً وهو يجلس بجانب (باذ): وما أكبر همك هذه الأيام ؟.. تبدو هزيلاً.. ما الأمر هل أرهقك الزواج بهذه السرعة ؟

(باذ) بنبرة حزينة: لا تذكرني..

(ناصق) بقلق: ما الذي حدث ؟.. أخبرني أنا صاحبك.. هل نسيت ؟

(باذ) وملامح وجهه تتغير: لا أبداً لا يوجد شيء.. لكن..

(ناصق):.. «لكن» هذه أريدك أن تتحدث فيها بالتفصيل..

(باذ) وهو يزفر: لدي بعض الشكوك والهواجس لكن لا أستطيع حسمها والتيقن منها..

(ناصق): هواجس من أي نوع ؟

(باذ): في الأيام الأولى من الزواج لم أكن أتجول كثيراً في المنزل ولم أكن حتى ألتقي بها كثيراً فهي كثيرة الخروج وتعود في المساء غالباً ومعظم يومي أقضيه مع الخدم والعبيد.



(ناصق): هذه ليست مشكلة كبيرة.

(باذ): دعني أكمل.. منذ أول مرة اختليت بها في ليلة زفافنا أحسست بإحساس غريب لكني كذبت نفسي..

(ناصق): شعور ماذا ؟

(باذ): انتابني شعور بأنها لا تحبني أو أنها مجبرة على الزواج بي.. لا أعرف..

(ناصق): هذا لم يكن انطباعك عندما زرتني أول مرة.. لقد قلت بأنها فيما يبدو تحبك..

(باذ): صحيح قلت ذلك لأني تجاهلت تلك المشاعر وأقنعت نفسي بأنها أوهام لكن مع مرور كل يومٍ معها تتجدد هذه المشاعر إلى أن تيقنت أنها مجبرة على الزواج مني.

(ناصق): مجبرة ؟.. أنصت لنفسك.. هي من سعت إليك وليس العكس..هذه أول مرة تكون لك علاقة بامرأة ومشاعرك طبيعية.. صدقني أنها تحبك وتريدك وإلا لما بذلت المستحيل لتكون معك.. انظر للمنزل الذي أقيم فيه.. من يشتري منزلاً كهذا لأحد فقط ليتزوج من آخر.. كلامك مخالف للعقل!



(باذ): كنت سأتفق معك لولا ما حدث في الأيام التي تلت الأسبوع الثاني.

(ناصق) ممازحاً صاحبه: ماذا حدث ؟.. هل بدأت تضربك كما كنت أتوقع ؟

(باذ): لا.. وضعت لي شروطاً غريبة للاختلاء بها.

(ناصق): شروط ؟.. شروط من أي نوع ؟

(باذ): أخبرتني أنه خلال وجودها معي يجب أن لا أتحدث معها أبداً وأنها سترحل فور انتهائنا وأنها ستبيت في غرفة أخرى وحدها.. وأني مطالب بذلك يومياً.. أحسست أني ديك في عشة.

ضحك (ناصق) من كلام صديقه لكن (باذ) لم يشاركه الضحك واكتفى بالصمت بوجهٍ مكتئب..

(ناصق) مبتسماً: اسمع يا صاحبي.. مهما أحسست بالضيق لأي أمر تذكر ما كنت فيه فمهما كان لن يكون أسوأ من التسول في الطرقات.. وما ذكرته وإن كان غريباً بعض الشيء فهو يبقى في حدود المقبول نوعاً ما.



(باذ): لم يتهِ الأمر عند هذا..

(ناصق): كل هذا حدث خلال تلك الفترة البسيطة ؟.. هذه المرأة لا تضيع وقتاً.. ما الذي حصل غير ما قلته ؟

(باذ): بدأت أشعر أنها تتغير..

(ناصق): نعم لقد أوضحت ذلك بما قلته سابقاً.. لقد تغيرت كثيراً عن ما كانت عليه قبل الزفاف.

(باذ): لا.. لا أعني ذلك.. أقصد خلال خلوتنا التي طلبت مني أن لا أتحدث خلالها كانت وكأنها تتبدل.. في كل ليلة تزورني فيها أشعر بأنها امرأة أخرى..

(ناصق) معتدلاً في جلسته مبتسماً: حكايتك أصبحت أكثر تشويقاً أخيراً.. أكمل!

(باذ): أشعر كل ليلة أن امرأة جديدة مختلفة تماماً تزورني.. كل ليلة رائحة مختلفة.. طول ونعومة شعرٍ مختلفة.. المسألة ستصيبني بالجنون!

(ناصق): ماذا تريد أن تقول ؟

(باذ): لقد قلت ما أشعر به كل ليلة وليس لدي تفسير لما يحدث ؟

(ناصق): وما المزعج في الأمر ؟.. أكبر المشكلات التي تحدث بين الأزواج هي الملل ويبدو أنها تحاول أن تغير من هيئتها وزينتها كل ليلة كي لا تشعر بذلك.

(باذ): مستحيل أن تكون هي نفسها.. أربع نساء على الأقل أنا متيقن أنهن لسن هي

(ناصق): من يكنّ إذاً ؟

(باذ): هذا ما أريدك أن تتحقق منه!

(ناصق): أنا ؟.. وما شأني بعلاقاتك الحميمية مع زوجتك ؟

(باذ): أريدك أن تأتي الليلة لمنزلنا وتسترق النظر خلال خلوتي معها.

(ناصق) وهو مصدوم: هل أنت مجنون ؟!

(باذ): هذه هي الطريقة الوحيدة كي أتحقق من أنها هي من تزورني بالليل.. أنت الشخص الوحيد الذي أثق به ليقوم بذلك وينهي أو يؤكد شكوكي.

(ناصق): كيف تطلب مني طلباً كهذا ؟.. كيف تطلب مني التجسس

عليك وعلى زوجتك وأنتما في خلوة ؟!.. أين قيمك ومبادئك التي ناديت بها طيلة حياتك ؟

(باذ) بعصبية متجهماً: أنا لم أطلب منك أن تراقبني الليل كله يا مغفل!.. فقط تحقق من أن التي تدخل علي ليلاً هي (مزدة) ثم ارحل بعدها!

(ناصق): ومن سيكون غيرها ؟!

(باذ): فقط تحقق واحسم الأمر ليرتاح بالي..

(ناصق): وإذا رأتني زوجتك وأنا أتلصص عليكما ؟

(باذ): لن تراك.. سأترك النافذة مفتوحة بشكل بسيط وفي الليل لن تلمحك إذا كانت الغرفة منارة.

(ناصق): بالرغم من أن طلبك هذا فيه خطر على حياتي لكن لأجلك سأنفذه.

(باذ) مستغرباً: وما دخل حياتك بالموضوع ؟

(ناصق): لا شيء.. انسَ الأمر

وقف (باذ) وبدأ يتحسس الجدار بحثاً عن باب الخروج..

(ناصق): إلى أين.. أنت حضرت للتو فقط..

(باذ): يجب أن أعود.. لا تنسَ ما اتفقنا عليه.

(ناصق): ومتى تريد مني أن أحضر ؟

(باذ) مكملاً سيره نحو باب الخروج: قبل منتصف الليل بقليل كن أسفل النافذة..

حضر (ناصق) حسب الموعد وجلس تحت النافذة في الزقاق المظلم ولكن الغرفة كانت مظلمة ولم تكن منارة حسب كلام صاحبه فدب القلق في صدره وقال محدثاً نفسه:

هذا الأحمق سيتسبب في مقتلي على يد زوجته المجنونة!

قبل منتصف الليل بوقتٍ قصير أنيرت الغرفة وسمع (ناصق) صوت خطواتٍ تدخلها وتدب فيها فرفع رأسه بحذر لينظر داخلها فرأى (مزدة) مع إحدى الخادمات وهي توجهها لتنظيف وتعطير الغرفة فأنزل رأسه وجلس مسنداً ظهره للجدار محدثاً نفسه مرة أخرى: هذا المعتوه.. إنها زوجته فقط.. لم أكن أعرف أن الزواج يصيب الرجال بالجنون هكذا!

انتبه (ناصق) بعد دقائق إلى أن هناك حواراً يدور في الغرفة فعاود اختلاس النظر ليرى صاحبه جالساً على طرف الفراش و(مزدة) تقف أمامه قائلة:

«سوف أعود لك بعد قليل..»

حُسم الأمر بالنسبة لـ(ناصق) وتحقق من أن صديقه واهم وقرر الرحيل قبل أن ينتبه له أحد ويكشف أمره لكن وقبل أن يبتعد عن النافذة فُتح باب الغرفة مرة أخرى فألقى نظرة سريعة وكانت صدمة كبيرة عندما رأى..

توقف (وشق) عن رواية القصة عندما شاهد أن (كُميت) قد استلقت على الرمال ونامت وقال مبتسماً: لقد نامت..

(رافدة) ملتفتة عليها والنعاس بدأ يتمكن منها هي الأخرى: لا عليك منها.. أكمل القصة.. أريد معرفة النهاية..

(وشق) مبتسماً بخبث: النهاية اقتربت.. لا تقلقي..

(رافدة) بأعين مرهقة من النعاس: أكمل ولا تطل الحديث..

(وشق) وابتسامته تتسع كاشفًا عن بعض الأنياب الحادة التي لم

تنتبه إليها (رافدة): لِمَ لا تنامين وترتاحين ؟.. سأكملها لكِ عندما تستيقظين..

لم تقاوم (رافدة) النعاس الذي غلبها ليسقط رأسها على ظهر أختها وتغط في نوم عميق هي الأخرى..

(وشق) وعيناه تنقلبان للون الأحمر المشتعل: أخيراً..

بدأ بتحرير نفسه من قيوده بكل سهولة وما أن فرغ من ذلك حتى أحس بضربة قوية على رأسه ألقت بوجهه في جمر النار الملتهب. وقف يصرخ ويلطم نفسه بكفيه ليبعد الجمرات التي التصقت به وخلال هذا سمع (نافجة) وهي تعيد عكازها الذي لطمته به تحت إبطها تقول:

الوَشائِق.. أخبث فصيلة من الشياطين العابثة.. تقطعون الطريق وكأنكم لصوص.. لكن هدفكم ليس المال بل اللحم أليس كذلك ؟

(وشق) موجهاً عينيه الحمراوين لها وبنبرة شيطانية مخيفة:

سوف أمزقكِ إذا لم تهربي في الحال!!

(نافجة): لسوء حظك أني أعرف بأن نوعك لا يستطيع إيذاء البشر

إلا وهم نائمون لذلك بذلت جهدك لإرهاق بناتي حتى النوم بقصتك التي لم تكن لتنتهي أبداً..

(وشق) محاولاً إخافة العرجاء وترهيبها:

يمكنني إيذاؤك لو رغبت في ذلك لكن سأمنحكِ فرصة للهروب.. لا تضيعيها!

(نافجة) مبتسمة بتهكم: واجه الحقيقة يا شيطان وهي أنك كشفت عن هيئتك مبكراً وأنت الآن تحت رحمتي.. ولا تظن لوهلة أني سأرحل وأتركك تفترس بناتي.

(وشق) مبتسماً: هل تريدين أن أحكي لكِ حكاية ؟

(نافجة): انتهت اللعبة يا وغد ولن تستطيع خداع أحد بوجهك القبيح هذا!

(وشق) بتجهم: كيف ؟!.. كيف كشفتِ أمري ؟!

(نافجة): لقد كشفت العاصفة أمرك قبلي عندما تركت أثرك بعدها مباشرة..

(وشق): اصرفيني إذًا..

(نافجة) وهي تسحب السيف المبروق من الغمد الجلدي على ظهر (رافدة) النائمة: ولمَ أفعل ذلك.. ؟

(وشق) جاثيًا على ركبتيه قائلاً بنبرة تخللها بعض التوسل: لن تستفيدي شيئًا من قتلي.. لقد كشفتِ حقيقتي وقضي الأمر.. دعيني أرحل بسلام..

(نافجة) وهي تقف خلفه وترفع السيف فوق رأسه: أعطني سبباً واحداً كي أعفو عن من حاول قتلي وقتل بناتي..

(وشق) وعيناه الحمراوان تحدقان بالنار أمامه: لن أتوسل ولن أبرر.. لقد اتخذتِ قرارك ولن تعدلي عنه.. أستطيع رؤية ذلك في عينيك.. البشر لا يملكون رحمة لبني جنسهم فلمَ أحلم بأنهم سيهبونها لشيطان مثلي.. نفذي ما تمليه عليك طبيعتك البشرية الخبيثة.. قد أكون شيطاناً لكني لن أصل لحقارة بشرية مثلك..

(نافجة): كنت سأعفو عنك لكن بعد حديثك هذا لم تترك لي مجالاً..

(وشق) مبتسماً بخبث وهو يستدير برأسه تجاه العرجاء الواقفة خلفه: دوماً هناك مجال للعفو يا امرأة.. وأشعر بأنكِ تملكين عطفاً خفي علي ولم أرَه..

(نافجة) تبادله الابتسام وهي تحدق بعينيه الحمراوين المشتعلتين قائلة:

«لا.. سأكون عند سوء ظنك بي..»

أنزلت العرجاء نصل السيف المبروق بقوة وضربت عنق الشيطان لتفصله عن جسده ويتدحرج على الرمال حتى استقر وسط النار ليتبخر على الفور ويتبعه جسده الذي تحول لذرات صغيرة من الغبار الأسود حملته نسائم الصحراء في الحال.



القمر الأحمر

كان أول من استيقظ غداة اليوم التالي هي (كُميت) ورأت أن أختيها مستلقيتان بجانبها والنار التي أشعلنها قد خمدت ولم يكن هناك أثر لـ(وشق) في الجوار فنهضت مفزوعة وأيقظت بقية أخواتها بتوتر وقلقٍ شديد وهي تقول لهما بصوتٍ مرتفع نوعاً ما: استيقظا!.. لقد هرب!

(رافدة) وهي تجلس وتفرك النعاس من عينيها: عن ماذا تتحدثين ؟

(كُميت): الرجل!.. (وشق)!.. لقد غافلنا وهرب!

(رافدة): ماذا ؟!.. كيف حدث ذلك ؟!

(عوراء) تستيقظ هي الأخرى وتشاركهما الحديث بوجه متعب من النوم:



هل أكمل لكما القصة ؟

(كُميت) بعصبية: أي قصة ؟!.. يجب أن نبحث عنه!

(رافدة): ولِمَ نبحث عنه ؟.. لقد هرب وانتهى الأمر.

(عوراء) ملتفتة خلفها: لقد سرق خيامنا!

(كُميت) تقف وتلاحظ أن الخيام تم ربطها على ظهر الدواب التي لا تزال مكانها: لا أظن.. لو كان سيسرق شيئًا لكان أخذ الدواب معه أو إحداها على الأقل

(رافدة) مستدركة أمراً ما: العمة!.. أين العمة ؟!

(كُميت) تجري نحو الدواب: هل تظنُنَّ أنه تعرض لها بالأذى ؟!

(رافدة) تنهض وتلحق بها: هل يعقل هذا ؟

(عوراء) تقف هي الأخرى مشيرة بسبابتها للجهة الأخرى وتنادي عليهما وهما تتفحصان الدواب: انظرا.. العمة هناك!.. فوق تلك الهضبة!

وجهت الفتاتان أنظارهما حيث كانت الصبية تشير ورأتا (نافجة) جالسة وبجانبها عكازها تتأمل الأفق..

(رافدة) تزفر بارتياح: لقد هرب وحده فقط.. ولم يتعرض لأحدٍ منا بسوء!

(كُميت) وعيناها على عمتها فوق الهضبة الرملية البعيدة:

هل نخبر القائدة بما حدث معنا بالأمس ؟

(رافدة) تشد لجام جوادها وتمتطيه: إذا لم تسأل فلا مبرر لذلك.

(كُميت) ممتطية دابتها: سنكذب عليها إذاً.. ؟

(رافدة) تضرب بأقدامها خاصرة (لشيم) لتنطلق نحو (نافجة):

لن تكون كذبة إذا لم تسألنا..

(كُميت) تشير لـ(عوراء) بأن تركب معها لتنطلق الاثنتان بعدها وَراء (رافدة) نحو العرجاء..

وصل الجميع لـ(نافجة) ليجدنها تتأمل الأفق بصمت فبادرت (رافدة) بالحديث: هل أنتِ أفضل الآن يا عمة ؟

(نافجة) دون أن تلتفت عليها: ما قمتن به كان حماقة لا تغتفر.. إيواء واصطحاب الغرباء خلال السفر مخاطرة غير حكيمة.

(كُميت): نحن آسفات يا قائدة.. لقد حدث كل شيء بسرعة ولم

نعرف كيف نتصرف.. وأنتِ كنتِ مصابة بالحمى ولم نستطع أن نستشير حكمتك.

نزلت (عوراء) عن الدابة وجرت نحو (نافجة) ووضعت رأسها بحجرها وهي تقول: لا تصابي بالمرض مرة أخرى!

(رافدة): نحن لم نخطئ يا عمة.. لقد أخذتِني معكِ وقد كنت غريبة عليكِ.. جميعنا كنا غرباء قبل أن تصطحبينا.

نظرت (كُميت) لـ(رافدة) بنظرة حادة وكأنها تقول «لا تثيري المشكلات!»

(نافجة) تمسح على رأس (عوراء) وهي مستمرة بالنظر للأفق: يمكنكِ الرحيل لو شئتِ.. جميعكن يمكنكن الرحيل.. أنا لا أجبر أحدًا على البقاء معي!

(عوراء) تشد على العرجاء وتقول: أنا لا أريد الرحيل.. فلترحل هي!

(كُميت): وأنا كذلك يا قائدة.. كلامها يخصها ولا يخصني

(رافدة) بتذمر: أنا أحاول أن أدافع عنكنَّ وأنتُنَّ تقبلنَ بالمهانة!

(كُميت) بغضب: أي مهانة ؟!.. عن ماذا تتحدثين ؟!.. إذا كنتِ لا تقدرين القائدة حق قدرها فمن المستحسن أن ترحلي كما تقول!

صمتت (رافدة) بوجهٍ عابس ومتجهم لكنها لم تجادل..

(نافجة) وهي تبعد رأس الصبية عن حجرها وتسحب عكازها لتنهض: الشيء الوحيد الذي يشفع لكِ عندي يا بدوية هو علمي بأن حديث لسانك يسيره عقلك المندفع وليس قلبك الأبيض.

شدت (رافدة) لجام جوادها واستدارت عائدة لمكان تخييمهن..

(كُميت) مبتسمة: حمداً على سلامتك يا قائدة.

(نافجة) تدفع (عوراء) برفق تجاه دابتها: هيا اركبي مع أختكِ لنستأنف رحلتنا..

عاودت المجموعة السير في خط رحلتها نحو «حضرموت» وبعد برهة من الزمن تحدثت (عوراء) مع (كُميت) قائلة: هل سمعتِ بقية القصة ؟

(كُميت) وهي ممسكة بلجام الدابة وعيناها للأمام: أي قصة ؟

(عوراء): قصة ذلك الشحاذ الأعمى.. كيف انتهت ؟



(كُميت): لا أعرف.. لقد غفوت قبل أن يُكملها.

(عوراء) لـ(رافدة) التي كانت تسير بجانبهما: هل أكملتِها أنتِ يا (رافدة) ؟

(رافدة): لا.. حدث لي ما حدث معكما ولم أكملها.

(نافجة) وهي تسير أمامهن:

ولم تكن ستكملها أيٌّ منكن.. كان سيستمر بروايتها حتى تنمن جميعاً..

(عوراء) بتعجب: ولمَ يريد منا أن ننام ؟

(رافدة): هل هرب قبل استيقاظك أم بعده يا عمة ؟

(نافجة) وظهرها للجميع: ومن قال بأنه هرب ؟

(كُميت): ماذا حدث له إذاً ؟

(نافجة): ذهب مع الريح.. لنكمل رحلتنا ولا تتحدثن في هذا الشأن مرة أخرى..

تبادل الثلاث نظرات تعجب فيما بينهن من كلام العرجاء لكنهن لم يعلقن أو يجادلنها أكثر كعادتهن..

سارت قافلة العرجاء النهار بطوله وعند اقتراب حلول الليل قررت (نافجة) على غير عادتها أن تتوقف عن المسير وتخيم في المكان وبالطبع هذا أثار تساؤل الفتيات وكانت (كُميت) أول المتسائلات: ألن نتقدم أكثر يا عمة ؟.. ما زال في النهار بقية!

(نافجة) وهي تترجل من على ظهر (الغبساء): لا.. أريد أن نتوقف الآن.

(رافدة): هل يحق لنا معرفة السبب أم أن هذا أمرٌ لا نقاش فيه ؟

(عوراء) باسمة: أعتقد أن العمة لا تريد أن نبتعد كثيراً كي يجدنا (زمجد) بسهولة!

(كُميت): أعتقد أنه هرب بلا عودة..

(نافجة) وأعينها على الشمس الغاربة: لا يستطيع الهرب وهو مُطوَّق.. لا بد أنه مرهق وسيلحق بنا وقتها يستعيد قوته.

(رافدة): هل أنصب الخيام ؟

(نافجة): لا.. انتظري!

بقيت العرجاء صامتة وهي تحدق بقرص الشمس المشتعل وبناتها

يراقبنها باستغراب حتى تحدثت معهنَّ قائلة: هذا المكان مألوفٌ لي..

(رافدة) تجول بنظرها في الصحراء المفتوحة حولهن وتقول: لا يوجد معالم حولنا كي تذكرك بشيء مألوف يا عمة

(نافجة): لا أعرف.. أشعر بأني كنت هنا من قبل..

(كُميت): هل ما زلنا على الطريق الصحيح أم حدنا عنه ؟

(نافجة): حدود «حضرموت» باتت قريبة..

(رافدة): لِمَ نتوقف إذاً ؟.. لنستمر بالسير لمنتصف الليل!

(نافجة) محدثة نفسها: لِمَ نفسي غير مطمئنة لهذا المكان ؟

(عوراء): أشعر بالضجر..

ضربت العرجاء خاصرة فرسها واستأنفت المسير..

(كُميت): هل عدلتِ عن قرار التخييم يا قائدة ؟

لم ترد (نافجة) عليها واستمرت بالسير ببطء جنوباً..

(كُميت) ملتفتة على (رافدة): ما بها العمة ؟

(رافدة) تشد لجام جوادها وتلحق بها: منذ متى وتصرفاتها مفهومة ؟



قبل أن تغرب الشمس بالكامل أقبلت المجموعة على قصر كبير مبني من الحجارة الحمراء ظهرت لهن معالمه في الأفق..

(عوراء): هل وصلنا لـ«حضرموت» ؟

(كُميت): هذه ليست «حضرموت»..

(نافجة): ولا أي مدينة من مدنها..

(رافدة): قصر من هذا إذاً ؟

(نافجة): لا أذكر أن هناك ممالك هنا.. لا قديمة ولا حديثة.

(رافدة): لعلها مملكة لا تعلمين عنها يا عمة!

(نافجة): أنا ملمة بالكثير من تاريخ أرضنا وأنا متيقنة من أني مررت من هنا من قبل.. بنيانه وهيئته ليسا كالتي يشيدها العرب.. نقوشها ليست من نقوشنا.. لذلك تذكرته لكني ما زلت لست متيقنة.

(كُميت): ماذا تظنين أنه يكون يا قائدة ؟

(نافجة): لا أعرف ولا أنوي أن أعرف.. غيرن المسار لنسير بعيداً عنه.

(كُميت): ألن نحاول على الأقل التزود بالماء من هذا المكان ؟

(نافجة) وعينها على القصر الأحمر: معنا ما يكفينا للوصول لأول مدينة شمال «حضرموت» وهناك سنتزود بالماء والطعام.

(رافدة): ولِمَ المخاطرة وهذا القصر أمامنا ؟

(نافجة): المخاطرة ستكون بدخول هذا الصرح المجهول..

(رافدة): ومتى سنتوقف ؟

(نافجة): عندما يخرج من مدى ناظرنا..

(كُميت): هذه مسافة طويلة يا قائدة!

(نافجة): توقفنَ عن الكلام إذاً وسرن بصمت..

أنزل الليل أستاره ولم تتوقف العرجاء وقافلتها عن السير وذلك القصر الأحمر على يسارهن ومهما قطعن من خطوات وأمضين وقتاً في التقدم للأمام لم تتغير المسافة بينهن وبين ذلك الصرح المبني من الحجارة الحمراء. عند اقتراب منتصف الليل أوقفت العرجاء قافلتها وخاطبتهن قائلة: أصبح الأمر جلياً الآن..

(رافدة): ما الذي أصبح جليّاً يا عمة ؟

(كُميت) و(عوراء) نائمة أمامها فوق الدابة: أفصحي يا قائدة.

(نافجة) وهي تلتفت إلى القصر الأحمر في الأفق على يسارها: لقد دخلنا في متاهة والخروج منها لن يكون سهلاً.. هذا القصر تحيط به لعنة ما.

(رافدة): كيف تعرفين ذلك ؟

(نافجة): تذكرت للتو أن (غُرير) حكى لي عنه من قبل..

(كُميت): من هذا يا قائدة ؟

(نافجة): معلمي السابق..

(رافدة): ربما تكونين مخطئة واختلط عليكِ الأمر.

(نافجة): لا.. أنا واثقة.. لقد تحاشينا المرور من هنا عندما رحلت معه للجنوب باتجاه وادي «سوق» كي لا نحبس في دوامته على حد قوله.

(كُميت): وما العمل ؟

(نافجة): لا خيار أمامنا سوى التخييم في الوقت الحالي لعل شمس الصباح تزيل هذه الغشاوة التي وقعنا فيها.

(كُميت): نحن متعبات على أي حال ويجب أن نرتاح.

(نافجة): انصبن الخيام إذاً.

قبل أن يترجل أحد عن دابته بدأ الجميع يسمعن أصوات زمجرات آتية من عدة اتجاهات تبعها عواء طويل.

(رافدة): ما هذا ؟

(كُميت) مخرجة قوسها: ذئاب!..

(نافجة): لن يكون التخييم فكرة حسنة هنا.. لننطلق ونتقدم أكثر!

انطلقت القافلة بسرعة فوق دوابها وعدون مسافة طويلة لم تغير شيئًا من موقعهن بالنسبة لذلك القصر الأحمر وقبل أن يقررن التوقف اعترض طريقهن مجموعة كبيرة من الذئاب السوداء مما دفعهن لتغيير مسارهن فوراً وفي كل مرة ينطلقن باتجاه مختلف يقابلن بعدد هائل من الذئاب المندفعة نحوهن. تلبدت السماء فجأة بالغيوم السوداء وبدأت الأمطار تهطل بغزارة مما زاد التشويش على القافلة وزاد من ارتباكهن.

(كُميت) وهي تطلق سهماً من فوق دابتها الهاربة من حشد الذئاب:

هل نحاول مقاومتها ؟!

(نافجة) وهي منطلقة على (الغبساء) هرباً من الذئاب:

مهما قاومنا فأعدادها أكبر من أن نتغلب عليها جميعاً.. حتى لو استخدمت طلاسمي!

(رافدة): من الواضح يا عمة أن ما يحدث هو لدفعنا باتجاه ذلك القصر فالطريق المؤدي إليه هو الوحيد المفتوح والخالي من الذئاب!

(عوراء) وهي تقاطع الجدال المحموم بين البقية: ما الذي يحدث ؟!

(نافجة): لا تتوقفن إلا عند بوابة القصر!

وبالفعل استمرت خيول القافلة بالعدو بسرعة نحو القصر الأحمر تحت الأمطار الغزيرة ومن خلفها حشد الذئاب الكبير والذي تجاوز المئات حتى أجبرت على التوقف بعد الوصول إلى بوابة القصر الضخمة الموصدة.

(كُميت) وعينها على جيش الذئاب المقترب منهن: ماذا الآن يا قائدة ؟!

(نافجة) تمسح بيدها على باب القصر: ننتظر..

(رافدة) بقلق شديد: ننتظر ماذا ؟.. لقد شارفت على الوصول إلينا!

(عوراء): تبدو جائعة..

(كُميت) تشد سهماً على قوسها وتوجهه باتجاه حشد الذئاب المندفعة نحوهن:

نحتاج قراراً سريعاً يا قائدة!

(رافدة): ماذا تظنين أن سهماً واحدًا سيفعل ؟!

(نافجة) وظهرها مدار لكل ما يحدث خلفها وكفها على باب القصر الكبير محدثة نفسها: لكل باب مفتاح.. ما هو مفتاحك ؟

(كُميت) وتوترها يزداد وعرق جبينها اختلط بقطرات المطر المتساقطة: قائدة!

التفتت العرجاء عليها بسرعة وكأن فكرة خطرت ببالها وقالت لها بصوتٍ مرتفع:

هل من بين تلك الذئاب ذئب مختلف ؟!

(كُميت) وقوسها مشدود: ماذا تقصدين ؟!

(نافجة) صارخة في (كُميت): ابحثي عن قائد القطيع وارميه!

بدأت الحجازية تحرك نصل سهمها المشدود يمنة ويسرة بحثاً عن

ذئبٍ مختلف بين مئات الذئاب المندفعة نحوهن لكن الظلام لم يساعدها على رؤية أي من ملامحها بشكلٍ واضح حتى اصطدمت بهن وبدأت تحاول نهش أرجل الدواب التي أصابها الذعر والهيجان.

أخرجت (رافدة) سيفها وأخذت تضرب أعناق ما استطاعت منها وهي تصرخ: يجب أن نخرج من هنا فوراً!

(نافجة) والذئاب قد أحاطت بها وبفرسها وهي تركلها بقدمها: أرواحنا بيدك يا حجازية الآن!!

في خضم تلك الفوضى أنيرت السماء للحظة عندما ضرب سيف البرق الأرض في الأفق فلمحت (كُميت) المتوترة ذئباً أضخم من البقية وإحدى أذنيه تلونت بلون رمادي فاتسعت عينها المفتوحة وقالت: وجدتك!

اتخذت الحجازية قرارها برمي الذئب المختلف وبالفعل أصابته في رأسه ليسقط على الأرض مباشرة. ما حدث بعد ذلك بَهر الجميع فقد توقفت الذئاب فجأة عن الهجوم وتوقف معها هطول الأمطار الغزيرة ورفعت رؤوسها نحو المجموعة وحدقت بهن بهدوءٍ مخيف.

(رافدة) وهي تتنفس بسرعة ممسكة بسيفها الذي تلطخ نصله بدماء الذئاب التي قتلتها: ماذا الآن ؟

(نافجة) مراقبة ما يحدث بتوجس: لقد قطعنا رأس الأفعى..

(كُميت) تشد سهماً آخر على قوسها: ماذا عن الجسد ؟

(عوراء): سوف يرحلون..

(رافدة) وأعينها المتوترة تراقب حشد الذئاب الصامت: وما أدراك أنتِ ؟

(نافجة) تشير بسبابتها لجثة الذئب المقتول: الصبية محقة.. انظرن..

بدأت الذئاب تستدير ببطء واحداً تلو الآخر مبتعدة عن المكان وقبل رحيل كل ذئبٍ منهم كان يمر بجثة قائده ويحني رأسه له..

خلال مراقبة المجموعة لما يحدث صدر صوت كالطرقة القوية على بوابة القصر الأحمر فزعت منه الدواب لكن العرجاء قالت بنبرة مطمئنة:

لقد فُتح الباب.. ذلك الذئب كان المفتاح..

(كُميت) معيدة سهمها وقوسها مكانهما:

لسنا مجبرات على الدخول يا قائدة.. المكان ليس مطمئناً!

بدأت البوابة تباعد عن درفها ببطء محدثة صريراً مزعجاً حتى فُتحت بالكامل..

(نافجة): هذا المكان لن يتركنا نخرج من هذه المنطقة قبل أن نبيت فيه ليلة.

(رافدة): وكيف تعرفين ذلك يا عمة ؟

(عوراء): العمة محقة.. كل ما حدث وسيحدث هو لكي ندخل القصر..

(رافدة): تتحدثان بثقة وكأنكما تعرفان الحقيقة.. أنا أقترح أن نرحل فوراً ونترك هذا المكان المشؤوم!

(نافجة) وهي تشد لجام (الغبساء) وتتقدم لداخل باحة القصر الواسعة:

وأنتِ تتحدثين وكأن أمامنا خياراً..

تبعت الحجازية والصبية العرجاء لداخل القصر تاركات خلفهن

(رافدة) التي لم تكن مقتنعة بالدخول لكنها وبالطبع لم تبقَ وحدها ولحقت بهن بعد دقائقَ من الانتظار..

باحة القصر فسيحة جدّاً لكنها لم تحتوِ على أي معالم سوى تمثال حجري كبير من الرخام الأبيض توسطها على أرضٍ رملية. المنحوتة الرخامية كانت لامرأة اتخذت وضعية وكأنها تشير للسماء وبدت عليها ملامح الملكية بسبب ملابسها والتاج فوق رأسها. أحاطت المجموعة بذلك النحت الضخم وراقبنه لفترة بصمت حتى قالت (عوراء): إنها جميلة..

(رافدة) ورأسها مرفوع للتمثال الكبير: النحت أو المنحوت ؟

(كُميت): كلاهما جميل..

(نافجة) تستدير بدابتها قائلة: لندخل القصر..

(رافدة): لِمَ لا نخيم في باحته فقط ؟.. المكان موحش بما يكفي من الخارج ولا أظنه أكثر راحة بالداخل.

(نافجة): لا أظن أن القصر سيسمح لنا بذلك..

(رافدة): أحاديثك كلها ظنون يا عمة!

(نافجة) بتهكم: حسناً.. لنترك ظنوني ونخيم هنا..

(كُميت): أنا معك فيما تأمرين يا قائدة..

(رافدة): أنا ما زلت عند رأيي.. أن نخيم في الخارج.

(نافجة) مشيرة بكفها للأرض: فليكن إذاً.. انصبن الخيام

نزل الجميع عن دوابهن وبدأن بنصب الخيام لكن (نافجة) لم تترجل من فوق فرسها فسألتها (عوراء): ألن تنزلي يا عمة ؟

(نافجة) وهي تمد يدها للصبية: تعالي واركبي معي.

(عوراء) ممسكة بذراع عمتها الممدودة: لِمَ يا عمة ؟

(نافجة) وهي تشدها لتركبها معها: لأن أختيك قد تنسيانك خلال هروبهما..

(عوراء) وهي تجلس أمام (نافجة) على (الغبساء): هروبهما من ماذا ؟

تعالت أصوات (رافدة) و(كُميت) بالصراخ عندما خرجت حولهما من الأرض مجموعة من العقارب والثعابين فضحكت العرجاء وهي تنطلق نحو مدخل القصر الرئيس وهي تقول لهما بصوت مرتفع:

لا تنسيا خيامكما عندما تلحقان بنا!

كان مدخل القصر الأحمر مفتوحاً وأبوابه مشرعة لذا استمرت العرجاء بالعدو على ظهر فرسها حتى توسطت بهو القصر ذا السقف المفتوح. نزلت (نافجة) والصبية عن الدابة وتزامن ذلك مع دخول الفتاتين خلفهما وهُما هلعتان لداخل القصر فتبسمت العرجاء قائلة:

هل ما زلتما تريدان المبيت بالخارج ؟

(كُميت) مترجلة عن دابتها: أنا لم أكن أريد هذا من البداية!

(رافدة) من فوق دابتها وهي تتفحص بنظرها بهو القصر:

ومن قال إن المكان أفضل هنا ؟

(نافجة) وهي تفرك كفيها وتشعل ناراً وسط المكان: أنا أقول ذلك.. أغلقا البوابة واجلسا بالقرب من النار.

(عوراء): علميني يا عمة كيف تشعلين النار بهذه السهولة!

(كُميت) وهي تدفع إحدى درف باب القصر الحديدية: سنبيت هنا إذاً حتى الصباح ؟

(نافجة) وهي تجلس أمام النار: نعم.. ووقتها سيسمح لنا بالرحيل.. هذا ما كان يقوله الصرد العجوز.

(رافدة) مترجلة من على دابتها لتساعد (كُميت) في إغلاق البوابة: أنا لا أشكك بعلمك يا عمة لكن كيف تعرفين أن هذا ما سيحدث ؟.. قد نُقتل خلال منامنا.

(كُميت) تسير وتجلس أمام النار بعد إغلاق البوابة: من قِبل مَن ؟

(رافدة) تنضم إليهن في الجلوس حول النار المشتعلة: لا أعرف.. من قِبل الذي أرسل الذئاب والعقارب والأفاعي ربما!

(نافجة): التزمن فقط بما أقوله ولن يصيبكن شيء.. من أرسلها يريدنا أن نصل إلى هنا فقط..

(كُميت): نعم يا قائدة لكن لأي غرض ؟

(نافجة) رافعة رأسها للسقف المفتوح محدقة بالنجوم: أخبرتكن أن هذا القصر مربوط بلعنة وقد تحققت من ذلك بعد دخولنا باحته.

(عوراء) تجلس بجانب (نافجة) وبنبرة خائفة: ما الذي سيحدث لنا ؟

(رافدة): أخبرينا أنتِ فيبدو أنكِ مع العمة تعرفان كل شيء اليوم!

(عوراء): أنا أتحدث بما أحس به فقط..

بعد مضي برهة من الزمن قضاها الجميع في الحديث والسمر أثارت (عوراء) انتباههنَّ عندما أمسكت بكائن صغير عبر بجانبها وقالت بسعادة: فأرٌ جميل!

(نافجة): هذا ليس بفأر هذا يربوع..

(عوراء) وهي تلتقطه وتقربه من وجهها: جميل على أي حال وشكله غريب!

(رافدة): الغريب هو أنه لم يهرب وسلم نفسه للكِ بكل سهولة!

(عوراء) وهي تفرك فراء اليربوع بخدها: لأنه يحبني.

(نافجة) للجميع: بقي لنا مسيرة ثلاثة أيام فقط ونصل حدود «حضرموت».. هل أنتنَّ مستعدات لِمَا نحن مقبلات عليه ؟

(كُميت): كنت وما زلت معكِ يا قائدة مهما كانت الظروف.

(رافدة): لنخرج من هنا يا عمة أولاً ثم لنتحدث عن بقية الرحلةىءاس

(نافجة): قبل أن نخرج من هنا أو نكمل رحلتنا علينا أن نقوم بشيء مهم.. يجب أن نتكاشف..

(رافدة): ماذا تعنين يا عمة ؟

(نافجة): كي نكون أقوى أمام أي خطرٍ يعترض طريقنا لا بد أن يثق بعضنا ببعض ونكون مستعدات للتضحية لأجل أي واحدةٍ من أفراد المجموعة.

(كُميت): نحن نثق بعضنا ببعض.. أليس كذلك ؟

(نافجة) موجهة نظرها لـ(رافدة): لنترك المجال للبدوية لتُفصح عن ما في قلبها عنكِ يا حجازية..

أنزلت (رافدة) رأسها ولم تتحدث..

(كُميت) لـ(رافدة): ما الأمر ؟.. هل حقّاً لا تثقين بي ؟

(رافدة): الأمر لا علاقة له بالثقة.. أنا لا أعرفك من الأساس كي أثق بكِ

(كُميت) بتعجب: وماذا رأيتِ مني كي لا تثقي بي ؟

(رافدة) بتجهم: لا أعرف.. تغطيتك الدائمة لوجهك أمر مريب بالنسبة لي

(نافجة) بهدوء: وما شأنكِ إذا غطت وجهها أم لا ؟

(رافدة): أي عاقلٍ يغطي وجهه تحت حر الشمس والجو صافٍ بلا عواصف أو أتربة ؟!

(نافجة): هذا حقها وهي حرة في اختيارها..

(رافدة): ألن تستأن إذا خلعت أنا جميع ملابسي أمامكن!.. هل ستقلن بأني حرة فيما أفعل ؟!

(نافجة): قليل من الغثيان لن يضر.. اخلعي ملابسك لن يمنعكِ أحد!

(كُميت) لـ(رافدة): أعتقد أنكِ مستاءة مني لسببٍ آخر.. قوليه ولا تلقي اللوم على تغطيتي لوجهي.

(رافدة) بتجهم: لا يوجد سبب آخر.. هل يمكن أن نغير الموضوع ؟

(نافجة): لا.. هذا النقاش مفيد لتصفية القلوب.. لن تكونا بالقوة التي أريدها ما دمتما تحملان ضغائن بعضكما ضد بعض.

(كُميت): أنا لا أحمل أي ضغائن في قلبي يا قائدة.

(نافجة): ليس بالضرورة ضد أحد منا..

(كُميت): ماذا تعنين ؟

(نافجة): البدوية بالرغم من كلامها غير المقبول إلا أن معها حقّاً فيما قالت.. لِمَ تغطين وجهك غالب الوقت ؟

(كُميت): حتى أنتِ يا قائدة ؟

(نافجة): أجيبي فقط..

أنزلت (كُميت) رأسها وصمتت..

(نافجة): هل لأنك ترين نفسك غير جميلة.. تحاولين أن تخفي وجهك لأنه لا يعجبك ظنّاً منكِ أنه لن يعجب غيركِ ؟

(عوراء): ليتني أملك وجهها بدل وجهي..

(رافدة): وما به وجهك ؟.. أنتِ جميلة ولا تخفينه كغيرك!

(عوراء): أنا لا أخفيه لأني لم أعد أهتم.. تقبلت فكرة قبحي منذ وقتٍ طويل.

(نافجة): لِمَ تقولين ذلك عن نفسك ؟

(عوراء) بنبرة حزينة وهي تضع اليربوع على الأرض وتطلقه:

ألا ترين وجهي يا عمة ؟.. ألا ترين عيني المفقوءة والندبة الكبيرة التي تمر من خلالها.. أين الجمال في ذلك ؟



(نافجة): وأنتِ يا هجدانية ؟.. هل ترين نفسكِ جميلة أم كما تريان هما نفسيهما ؟

(رافدة): لا يهم أن أكون جميلة المهم أن أكون ذات قيمة..

(نافجة): كلامك أصاب الحقيقة..

صمتت الفتيات الثلاث وبدا الحزن على وجوههن..

(نافجة): يبدو أنني الوحيدة الجميلة بينكن..

(كُميت) مبتسمة: هذه حقيقة يا قائدة.

(رافدة): لا شك في هذا يا عمة.

(نافجة): هل تدركان أني في عقدي السابع..

(عوراء): ومع ذلك وجهكِ مشرق كالبدر!

(كُميت): لم أكن لأعطيك أكثر من الأربعين يا قائدة.

(رافدة): صحيح.. ما هو السر يا عمة ؟

(نافجة): لا يوجد سر.. الناس يرونك كما ترى نفسك.. أهم شخص يجب أن يؤمن بك هو أنت ومن بعده يأتي البقية.

(رافدة) ممازحة عمتها: كفي عن هذا الكلام وأعطينا السر!

(عوراء) ضاحكة: نعم لا تكذبي علينا!

(نافجة) مبتسمة: أنا لم أقل إنه لا توجد معينات على ذلك.

(كُميت) ضاحكة: وما هي هذه المعينات ؟

(نافجة): ما زلتن صغيرَات على هذه الأمور.

(رافدة) بابتسامة خبيثة: أعتقد أن أحدها هو لحاء الجوز الذي اشتريته من سوق الحجاز.. أليس كذلك ؟

(نافجة) مبتسمة: هذا غيضٌ من فيض..

(كُميت): اسقينا من هذا الفيض..

(نافجة): ليس قبل أن تتصافى قلوبكن بعضها مع بعض!

(عوراء): أنا ليس في قلبي شيء على أحد

(نافجة) وهي تدير نظرها لـ(رافدة) و(كُميت): لم أكن أقصدكِ أنتِ..

حبت (رافدة) على أطرافها الأربعة وعانقت (كُميت) من الخلف

وقبلتها على وجنتها عدة قبلات وهي تقول: لا شيء في قلبي عليها!

(كُميت) واضعة كفها على وجه (رافدة): ولا أنا!

(رافدة) موجهة نظرها لـ(نافجة) وهي لا تزال معانقة لعنق (كُميت):

هل تريدين شيئًا آخر يا عمة ؟

(نافجة) بابتسامة رضا: ألهذا الحد تخشين الشيخوخة يا بدوية ؟

(رافدة) معتدلة في جلستها أمام العرجاء: لا تغيري الموضوع يا عمة وشاركينا أسرارك!

(كُميت): هل هي طلاسم ؟

(نافجة): الطلاسم لا تعيد لوجوهنا نضارتها يا ابنتي.. لو كانت تفعل ذلك لرأيتِ أمامك امرأة مختلفة تماماً!

(رافدة): ما السر إذاً ؟

(نافجة) رافعة رأسها: أمرٌ لا يختلف عن ما كانت تقوم به صاحبة هذا القصر للحفاظ على جمالها.

(عوراء): هل تعرفين من كانت تقيم هنا يا عمة ؟



(نافجة): هذا قصر الملكة (قمشز) المعروفة بملكة الدم..

(عوراء): اسمها بشع!

(نافجة) مبتسمة: لكن وجهها كان جميلاً جداً.. وقيل إنها بلغت المائة عام ومحياها وجسدها لم يتجاوزا العشرين!

(كُميت): وماذا كانت تفعل تلك الملكة للحفاظ على جمالها ؟

(نافجة): قصة طويلة لن تطقن سماعها.

(رافدة): احكيها لنا.. ولو من باب العوض..

(نافجة): العوض عن ماذا ؟

(رافدة): عن قصة (وشق) الذي رحل دون أن نسمع بقية قصته!

(كُميت): صحيح.. ماذا يا ترى حدث لذلك الرجل الضرير ؟

(عوراء): أنا لم أسمع إلا جزءًا يسيرًا منها لذا لست مهتمة لإكمالها لكني مهتمة لسماع قصة هذه الملكة الحمراء.

(رافدة): اسمها (ملكة الدم) وليست الملكة الحمراء.

(عوراء) واضعة رأسها في حجر (نافجة):

لا يهم.. المهم أن أسمع حكايتها من العمة..

(نافجة) ماسحة على رأس الصبية وحديثها لبقية الفتيات: معلمي هو من حكى لي قصتها وقد يكون ما قيل عنها أسطورة من الأساطير.

(كُميت): كل الأساطير تبدأ بحقيقة..

(نافجة): معكِ حق يا حجازية!

(رافدة): كل ما يهمني هو معرفة علاقة قصتها بنضارة وجه العمة

(نافجة) مبتسمة: اسمعن إذاً..



ملكة الدم

قصرٌ من الحجارة الحمراء يقع بالقرب من جبل عُرف بـ«جبل الشمس»..

تسكنه ملكة عزباء فائقة الجمال..

ورثت ملكها بعد وفاة أبيها وأمها من قبله..

كانت ملكة تحكم شعباً من المزارعين الذين يقضون طيلة العام في زرعٍ وحصد

لتبيع هي حصاد عملهم..

وتحتفظ بمعظم أرباحه لنفسها..

وترمي عليهم فتات ما يبقيهم مستمرين في الحياة والعمل لها..

لم يكن هناك عمران لهذه المملكة سوى ذلك القصر الأحمر بباحته



الكبيرة وأما المزارعون وعائلاتهم فقد أقاموا في بيوتٍ طينية متواضعة خارج أطراف السور وعند مزارعهم القريبة منه.

باحة هذا القصر كانت ممتلئة بمجموعة من طيور الطاووس الأبيض يتوسطهم نحتٌ رخامي للملكة أمرت بتشييده من الأموال التي جنتها من بيع محاصيل المزارعين. الملكة (قمشز) عينت واستأجرت من تلك الأموال أيضاً ولاء وحماية مجموعة من الحراس الذين أوكلت إليهم حمايتها من أي عدو دخيل أو سخط قد ينشأ من وقتٍ لآخر من قِبل المزارعين إذا رفعت الجباية عليهم أو عاقبت أحداً منهم، وكانت تأمر بالتنكيل بأي شخصٍ يعارض طريقتها في توزيع خيرات المزارع.

جلست الملكة (قمشز) على عرشها أمام حوضٍ رخامي كبير مُعد للاستحمام مُلِئ نصفه بالحليب ومن حولها كان مجموعة من رجالها المسلحين يراقبونها وهي تبحث بمرآة صغيرة في كفها عن أي تجاعيد تكون قد ظهرت على جلدها الأملس وهي تقول:

«لقد تأخر (ربيد)..»

(أحد الحراس): إنه في الطريق يا مولاتي..



(قمشز) منزلة المرآة وبوجهٍ محبط: كل لحظة تمر هي من حساب عمري.. ابحثوا عن ذلك الأحمق وأحضروه لي في الحال!

(ربيد) وهو يدخل للقاعة مبتهجاً: أنا هنا يا جلالة الملكة ولم أتأخر ولن أتأخر عنكِ أبداً!

(قمشز) معتدلة في جلوسها بشيء من الحماسة: هل أحضرت طلبي ؟!

(ربيد) حانياً رأسه مبتسماً: كما أفعل دوماً مطلع كل شهر يا سيدتي..

(قمشز): وأين هم الآن ؟

صفق (ربيد) بكفيه صفقتين ليدخل أحد الحراس وهو يسوق خلفه أربعة أطفالٍ، فتاة وثلاثة صبية لم تتجاوز أعمارهم الخامسة. رُبطوا من أعناقهم بحبلٍ واحد. نهضت الملكة من مكانها بوجهٍ مبتهج وابتسامة عريضة وبدأت بالسير نحو الأطفال المربوطين وعند وصولها إليهم أخذت تمسح على رؤسهم بفمٍ مفتوح ووجهٍ كله شغف وهي تقول:

«حرروهم من قيودهم..»

أخرج الحارس الذي قادهم للمكان خنجرًا من حزامه وقطع به العُقد المقيدة والملتفة حول أعناقهم فنزلت الملكة على ركبها وحضنتهم جميعاً بعناقٍ واحد وخلال عناقها لهم قالت للموجودين في القاعة:

«اخرجوا جميعاً واتركوني مع أطفالي..»

نفذ الجميع أمر الملكة وقبل خروج (رييد) خلفهم قال: أراكِ في الغد يا مولاتي..

في اليوم التالي عاد الحراس ودخلوا على ملكتهم وكما جرت العادة وجدوها في الحوض الرخامي الممتلئ بخليط الحليب مع دماء الأطفال الذين تركوهم معها وقد تغطت بالكامل باللون الأحمر وأشلاؤهم موزعة على الأرض بعد ما أفرغت شرايينهم في الحوض وتناولت بعض لحومهم. بدأ الحراس بتنظيف المكان وملكتهم تراقبهم بوجهها الأحمر الدامي وهي في حالة انتشاء كبيرة. انتهى الرجال من عملهم تزامناً مع دخول (رييد) الذي توجه لـ(قمشز) وحنى رأسه عندها قائلاً:

«أتمنى أنكِ قضيتِ ليلة جميلة يا مولاتي..»



(قمشز) بتضجر: الفتاة كان لحمها قاسياً وبشعًا أما الصبية فكانت لحومهم غَضّة ولذيذة..

(ربيد) : هذا لأننا أحضرنا الفتاة من مكان مختلف.. الصبية كانوا من المنطقة المعتادة نفسها.

(قمشز) تتجهم بوجهها الأحمر وتقول: ولِمَ لم تحضر الأربعة من المكان نفسه ؟!

(ربيد): إيجاد الأطفال في هذا العمر ليس بالأمر السهل يا مولاتي وانتقاء من ليس له أهلٌ يتطلب وقتاً.

(قمشز): الأيتام كُثر وإيجادهم ليس بالأمر الصعب!

(ربيد): في الحقيقة لم نعد نجلب لكِ أيتاماً فقط.. لقد اضطررنا أن نسلب بعض الأطفال من ذويهم فالأعداد تناقصت مع الوقت.. نحن نمارس هذا العمل منذ مدة طويلة والأطفال لا ينمون على الأشجار لنقطفهم.

(قمشز): كيف تخطف أطفالاً لهم آباء وأمهات ؟.. ألا تخشى أن يطالب أحد بهم ؟

(ربيد): لا تقلقي يا مولاتي أنا حذر فيما أقوم به

(قمشز) وهي تنهض وتقف وسط حمامها الدامي:

المهم أن لا تتأخر عن إحضارهم الشهر القادم.. نضارة جسدي تعتمد على ذلك

(ربيد): أطفال المزارعين موجودون..

(قمشز) وهي تخرج من الحوض: لا.. لن أعتمد على أطفال مملكتي.. الجمل لا يأكل من سنامه والشاة لا ترضع من ثديها.. أحضر الأطفال من المدن المجاورة ولو تطلب الأمر أن تسافر لأقصى الجزيرة فافعل لكن لا تتعرض للأطفال هنا..

(ربيد): لا أستطيع السفر لأكثر من مسافة نصف شهر كي أتمكن من العودة في الوقت المناسب!

(قمشز) تسير خارج المكان بجسدها الأحمر:

استأجر من يمكنه القيام بهذه الرحلات ويعود لي بما أريد.. المال يحل أي مشكلة..

(ربيد) حانياً رأسه قبل أن يهم بالرحيل: لا تقلقي.. سأتصرف يا جلالة الملكة..

عندما حل الشهر التالي دخل (ريد) كعادته وهو يسوق خلفه أربع بناتٍ صغيرات لم تكن أعمارهنَّ كالذين يتم إحضارهم بالعادة فقد كن بين السابعة والتاسعة وواحدة منهن فقط كانت بالخامسة لذا وعندما رأتهم الملكة تجهمت قائلة: ما هذا ؟!

(ريد): طلبك المعتاد يا مولاتي.

(قمشز): هؤلاء لسن صغيرات.. كم أعمارهن ؟

(ريد) مبتسماً: هنَّ فقط يبدون كذلك لكنهن لما يتجاوزنَ العاشرة!

(قمشز): ولِمَ كلهن فتيات ؟.. تعرف بأني أحبذ الصبية.

(ريد): أعدك بأني سأحاول تحقيق رغبتك الشهر المقبل لكن هذا ما استطعنا إيجاده هذا الشهر.

(قمشز): آمل أن لا يكنَّ مثل تلك الصبية التي أحضرتها لي الشهر الفائت.

(ريد) مبتسماً: لا يا مولاتي.. أنا متيقن من أنك هذه المرة ستكونين راضية جدّاً

(قمشز) وهي تشير بيدها للحراس بأن يُخلوا المكان: سنرى..

بعد ما خرج الجميع بمن فيهم (ربيد) تاركين الملكة مع ضحاياها الجدد نهضت من مكانها وبدأت بالسير نحو الفتيات المقيدات من أعناقهن وعند وصولها لهن سحبت سكينًا حادة وحلت قيودهن. الملكة (قمشز) بشكلٍ عام لا تتحمس عندما يكون بين الأطفال الذين يُجلبون لها فتيات ويكون اهتمامها منصبّاً على الصبية أكثر لذا هذه المرة لم تلعب معهن أو تطعمهن كما جرت العادة قبل أن تنحرهم. ساقت الملكة الأربع للحوض نصف الممتلئ بالحليب وأمرتهُنَّ بإسناد ذقونهِنَّ على طرفه الأملس استعدادًا لفتح شرايينهنَّ وإفراغ دمائهن في الحوض الرخامي.

وضعت الملكة كف يدها اليمنى على جبين إحدى الفتيات ودفعت رأسها للوراء برفقٍ تجاه بطنها كاشفة عن نحرها وأخذت تقترب بيدها اليسرى الحاملة للسكين ببطء من عنق الصبية لتنحرها لكنها فوجئت بسؤالٍ من فتاة من الفتيات الواقفات بجانبها وخدها مسند على حافة الحوض والتي قالت ببراءة:

ماذا ستفعلين ؟

استغربت الملكة هذا التصرف لكنها سايرت ما كان يحدث وقالت



مبتسمة:

سوف أمرر الحد على عنقها حتى يفور الدم من أوداجِها..

سألت فتاة أخرى وقالت: لماذا ؟

(قمشز) تحدث نفسها وهي تحدق بالفتاة السائلة: لهذا لا أحب الفتيات..

بالرغم من أنها لم تكن مضطرة إلا أن الملكة وضعت السكين جانباً وجلست على الأرض عند الحوض وأجلست الفتيات الأربع أمامها وقالت:

سوف أجيب على سؤال واحدٍ لكل واحدة منكُنَّ.. هذا أقل ما يمكن أن أقدمه لكُنَّ مقابل ما ستقدمنه لي..

(الفتاة الأولى): وماذا سنقدم لكِ ؟

(قمشز): سأعتبر هذا هو سؤالك وسأجيبك.. أنتُنَّ ستقدمنَّ لي ترياقاً.. ترياقاً لسرعة الزمن الهدامة.. أنا لن أحيا للأبد وسيلحق بي الزمن يوماً ما لكن دماءكن تؤخر هذا اليوم..

(الفتاة الثانية): ولمَ تريدين تأخيره ؟



(قمشز) باستغراب لعمق الأسئلة من هؤلاء الصغيرات:

لأني لا أريد أن أشيخ وأكون قبيحة.. وهذه هي الطريقة الوحيدة لتحقيق ذلك.

(الفتاة الثالثة): ومن أخبرك بذلك ؟

(قمشز): امرأة تملك علماً عظيماً.. يسمونها ساحرة وأنا أسميها منقذتي.. هي من وصفت لي هذا الخليط من الحليب والدماء النقية وأمرتني بالاستحمام به مع كل ولادة قمر وتناول ما أستطيع من اللحوم الغضة.. هل فهمتِ الآن ؟

وجهت بعد ذلك الملكة نظرها للفتاة الرابعة والتي كانت الأصغر عمراً في المجموعة وقالت لها:

بقي أنتِ.. هل لديكِ سؤال أم نشرع في البدء لما اجتمعنا لأجله ؟

(الفتاة الرابعة): هل يمكن أن أشرب من الحليب في الحوض ؟

(قمشز) باستغراب: ولمَ تريدين ذلك ؟

(الفتاة الرابعة): لأني جائعة..

(قمشز): حسناً.. تجردن من ملابسكُنَّ جميعاً وادخلن حوض الحليب.

نفذت الصغيرات أمرها وبدأن يلعبن في الحوض ويشربن منه والملكة تراقبهن بصمت وهي جالسة على عرشها. بعد مضي وقتٍ ليس بالقصير نهضت الملكة من مكانها وتوجهت للفتيات ونحرتهن واحدة بعد الأخرى وتركتهن ينقعن في الحوض لدقائق قبل أن تشد كل واحدة من أحد أطرافها وتلقي بها خارج الحوض لتخلع هي ملابسها وتنسل داخل خليط الدم واللبن.

في اليوم التالي قدم (ريبد) مع الحراس لينظفوا المكان كالمعتاد وفوجئوا بمنظر مخيف. وجدوا امرأة عجوزاً عارية بوجهٍ قبيحٍ جدًّا وجلدٍ مجعدٍ مغطى بالدماء الجافة تجلس على عرش ملكتهم تبكي بحرقة فصرخ فيها:

«من أنتِ ؟!.. وأين الملكة (قمشز) ؟!»

(العجوز) مباعدة كفيها كاشفة عن وجهها القبيح:

«أنا ملكتك يا أحمق!»



لم يصدق (ربيد) ما سمعه وأمر بالقبض عليها ورميها في السجن في الحال. أمضت الملكة (قمشز) بضعة أشهر داخل سجنها المظلم في سراديب القصر قبل أن تموت بمرضٍ أصابها ولم يتحمل جسدها المسن وطأته ومنذ ذلك الوقت لم يرَ أحدٌ الملكة الحمراء مرة أخرى وتفرق شعبها وهاجر للمناطق المجاورة.

(عوراء): هل معنى هذا يا عمة أن سر جمالك هو أنكِ تأكلين الأطفال ؟

(نافجة) ضاحكة: وهل رأيتني من قبل أفعل ذلك ؟!

(عوراء): وما أدراني أنا عن ما تقومين به خلال نومنا ؟

(رافدة): لو كانت العمة تأكلهم لبدأت بكِ..

(عوراء): أنا لست طفلة!

(رافدة): لكنك تفكرين مثلهم!

(عوراء) لـ(نافجة): هل تكرهين الأطفال يا عمة ؟

(نافجة): لا يكره الأطفال إلا الأطفال.. لكن هذا لا يعني أني أحبذ رفقتهم.

(كُميت): القصة غريبة يا عمة.. لكن ما هي العلاقة بين ما تقومين به للحفاظ على نضارة وجهك وما قامت به الملكة الحمراء ؟

(نافجة): سر الشباب يكمن في تناول الأجنة أو الصغار الحديثي الولادة..

(كُميت): أوضحي أكثر يا قائدة!

(نافجة): كلما كان ما تتناولينه في ريعان شبابه سيتنقل لكِ جزء من عمره الأخضر.. صيصان الطير بدل الكبير منها.. البيض قبل أن يفقس بعشرة أيام.. ابن الشاة بمجرد أن يخرج من بطن أمه وقبل أن يخطو خطواته الأولى.. الأمثلة كثيرة.. وبالطبع كلها تؤكل نيئة دون أن تمسها نار..

(عوراء) باشمئزاز: هذا مقرف يا عمة!

(نافجة): لم يقل أحدٌ إن طريق الجمال سهل.

(رافدة): وهل هذه الطريقة فعالة أم أنكِ تسخرين منا ؟

(كُميت): القائدة تقول الحق.. سمعت شيئًا مشابهاً لذلك من قبل لكني لم أفهم حتى سمعته الآن من لسانها

(عوراء): ألا توجد طريقة أخرى يا عمة غير أكل الصغار ؟

(نافجة): هل تحبين أكل الجراد ؟

(عوراء) مخرجة لسانها بتقرف: لا!

(نافجة): إذاً لا يوجد..

(رافدة): لدي سؤال..

(نافجة): ما هو ؟

(رافدة): لِمَ لم تستفد الملكة من خليط الدم مع الحليب ؟.. ما الذي اختلف هذه المرة ؟

(كُميت): صحيح.. لم أنتبه لذلك.. ما السبب يا قائدة ؟

(نافجة): لأن الخليط يجب أن يكون فقط من الدم والحليب لكنه تعكر عندما استحمت الفتيات الصغيرات به وشربن كمية كبيرة منه خلال استحمامهن فيه!

(عوراء): تعكر كيف ؟

(رافدة): فهمت..

(كُميت): وأنا كذلك..

(عوراء): أنا لم أفهم!.. أفهمنني!

(نافجة) مبتسمة: سأخبرك لاحقاً.

(عوراء) بتجهم ورأسها في حجر العرجاء: أعرف بأنك لن تخبريني!

(كُميت): شعرت بالأسى على الأيتام الذين ماتوا بسبب طمع تلك الملكة.

(عوراء): عمة!.. هل اليتيم من فقد أمه أم أباه ؟.. أم كليهما ؟

(نافجة): لِمَ تسألين ؟

(عوراء): لأن أهالي «مدينة البركة» كانوا يسمونني يتيمة لأني فقدت أحد أبوي ولم أعرف أيهما يقصدون ولم يخبرني أحد..

(رافدة): اليتيم من فقد أمه.

(كُميت): لا.. أعتقد أنه من فقد أباه.

(نافجة): اليتيم بحق هو من يفقد نفسه بعد فقدان أحدهما أو كليهما..

(رافدة) لـ(عوراء): أن تكوني يتيمة خيرٌ لكِ من أن تُرزقي بأبٍ يحاول دفنك وأنتِ حية بعد ولادتك.

صمت الجميع بعد تعليق (رافدة) ووجهن أنظارهن إليها وعندما لاحظت ذلك قالت: لِمَ تنظرن إلي ؟!.. لم أكن أقصد نفسي!

(كُميت) ملتفتة خلفها: هل تعتقدن أن الحوض الذي كانت الملكة تستخدمه للاستحمام بدماء الأطفال لا يزال موجوداً في القصر ؟

(نافجة): غالباً نعم.. في غرفة العرش.

(عوراء): أين نحن إذاً الآن ؟

(نافجة): في بهو القصر..

(رافدة) لـ(كُميت): ما رأيك أن نبحث عنه ؟

(نافجة): لا أحد منكن يتحرك من هنا.. هذا المكان مشؤوم والتجول فيه ليلاً ليس فكرة حسنة..

(رافدة): أنا لا أشعر بالنعاس والليل طويل..

(نافجة): يجب أن ننام لنرتاح.. نحن لا نعرف ماذا سيواجهنا خلال

الطريق لبئر «برهوت» ويجب أن نكون بكامل قوتنا.. هذه البئر مجهولة وقد تكون خطرة.

(كُميت): أنا أعرف القليل عن «بئر برهوت» يا قائدة..

(رافدة): حدثينا عنه فذلك قد يفيدنا عندما نصل إليه!

(كُميت): لا أعرف الكثير لكن معظم أهل الحجاز سمعوا عنه وعن الأساطير التي تحوم حوله وعن نشأته.

(نافجة): وما تلك الأساطير ؟

(كُميت): لا تعد ولا تحصى لكن أكثرها شيوعاً هي قصة (مُخْر)..

(عوراء): هل هذا اسم شاب أم فتاة ؟

(نافجة) وأعينها على (كُميت): يُسمى به الاثنان.. ويعني سحابة الصيف البيضاء الممطرة.

(كُميت): صحيح يا قائدة.. قصة هذه الفتاة مع البئر هي الأكثر انتشاراً عندنا في الحجاز.

(رافدة): ومتى سترويها لنا ؟

(كُميت) مبتسمة: الآن..



بئر الجن

في منطقة زراعية تسمى «النهرة» أقصى جنوب شرق «حضرموت» ولدت فتاة أسماها أبواها (مُخْر) لأنه في يوم ولادتها تلبدت السماء بالغيوم الكثيفة وهطلت أمطارٌ غزيرة صاحبها برقٌ ورعدٌ لم يكن لها مثيل في تاريخ المنطقة، وسقت تلك الأمطار المزارع التي شح عنها الماء لفترة طويلة. قلة الماء في هذه المنطقة هو أمرٌ اعتاد عليه سكانها ومع هذا لم يثنِهم ذلك الجفاف معظم أيام العام عن امتهان الزراعة وجلب المياه من أي مصادر يمكنهم إيجادها وهي في الغالب آبار متنوعة ومتفرقة تنبع وتجف حولهم من وقتٍ لآخر.

كبرت النهرية الصغيرة (مُخْر) حتى بلغت الرابعة عشرة من عمرها وبعد بلوغها هذا العمر أوكل إليها أبوها الذي كان يعمل في الزراعة والرعي مهمة سقي الخراف والدواب صباح كل يوم بإحضار قلتين



من الماء وسكبهما في المكان المخصص لشربها. كانت مهمة شاقة وليست باليسيرة فالطريق للبئر ذهاباً وإياباً تستغرق وقتًا ليس بالقصير خاصة بعد ما تملأ القربة بالماء وتصبح ثقيلة.

في أحد الأيام وخلال عودتها من رحلتها الثانية انشقت القربة وانسكب الماء على الأرض، فأحست بالضيق والحزن الشديد لضياع مجهودها وقررت العودة لإخبار أبيها كي يعطيها قربة أخرى أو يخبرها بما تفعل. في منتصف الطريق نحو منزلها خرج لها شاب وسيمٌ جدًّا، في العشرين من عمره تقريباً واعترض طريقها بابتسامة عريضة قائلًا:

«إلى أين ؟!»

جزعت (نحْر) من الشاب لأن قطع الطريق أمر شائع خاصة لفتاة في عمرها وجمالها. لم تتفوه الفتاة بكلمة واكتفت بمعانقة نفسها والنظر للأرض بخوف.

(الشاب) مهدئًا من روعها: لا تخافي أنا لا أنوي إيذاءك.. أريد فقط مساعدتك.

(نَحْر) ونظرها للأرض أمامها:

لا أحتاج مساعدة في شيء.. أرجوك تنحَّ عن طريقي..

(الشاب): لقد رأيت قربتك وهي تنشق وينسكب ماؤها.. أستطيع تعويضك.

(نَحْر): العوض من صاحب العوض وهو ليس أنت..

(الشاب) متراجعاً للخلف نحو نخلة كانت وراءه: انتظري لبرهة..

ابتعد الشاب واختفى خلف النخلة وكانت هذه فرصة مواتية لـ(نَحْر) كي تهرب لكنها لم تفعل وتسمرت مكانها حتى عاد الشاب ومعه قربة جديدة ومدها لها:

«خذي هذه وأحضري الماء..»

(نَحْر) وهي لا تزال على حالها: لا.. لا أستطيع قبول شيء من شخصٍ غريب!

(الشاب) مبتسماً: إذا قبلتِها فسنكون أصدقاء ولن أكون غريبًا عليكِ.

(نَحْر): لن تقدمها بدون مقابل.. أعرف ذلك..

(الشاب) وهو لا يزال يمد القربة مبتسماً:

وما المقابل الذي ترينه مناسباً لقربة جلدية فارغة ؟

(مُحْر) بتوتر ونظرها للأرض أمامها:

أهلي سيفتقدونني وسيبحثون عني ؟.. اتركني أمضِ في طريقي.

(الشاب): أغمضي عينيك لوهلة..

(مُحْر) رافعة رأسها: لماذا ؟.. هل تنوي الانقضاض عليّ عندما أغمضهما ؟

(الشاب) ضاحكاً: ولِمَ أحتاج إغماضة من عينيك الجميلتين كي أنقض عليكِ ؟!

(مُحْر) مبتسمة بخجل: هل تظن أن عينيّ جميلتان ؟

(الشاب): بل هما أجمل شيء رأيته في حياتي السوداء..

(مُحْر) مستدركة نفسها: لا!.. لن أغمضهما!

(الشاب): حسناً.. سأغمضهما لكِ.

اندفع الشاب جرياً نحو (مُحْر) فما كان منها إلا أن غطت وجهها

بكفيها خوفاً منه لكنها لم تشعر بشيء أو باصطدام جسده بجسدها بل سمعته يقول من خلفها:

«افتحي عينيكِ..»

باعدت (نَحْر) كفيها عن وجهها وفتحت عينيها لترى البئر التي ملأت منها الماء سابقاً أمامها فقالت بتعجب: هذه البئر تشبه البئر التي أزورها كل يوم..

(الشاب) وهو يقف بجانبها ويمد لها القربة:

هذا لأنها البئر نفسها.. هيا املئي القربة كي تعودي قبل أن يفتقدك أهلك!

(نَحْر) ملتفتة على الشاب: من أنت ؟

(الشاب) يدير نظره نحوها قائلاً: أنا (سَجْر) يا (نَحْر)..

(نَحْر) بتعجب: كيف تعرف اسمي ؟

(سَجْر) : لأن أهلي أسموني في اليوم نفسه الذي أسماك فيه أهلك.. عندما هاجت السماء يومها بالأمطار والرعد والبرق..

(نَحْر): نحن لسنا بالعمر نفسه.. من الواضح أنك أكبر مني بعدة سنوات!

(سَجْر) ضاحكاً: لا، صدقيني لقد ولدنا في اليوم نفسه.

(نَحْر) وهي تسير نحو البئر لتملأ قربتها: ربما..

(سَجْر) خلال مراقبته لها وهي تملأ القربة بالماء: هل تحتاجين مساعدة ؟

(نَحْر) رافعة القربة المملوءة على كتفها: لقد ساعدتني بما فيه الكفاية.. شكراً لك.

بدأت (نَحْر) بالسير عائدة لديارها لكن (سَجْر) اعترض طريقها مرة أخرى قائلاً: متى سأراكِ مرة أخرى ؟

(نَحْر) بتجهم: تراني أين ؟!.. ماذا تظنني ؟!.. لا تعتقد أنك بقربتك هذه قد اشتريتني!

(سَجْر) رافعاً كفيه في وجهها ضاحكاً: لا! لا!.. لا تسيئي فهمي.. أريد الحديث معكِ فقط.. أجد متعة في ذلك.

(نَحْر) وهي تستأنف طريقها بتجهم وبنبرة ساخطة: ابحث عن متعتك في مكانٍ آخر!

بعد برهة من الزمن قطعتها (نَخْر) في المشي وصلت لمنزلها واستغربت من أنها لم تستغرق الوقت المعتاد في العودة بقربة مملوءة وكذلك كانت القربة أخف من المعتاد مما دفعها لإنزالها على الأرض أكثر من مرة خلال طريقها للتحقق من أنها لم تكن مثقوبة أو أن الماء يتسرب منها ويخفف من وزنها. أفرغت الشابة النهرية محتوى القربة في المكان المخصص لسقي المواشي والدواب ورمت بها جانباً وتوجهت للمنزل لتساعد أمها في بقية الأعمال اليومية مثل الخبز وإعداد الطعام لأبيها وأخيها الأكبر قبل عودتهما من الحقل. جلست (نَخْر) أمام أمها وأخذت قطعة من عجين القمح وبدأت تعجنه بصمت وهي سارحة..

(الأم): ما بكِ ؟

(نَخْر) وسرحانها ينقطع: هاه ؟.. لا شيء يا أمي.. لِمَ تسألين ؟

(الأم): سألت لأن وجهك يوحي بأن هناك ما يشغل بالك.. هل تعرض لكِ أحد في الطريق وأنتِ تحضرين الماء ؟

(نَخْر) بتوتر وارتباك: لا.. من سيتعرض لي.. لم يتعرض لي أحد!

(الأم): أنا لم أكن موافقة على قرار أبيك بالاستعانة بكِ لجلب الماء من تلك البئر البعيدة.. إن كان قد حدث لكِ مكروه فأخبريني ولا تخافي..

(نَخْر): صدقيني يا أمي لم يحدث شيء.. أنا متعبة قليلاً.

(الأم) وهي غير مصدقة: لا تخفي علي شيئًا يا ابنتي.. أخبريني..

(نَخْر): لِمَ أنتِ مصرة على أن شيئًا قد حدث ؟.. إنه مجرد تعب عابر.

(الأم) بقلق: ما مصدر هذا التعب ؟.. بطنك أم ظهرك ؟

(نَخْر): لا ترهقيني بكثرة السؤال يا أمي أرجوك.. هل سبق أن أخفيت عليكِ شيئًا من قبل ؟

(الأم) وهي تعود لعملها فِي العجن:

لا لكن عندما وصلت لعمرك بدأت أخفي عن أمي أموراً كثيرة وأخشى أن تفعلي الشيء نفسه معي..

(نَخْر) مبتسمة: أموراً مثل ماذا ؟

(الأم): أخفيت عنها أني كنت أذهب لتسلق النخيل مع الصبية وأتنافس معهم في سرعة الوصول للقمة وقطف البلح.

(نَخْر) ضاحكة: وهل كنتِ تفوزين عليهم ؟

(الأم) بفخر: دائماً.. كان لقبي بينهم هو «العنكبوت» لأن لا أحدَ منهم استطاع مجاراتي في سرعة التسلق.

(نَخْر): غريبة.. لم أركِ تتسلقين نخلة من قبل

(الأم) وهي تبسط العجين المفرود على السطح الساخن:

هذا لأن جدك كشف أمري وضربني بسعف النخلة التي تسلقتها حتى أدمى ظهري

(نَخْر) بوجهٍ حزين: أنا آسفة لذلك يا أمي..

(الأم): على العكس تماماً يا ابنتي.. أنا سعيدة لأنه قام بذلك.. لو لم يقم جدك بمعاقبتي ومنعي من الخروج بعدها لما تزوجت أباك.

(نَخْر): وما علاقة زواجك من أبي بهذا الأمر ؟

(الأم) ترفع الخبزة الساخنة وترمي بها على حصيرة بجانبها:

لأن أباك كان يراقبني كل يوم وأنا ألعب مع الصبية وعندما انقطعت عن الذهاب إليهم جن جنونه وبدأ يبحث عني إلى أن عرف منزلنا وتقدم لخطبتي وتزوجني.

(نَخْر) ضاحكة: كم كان عمر أبي وقتها ؟

(الأم): في سن العشرين تقريباً..

(نَخْر): هل كان عمره مناسبًا لكِ ؟

(الأم): نعم لكن جدتك كانت رافضة لزواجنا لأنها رأت أني كبيرة عليه وأرادت له فتاة في الحادية عشرة من عمرها..

(نَخْر) بتهكم: هل يعني ذلك أني تجاوزت عمر الزواج ؟

(الأم): جدتك أفكارها قديمة بالرغم من أن هذا النوع من الزواج لا يزال يقام لكن أباك لا يؤمن بزواج الفتاة بعمرٍ صغير هكذا.

(نَخْر) ممازحة أمها: ومتى سيزوجني أبي ؟

(الأم) بتجهم: لا تتحدثي في هذه الأمور.. لو سمعكِ أبوك فسوف تنالين ما نلته من جدك وأكثر.

(نَخْر) ضاحكة: لا تقلقي يا أمي فأنا لا أفكر في هذه الأمور.

(الأم) وهي تمد لها وعاءً:

اذهبي واحلبي عنزتي وأطعمي دجاجاتي وانسي هذا الموضوع..

(نَخْر) تأخذ الوعاء من يد أمها باسمة: أمركِ يا أمي..

عندما أوت الشابة النهرية لفراشها ليلاً واستلقت أمام أمها التي سبقتها للنوم غزت عقلها بعض الأفكار وهي تسترجع ما حدث معها صباحاً مع ذلك الشاب وحدثت نفسها قائلة:

«كيف عدت للبئر بتلك السرعة بعد أن قطعت نصف المسافة مبتعدة عنها ؟»

بقيت (نَخْر) تصارع أفكارها وتبحث عن مبررات لما حدث معها حتى غلبها النعاس وغطت في النوم.

غداة اليوم التالي أفاقت (نَخْر) وهي تسمع صياح ديكهم في الخارج ففتحت عينيها لترى فراش أمها خاويًا كالعادة لأنها تستيقظ قبلها دوماً صباح كل يوم، جلست في بادئ الأمر ولم تنهض مباشرة وبعد دقائق من السرحان في أشعة الشمس المخترقة لباب الدار الخشبي نهضت واغتسلت من وعاء ماءٍ في إحدى زوايا الغرفة. فتحت الباب وسارت نحو مكان سقي الدواب تبحث عن القربة الجلدية لتبدأ بأول مهمة لها في اليوم وهي جلب الماء من البئر.

بعد بحثٍ قصير رأت القربة التي رمتها بالأمس وعندما أمسكت بمقبضها انتبهت لنقوشٍ غريبة عليها. قربت الشابة القربة من وجهها وبدأت تتفحص النقوش بنظرها. سقطت القربة من يدها عندما فزعت من صوت أبيها وهو يقول لها خلال تفحصها للقربة ناهرًا:

«ماذا تفعلين» ؟!

(نَخَر) والقربة تقع من يدها على الأرض وبشيء من الفزع:

لا شيء يا أبي!

(الأب) بتجهم ونبرة غاضبة:

ما هذه القربة ؟!.. من أين أحضرتِها وأين القربة القديمة ؟!

(نَخَر) بتوتر: لقد انشقت قربتنا وظهرت لي هذه في طريق العودة فأخذتها..

(الأب) بنبرة غير مصدقة:

ظهرت لكِ ؟.. وهل تمطر السماء قرباً جلدية ؟.. ولِمَ لم تحضري القربة المثقوبة لأصلحها ؟!.. كيف ترمينها هكذا ؟!

(نَخْر): لم أفكر وقتها وأقسم لك يا أبي هذا ما حدث معي!

نهر الأب ابنته بقوة وهددها أنها لو تأخرت عن العودة بعد الوقت المعتاد فسوف يعاقبها أشد العقاب. حملت (نَخْر) قربتها وسارت نحو البئر وهي تبكي قهراً من توبيخ أبيها لها وهي لم تقترف شيئًا. قطعت الشابة النهرية ربع المسافة فقط نحو البئر ثم غيرت من مسارها لتسير في اتجاهٍ جديد لوقتٍ طويلٍ قبل أن يخرج الشاب الذي اعترض طريقها بالأمس ويقول ضاحكاً باسطاً ذراعيه: لقد عدتِ!

(نَخْر) دون أن تتوقف عن السير ومتجاهلة النظر في وجهه:

ابتعد عني تكفيني المشكلات التي أوقعتني بها!

(سَجْر) وهو يسير بجانبها وبوجهٍ قلق: أي مشكلات ؟

(نَخْر) تتوقف وتدير نظرها نحو وجهه القلق عليها وتقول بعصبية:

أبي غاضبٌ مني لأني أخذت قربتك ورميت قربتنا المثقوبة!

(سَجْر) مبتسماً: لا مشكلة.. سأعيد لكِ القربة المثقوبة.

(نَخْر): مستأنفة سيرها بوجهٍ متجهم:

انتهى الأمر الآن!.. فقط ابتعد عني ولا تتحدث معي!

(سَجْر) يمسكها من ذراعها ويوقفها: انتظري.. أرجوكِ..

(نَحْر) تقف دون أن تلتفت إليه قائلة: أبعد يدك عني!

(سَجْر) تاركاً ذراعها: هل يمكن أن تسمعيني فقط ؟

(نَحْر) ملتفتة إليه بوجهٍ متجهم: ماذا تريد ؟

(سَجْر): لا أريد أن أبدو مخيفًا لكِ لكن هناك كلامُ سجينٌ في قلبي ويجب أن أعطيه حريته وأعلم تماماً أنكِ لو سمعتِه بقلبك فستصلك الرسالة التي أحتفظ بها معي منذ أول يومٍ رأيتكِ فيه.. ولا أقصد الأمس.. أنا أنتظرك منذ سنوات وكنتِ تستحقين كل الوقت الذي قضيته في انتظارك مستجمعًا قواي للوقوف أمامك وللحديث معكِ.. أمضيت نصف عمري أراقب حركاتك وسكناتك.. ضحكك وبكاءك.. أدركت وقتها أن جنوني هذا بكِ لن يتوقف وأني سآتي جرياً لأمشي بجانبك.. سأعانقك أقبلك.. سأبكي فرحاً لرؤيتك وأبتسم حزنًا بدونك..

صمتت (نَحْر) وهي في دهشة مما تسمعه ولم ترد عليه..

لم يتوقف (سَجْر) واستأنف حديثه قائلاً:

أرجوكِ لا تصديني فقط لأنكِ لا تعرفينني.. أقسم إني كنت سأتركك وشأنك لو كانت رؤيتك وسماع صوتكِ كل يومٍ خلسة تكفيني، لكن المشكلة لم تكن يومًا بصوتك في أذني وأنتِ أمامي بل صداه في رأسي عندما ترحلين وتتركينني، العقول المتزنة لا تصرخ مثلما القلوب العاشقة لا ترى الهاوية تحت أقدامها وأنا وقعت في هاويتك ولا أريد أن تُمد لي يد سواك..

(نَجْر) وهي مدهوشة ومشوشة من حديث من تيقنت أنه شاب مجنون وفاقد لعقله: أي هاوية ؟

بسط (سَجْر) كفه في وجهها ثم أنزله ووضعه على الأرض بين أقدامها..

(نَجْر) وهي تراقبه بتعجب: ماذا تفعل ؟

انشقت الأرض بين يديه وتحت أقدامها وبدأ الشق يتسع حتى زلت قدمها في الهاوية التي أُحدثت أسفل منها وخلال سقوطها صرخت الفتاة بقوة وهي ترى نفسها تغوص في ظلام تلك الفجوة. أغمضت

الشابة النهرية عينيها متقبلة مصيرها لكن وفي لمح البصر أحست بنورٍ ساطعٍ يضرب أجفانها المغمضة ففتحتها لترى نفسها في عنان السماء و(سَجْر) يحملها بين ذراعيه مبتسماً. لم يزدها ذلك الموقف إلا خوفاً وجزعاً وبدأت تحاول التفلت منه بقوة وهي تصرخ مستنجدة. شد الشاب من قبضته عليها ضاحكاً وبنبرة مطمئنة قال لها:

لا تخافي!.. انظري فقط للأسفل!

وجهت (نَحْر) في لحظة ارتباكٍ وتيه نظرها للقاع لترى فوهة كبيرة في الأرض يلمع من قاعها البعيد انعكاسٌ لنور الشمس على سطح ماءٍ صافٍ كالزجاج.

(نَحْر) وهي مدهوشة: ما هذا ؟

(سَجْر) وهو يحملها بين ذراعيه: هدية بسيطة..

(نَحْر): أنزلني!.. أنزلني حالاً!

نفذ (سَجْر) طلبها وهبط بها عند طرف التجويف..

(نَحْر) وهي تتنفس بثقل من هول ما حدث: ما الذي يحدث ؟!

(سَجْر): أنا أحاول أن أشرح لكِ من أنا..

(مُخْر) وقد هدأت قليلاً في محاولة لاستيعاب ما يحدث:

من أنت.. أخبرني بحق.. من أنت ؟

(سَجْر): كل ما قلته وفعلته ولم تعرفي من أنا ؟

(مُخْر) وهي تُطل من طرف التجويف في محاولة لرؤية القاع:

هل أنت ساحر ؟.. أنا أكره السحر..

(سَجْر) مبتسمًا بحزن:

نكره السحر ومع ذلك نبحث عن من يسحر قلوبنا.. لا.. لست بساحر.. بل مسحور..

(مُخْر) وهي لا تزال تنظر لقاع التجويف: ولِمَ تفعل كل هذا معي ؟

(سَجْر) وهو يقف بجانبها ويشاركها النظر للقاع:

سأفعل أي شيء.. أي شيءٍ لأحظى بوقتٍ وجيز للحديث معكِ..

(مُخْر) ملتفتة إليه: وما علاقة هذا التجويف الذي أحدثته في الأرض بالحديث معي ؟

(سَجْر): أريد أن تختصري الوقت في إحضار الماء لأهلك..

(نَجْر): ليكون الفائض منه لك وأقضيه معك.. أليس كذلك ؟

(سَجْر) والأمل يشع من عينيه:

بلى.. امنحيني هذا الوقت.. أرجوك.. هي فقط ساعتان كل يوم.

(نَجْر): أنت مدرك أنك شخص غير مريح وما فعلته بالأمس واليوم لا يدعو للطمأنينة بل يدفع أي عاقل للنفور منك والهرب مبتعدًا عنك!

(سَجْر): إذا رأيتِ مني شيئًا يسوؤك أو يلحق بكِ الضرر فلا تتحدثي معي بعدها أبداً

(نَجْر): وهل ستعطيني تلك الحرية ؟.. قرار عدم الحديث معك..

(سَجْر): أمنحكِ إياه منذ الآن.. ولن أجبرك على شيء!

(نَجْر): لن تستاء إذًا أو تلومني لو طلبت منك أن ترحل وأن لا تريني وجهك مرة أخرى ؟

(سَجْر) بحزنٍ شديد:

لن أحشد الحروف لمحاربتك لكني سأسخر آهات قلبي لعتابك..

ابتسمت (نَجْر) لذلك الشاب المستميت لقضاء الوقت معها وبالرغم

من كل ما حدث من أمور غريبة ومفجعة إلا أنها لم تجد في نفسها رغبة في صده وآثرت تلبية رغبته في الحديث معها والتقرب منها.

(نَحْر) وهي تعيد نظرها للتجويف الكبير: ماذا الآن ؟.. لقد سقطت القربة في القاع بعد ما انشقت الأرض ولم أعد أملك وسيلة لنقل الماء.. ثم إن قاع هذه البئر عميق جدّاً ولا أستطيع جلب الماء منها بدون حبل.

(سَجْر) مبتسماً: هذا همٌّ يمكن أن أزيله..

قفز بعدها الشاب في التجويف و(نَحْر) تراقبه مندهشة وخلال ثوانٍ حلق صعوداً ومعه القربة مملوءة بالماء ووضعها على الأرض بجانبها مبتسمًا:

هل من شيء آخر يدخل الرضا والسعادة إلى قلبك ؟

(نَحْر): أمي كانت تقول لي دائماً.. لا تثقي بسرعة بمن يهديك كلمة جميلة..

(سَجْر) يمد يده لها قائلاً: بقدر برودك تجاهي فأنا أحترق شوقاً إليكِ..

(نَحْر): لم أمنحك حق لمسي ولن أفعل ذلك فلا تحاول!

(سَجْر) منزلاً يده الممدودة: لكني حصلت على حق الحديث معكِ أليس كذلك ؟

(نَحْر): أمامي ساعتان تقريباً كي أعود.. تحدث كما تشاء.

جلس الاثنان عند طرف البئر وأرجلهما تتدلى من حافتها وانتظرت (نَحْر) هذا الحديث الذي استمات الشاب لقوله لكنه لم ينطق بكلمة وبقي صامتاً محدقاً بسطح الماء العذب بالقاع.

(نَحْر): أين ذلك الكلام الذي أردت إلقاءه على مسامعي ؟.. لم أنت صامت ؟

(سَجْر) مبتسماً دون أن يحيد بنظره عن قاع البئر الكبيرة:

أصدقك القول لا أعرف ماذا أقول..

(نَحْر): كلامك لتحصل على فرصة الكلام كان جميلاً.. توقعت أكثر بعد ما منحت ذلك الحق..

(سَجْر) منزلاً رأسه مبتسمًا: أنا ممتن لثقتك صدقيني لكن.. لا أدري.. انتظرت وقتًا طويلاً لهذه اللحظة وها أنا أهدرها بغبائي.. اغفري لي !

(نَحْر) بتهكم: يجب أن تجد شيئًا لتقوله فقد أمضينا وقتنا كله في صمت القليل من الوقت الذي بذلت الكثير للحصول عليه.

(سَجْر) رافعاً رأسه للأعلى:

الجو جميلٌ اليوم.. بعض الأجواء تستحق عناقاً.. وهذا أحدها..

(نَحْر) تشاركه النظر للسماء:

لا أرى اختلافاً عن الأمس وقبله.. شمس محرقة وغيومٌ غائبة!

(سَجْر): اليوم مختلف.. بالنسبة لي على الأقل.

(نَحْر): أحب الشتاء أكثر.. أحب برده الذي يدفعني لاحتضان نفسي ولحافي بحثاً عن الدفء.

(سَجْر): أحسد ذلك اللحاف

(نَحْر): على ماذا ؟

(سَجْر): على عناقك له.. شيء أتمنى أن.. لا.. أحلم أن أنعم به يومًا ما..

(نَحْر): لا تتحدث معي بهذه الطريقة.. أنا لست فتاة ساذجة لتغيب عقلها ببعض الكلمات المعسولة..

(سَجْر): لم أقل هذا لخداعك.. عنيت كل كلمة.

(مُخْر): احتفظ بها لنفسك فأنا لا أحب هذا النوع من الحديث.

صمت الاثنان بعدها لدقائق ثم قال (سَجْر): ما رأيك أن نستحم في البئر ؟

(مُخْر) وهي تنهض: أنا راحلة..

(سَجْر) يقف قائلاً: ما الأمر ؟

(مُخْر) تشد مقبض القربة وترفعها على كتفها قائلة: لا تسئ فهمي لكني أفضل توبيخ أبي على البقاء معك الآن..

(سَجْر) وهو يراقبها ترحل وتبتعد: هل سأراكِ غداً ؟

(مُخْر) دون أن تلتفت إليه خلال سيرها: طريقي كما هو ولن يتغير..

عادت الفتاة لمنزلها وسكبت محتوى القربة في المكان المخصص لسقي البهائم كما جرت العادة ثم دخلت بعدها على أمها التي تفاجأت بعودتها مبكراً وقالت:

لمَ عدتِ ؟.. هل انشقت قربتك مرة أخرى ؟

(مُخْر): وكيف علمتِ بأمر القربة ؟.. أنا لم أخبرك عنها بالأمس!

(الأم): أخبرني أبوك وقد كان غاضباً من ذلك جدًّا.

(نَغَر) تجلس أمام أمها وتقول:

وما ذنبي أنا ؟.. هل سيحملني ذنب اهتراء جلدة القربة ؟

(الأم): لا تتحدثي عن أبيك بهذه الطريقة.

(نَغَر) بشيء من الحدة: أي طريقة يا أمي ؟!.. لِمَ تفتعلون المشكلات معي لتوبيخي ؟!.. أنا أقوم بكل ما تطلبونه مني على أكمل وجه بدون أي اعتراض ولا أجد منكم سوى اللوم وعدم الامتنان!

(الأم) بهدوء: أعتقد أنه حان الوقت لتبقي معي في الدار وتتوقفي عن الخروج.. سوف أطلب من أخيك أن يقوم بمهمة إحضار الماء كل صباح ثم يلحق بأبيك في الحقل.

(نَغَر) بعصبية: هل ستحبسينني ؟!.. هل هذا هو حلك بدلاً من الاستماع إلي ؟!

(الأم): أنا أفهمك وأفهم ما تمرين به في هذا العمر وهذا أهم من الاستماع إليك.

نهضت الفتاة وعلى وجهها تجهم شديد وبعض الدموع النازلة من محاجرها وهمت بالخروج..

(الأم): إلى أين ؟!

(مُحْر) دون أن تلتفت على أمها خروجاً من باب الدار: إلى حيث أشاء!

(الأم) محدثة نفسها ببرود وبلا اكتراث: استمتعي بآخر يومٍ لكِ في الخارج..

سارت الشابة النهرية بلا وجهة مبتعدة عن منزلها والضيق قابض على صدرها لأنها أدركت أن الوقت قد حان لقص أجنحتها وتحويلها من حمامة طائرة لدجاجة جاهزة للتفريخ، وهذا لم يكن مفاجأة لها بقدر ما كان حكماً بالإعدام نسيت أنه حُكم عليها به يوم مولدها وقد حان وقت تنفيذه. أخذتها قدماها التائهتان للبئر الكبيرة التي أحدثها (سَجْر) لها على حد قوله وجلست على طرفها تندب حظها بصمت ودموع خرساء.

(سَجْر) من خلفها بنبرة مبتهجة: لقد عدتِ..

(مُحْر): لا تفرح كثيرًا فلن أطيل البقاء!

(سَجْر) وهو يجلس بجانبها: حتى لو كانت لحظة فهي بعداد سنة بقربك..

(نَحْر) ماسحة دموعها بحسرة وانكسار: لن تراني مجدداً بعد هذا اليوم..

(سَجْر) بحزن: أعتذر عن ما بدر مني في السابق لكن لا تعاقبيني بهذا الشكل فأنا لم أقصد

(نَحْر) مقاطعة حديثه والعبرات تخنقها: أنت لست السبب!

(سَجْر): ما الأمر إذاً ؟.. أستطيع مساعدتك صدقيني.. لو كانت الجبال عائقاً أمام لقيانا فسأزيحها بإشارة منكِ.

(نَحْر) وهي تعاود البكاء: ما يعيق حياتي هم من وهبوني إياها ولا أستطيع منعهم أو حتى المحاولة..

(سَجْر): أهلك ؟

(نَحْر): نعم.. لقد اتخذوا قرار دفني حية وهذا حق مكفولٌ لهم ولا أستطيع الاعتراض عليه.. هم لا يفهمون أني لا أستطيع العيش كما يريدون أو كما يريد الجميع.. أريد أن أكون حرة طليقة لكن كيف يهبونني إياها وأنا لست سوى سجينة لرغباتهم وطموحاتهم ؟!

(سَجْر): هم في النهاية أهلك وأعلم بمصلحتك..

(مُحْر): تتفق معهم إذاً ؟

(سَجْر): لِمَ لا تحاولين توضيح مشاعرك لهم ؟

(مُحْر): ما جدوى أن تشرح لخانقك أنكَ تختنق.. ؟

(سَجْر): لعلهم يرون حزنك ويتفهمون ضيقك..

(مُحْر): هم يرونها السعادة بعينها حتى لو لم أشاركهم تلك الرؤية.. هذا مصير الفتيات اللاتي يصلن لعمري.. سأبقى حبيسة إلى أن أتزوج وأنتقل لمنزل سجاني الجديد ولن أتوسل إليهم ليمنحوني حياتي!

(سَجْر): عجباً لساقي الموت ممتدحاً حلاوته.. مهانة عظيمة أن تتوسل لاستعادة شيء تملكه من الأساس..

(مُحْر): أشعر أحيانًا أني أصرخ بلا فم..

(سَجْر): أنا أسمعك وأشعر بألمك.. ماذا يمكنني أن أقوم به لتخفيف مصابك ؟

(مُحْر): لا تقلق علي.. القلب يُكسر مرة واحدة فقط وكل ما يصاب به بعدها مجرد كدمات.. هذا آخر يومٍ في حريتي وقيودي تنتظرني عندما أعود..

(سَجْر): لا تعودي للمنزل إذاً.. ابقي معي

(نَجْر) ضاحكة من خلف دموعها المنهمرة وبتهكم: كي نتحدث في كل تلك الموضوعات التي لا تنتهي ؟

(سَجْر) مبتسماً: ستكونين على الأقل حرة..

(نَجْر): لا.. لا أعرف.. هذا قرارٌ صعبٌ علي اتخاذه خاصة وأنا مشوشة بعواطفي.. بعض الأقوال التي نقولها في لحظة شتات قد تعود يوماً وتهزنا في وقت ثبات.. أمرٌ مثل هذا لو فعلته فقد أندم عليه طيلة عمري!

(سَجْر) يمد ساعديه أمامها كاشفاً عن آثار جروحٍ قديمة حول معصميه:

أنا كنت مثلكِ وقد كسرت قيودي لأجلك.. قومي بالمثل لأجلي..

(نَجْر) متفحصة ندبه: ما هذه الآثار على معصميك ؟.. هل كنت أسيراً في السابق ؟

(سَجْر): سأكون أسيرًا وخادمًا لكِ ولن تحتاجي شيئًا من عالمك.. فقط أعطيني الفرصة.

(نَهْر): عالمي ؟

(سَجْر): ابقي معي أرجوك..

لم تستطع الشابة النهرية مقاومة الحب والحنان اللذين كانا يفيضان من عيني (سَجْر) ولمست الصدق في نبرة صوته ونظرات عينيه فهزت رأسها بالموافقة قائلة:

«حسناً سأبقى معك..»

لم يصدق (سَجْر) ما سمعه وأمسك بها وشدها لصدره معانقاً وهو يصرخ بسعادة: لن تندمي على هذا القرار!

(نَهْر) وأحزانها تتبخر خلف ضحكة أطلقتها لحماسه:

فقط لا تحلق بي للسماء كما فعلت آخر مرة دون إخباري مسبقاً..

(سَجْر) ضاحكاً: أعدك بأني لن أفعل!

(نَهْر): بالمناسبة أريد أن أبوح لك بشيء.

(سَجْر) وهو يفك عناقها وينظر في عينيها: ما هو ؟.. يمكنكِ إخباري أي شيء!

(نَحْر) بخجل: لقد رفضت عرضك بالسباحة في البئر لأني لا أجيد السباحة فقط وليس لأني لم أكن راغبة في ذلك..

(سَجْر) مبتسماً: كان يمكن أن تقولي هذا بدل الرحيل وتركي مهموماً وشعور الذنب يأكلني.

(نَحْر): لا أعرف.. وجودي معك وترني قليلاً..

(سَجْر): وماذا عن الآن ؟

(نَحْر): مشاعري تبدلت وحلت مكانها مشاعر مختلفة..

(سَجْر): أفصحي عنها.. لا تحرميني لذة الاستماع إليها!

(نَحْر): هي أكبر من أن أبوح بها لكنها أصبحت كالقيود التي كانت تقيدني بأهلي وباتت الآن تقيدني بك..

أمضت الشابة النهرية ثلاثة أيامٍ مع (سَجْر) عند البئر الكبيرة قضتها معه في سعادة لم تتوقعها فقد كان يقدم لها كل ما من شأنه أن يسعدها أو يرسم الابتسامة على وجهها حتى وإن أخفق دون قصد كانت تستمتع بمحاولاته المستميتة لإرضائها ومع الوقت ومضي ما يقارب الأسبوع على بقائهما معاً بدأت تميل مشاعرها نحوه بشكلٍ

أكبر من السابق لكن تلك المشاعر صارعت شعوراً آخر نما داخلها وهو شعور الذنب وتأنيب الضمير لما فعلته وما سيترتب عليه من آثار على أسرتها.

(سَجْر) وهو يمد لها قطعة من القماش الملفوف: خذي..

(نَحْر) وهي تأخذها من يديه مبتسمة:

ماذا أحضرت لي اليوم ؟.. طعاماً غريباً كالعادة ؟

(سَجْر): كنت أظنك تحبين الأطعمة التي أحضرها لكِ!

(نَحْر) ضاحكة: لم أقل بأنها لم تعجبني لكنها غريبة ولم أتذوق مثلها من قبل.. مثل تلك الفاكهة الحمراء المشعرة التي أحضرتها لي بالأمس.

(سَجْر): ألم يعجبكِ مذاقها ؟

(نَحْر) مبتسمة: بلى.. أنا لا أتذمر.. حاول أن تفهمني.. أنا فقط.. انسَ الأمر.

(سَجْر): على أي حال ما يوجد في هذه اللفة ليس فاكهة ولا طعاماً.

(نَحْر) بحماس لمعرفة ما في اللفة: ما هو إذاً ؟

(سَجْر) مبتسمًا: لن تعرفي إلا إذا كشفتِ الغطاء عنها..

باعدت (نَجْر) طبقات القماش حتى كشفت عن ما كانت تغطيه لترى زهرة زرقاء جميلة جدّاً..

(سَجْر) متابعًا نظراتها للزهرة بترقب: هل أعجبتكِ ؟

(نَجْر) وأعينها تحدق بتفاصيل تلك الزهرة الجميلة بابتسامة شابها بعض الحزن: أكثر مما تظن.. إنها جميلة.. جميلة جدًّا يا (سَجْر)..

(سَجْر): لِمَ أرى في عينيك عكس ذلك ؟

(نَجْر): لا أبدًا.. لا تسئ فهمي.. كنت أتخيل فقط كيف يمكن لشخصٍ أن يعيش بمكانٍ ينتشر فيه مثل هذا الجمال.. ما اسم المكان الذي أحضرتها منه ؟

(سَجْر): معظم مواطن الجمال تمضي بلا مسمى.. هذه الزهرة تنمو في مكانٍ بعيدٍ عن هنا.. منطقة غير مأهولة..

(نَجْر) ملتفتة إليه: هل يمكننا أن ننتقل ونقيم هناك ؟

(سَجْر) بتعجب: لِمَ تريدين الرحيل عن أرضنا ؟

(نَحْر): أرضنا هي التي نكون فيها معاً.. هذه الأرض تحمل ذكريات مؤلمة لي وأريد نسيانها..

أحلم بالخروج من هذه المدينة.. ليس كرهاً فيها لكن عشقاً لفراقها وترك كل الماضي ورائي.. أريد حياة جديدة بعيدًا عن هذا المكان.. هل تستطيع تحقيق ذلك لي يا (سَجْر) ؟.. هل تستطيع ؟

أنزل (سَجْر) رأسه وكأنه عاجز عن تنفيذ طلبها..

(نَحْر): ما بك ؟.. هل طلبي صعبٌ لهذا الحد ؟

(سَجْر): لا ولكن يجب أن آخذ الإذن..

(نَحْر): الإذن مِن مَن ؟

(سَجْر): سوف أحقق رغبتك حتى وإن كان ثمن ذلك أن أنبذ وأنفى!

(نَحْر) باستغراب: عن ماذا تتحدث ؟.. إذا كان الأمر صعباً أو سيلحق بك أي ضرر فأنا لا أريده.

(سَجْر): لا تقلقي.. سأحتاج أن أغيب عنكِ يوماً واحداً فقط وسأعود بعدها لنرحل حيث تشائين.

(نَحْر) ممسكة بذراعه: لا!.. لن أطيق فراقك ليومٍ كاملٍ.

(سَجْر) مبتسماً: هذه أول مرة تبادرين بمسي..

(نَحْر) وهي لا تزال ممسكة بيده: أرجوك.. لا ترحل.

(سَجْر) ممسكاً يدها ومقبلاً كفها: يوم واحد.. وسأكون معكِ بعدها للأبد..

قفز (سَجْر) في البئر العميق وغطس في الماء ولم يخرج مرة أخرى فوقفت (نَحْر) عند طرف التجويف تنادي عليه بصوتٍ مرتفع لكنه لم يجب عليها وخلال ندائها له سمعت صوتاً يحدثها من الخلف بنبرةٍ هادئة وحانقة:

«أخيراً وجدتكِ..»

أدارت الشابة النهرية نظرها نحو الصوت الذي حدثها لتفاجأ برؤية أبيها يقف خلفها بوجهٍ عابس فقالت: أبي ؟

(الأب): نعم أبوك.. أبوك الذي أمضى الأيام الفائتة في البحث عنكِ.. ماذا تفعلين هنا ؟

صمتت (نَحْر) خجلاً منه ولم تجبه أو ترد عليه..

تقدم أبوها نحوها حتى أصبح أمامها مباشرة ووجهه قريب من وجهها وقال:

لقد ألحقتِ بي العار.. لِمَ فعلتِ ذلك ؟

(نَخْر) ورأسها منزلٌ للأرض خوفاً وخجلاً من أبيها: سأعود معك يا أبي..

(الأب): لا.. لقد انتشر خبر هروبك من المنزل في المدينة وأصبحتِ حديث الصالح والطالح فيهم.. عودتك لن تمحو السواد الذي لطخ وجوهنا.

(نَخْر): ما الذي سيرضيك يا أبي ؟.. سأفعله مهما كان..

(الأب): أن لا أراكِ مرة أخرى.. سأكذب على أمك وأقول لها بأن السباع أكلتك كي لا تموت بحسرة هروب ابنتها، لكن لا تظهريني أمامها بمظهر الكاذب وتعودي يوماً لنا.. يكفي خيبتها وخيبتنا فيك.

(نَخْر) رافعة نظرها لأعين أبيها الخائبة منها:

لا تقلق يا أبي لا يهون علي أن تكذب لأجلي..

استدارت (نَخْر) وقفزت في البئر العميقة خلفها وأبوها يراقبها

بخليطٍ من الصمت والغضب والحزن الشديد. راقب الأب ابنته وهي تصارع الموت غرقاً لدقائق ولم يرحل حتى رآها تطفو على سطح الماء..

ومنذ ذلك اليوم أصبحت مياه (برهوت) سوداء عفنة لا تصلح للشرب أو السقي وانتشرت منها وبسببها أمراضٌ قضت على الحياة في رقعة كبيرة حولها، بالإضافة للحوادث الكثيرة التي رُويت عن من يقترب من هذه البئر المشؤومة فمنهم من يُفقد بلا سبب ومنهم من يفقد عقله ويعود مجنوناً منها، ناهيك عن عشرات الدواب التي ما أن تشم ريحها حتى تجري صوبها وتقفز في قاعها المظلم مكبدة الرعاة خسائر جمة. ويقال إن صوت (سَجْر) لا يزال يُسمع من وقتٍ لآخر ليلاً وهو يبحث باكياً عن (نَحْر) ويقتل كل من يقابله خلال بحثه عنها.



الناعق الأسود

(كُميت): هذه كانت إحدى القصص الكثيرة التي انتشرت عن نشأة بئر «برهوت»..

(رافدة): قصة تصيب بالهم والغم!

(عوراء): وهل سنذهب لتلك البئر المخيفة يا عمة ؟.. (سَجْر) قد يقتلنا.

(نافجة): غالباً هي مجرد خرافة مثل بقية الخرافات التي رويت عنه.

(كُميت): أيًا يكن يا قائدة فهذه البئر لا يُنقل عنها إلا السوء والموت يحوم حولها ويصيب من يقترب منها!

(نافجة): هي وجهتنا ولن نحيد عنها..



(رافدة): الشيء الجميل في هذه القصة أنها أكدت لي ما كنت مؤمنة به منذ زمن طويل

(كُميت): وهو ؟

(رافدة): أن الحب لا يأتي إلا بالمصائب..

(كُميت): أتفقُ معكِ يا أختي.

(نافجة) بتهكم: تتحدثان وكأنكما عاشقتان.. هل جربت إحداكُما الحب من قبل كي تتهماه بجلب المصائب أم أنكُما ترددان ما تسمعانه فقط ؟

(عوراء): أنا لن أواجه هذه المشكلة لأني لن أقع في الحب أبدًا.

(نافجة) ترفع رأس الصبية عن حجرها وتجلسها بجانبها وتقول لها: ما هذا الكلام يا حمقاء ؟

(عوراء) وهي تشير لندبتها الكبيرة: ماذا يا عمة ؟.. هل ترين أحدًا يمكنه أن يقع في حب فتاة بهذا الوجه ؟

(نافجة): لن أخوض معكِ هذا السجال مرة أخرى ولن أدافع عن فكرة أنتِ مقتنعة بها.. الجميع سيرونك كما ترين نفسك.. لكن تذكري أن الجمال الخارجي ليس كل شيء.



(كُميت): الجمال الخارجي قد لا يكون كل شيء لكنه شيء.. شيء مهم للغاية..

(نافجة): أهم من جمال دواخلنا ؟

(رافدة): لن يتوقف أحد عن المسير لاكتشاف جمال روحك إذا لم يوقفه جمال وجهك.. هذه حقيقة يا عمة لا تنكريها!

(نافجة) وهي تنظر في وجوه بناتها المكسورات: لم أكن أعلم أني محاطة بمجموعة من المنهزمات..

(رافدة): ألم تريدي مكاشفة ؟.. ها نحن نتكاشف ونقول ما في صدورنا وأنتِ تعاتبيننا على ذلك.

(نافجة) بعصبية: ولو كان الأمر بيدي لعاقبتكن أيضًا!

(عوراء): أنتِ لا تزالين عزباء يا عمة فلمَ تلومينا ؟

(نافجة): هذا لا يعني أني لم أقع في الحب من قبل..

(كُميت): من كان ؟

(نافجة): هل تظنين أني سأبوح بذلك لأمثالكُنَّ ؟

(رافدة): وما الذي يعيبنا ؟

(نافجة): أنتُنَّ لا تؤمنَّ بالحب فلمَ أحكي لكنَّ عنه ؟

(كُميت): نحن لم نقل ذلك.. عبرنا فقط عن أن الحب لم يخلق لأمثالنا.

(نافجة) بتجهم: ماذا تقصدين بأمثالكُنَّ ؟

(عوراء): قبيحات..

(رافدة): أنا لم أقل بأني قبيحة.

(نافجة): ماذا إذاً يا حمقاء ؟

(كُميت): ما تقصده (رافدة) أننا من متوسطات الجمال فقط.

(نافجة): ماذا عن الصبية ؟.. هل تظنان أنها قبيحة ؟

صمتت الفتاتان ولم تردّا عليها..

(نافجة) وقد بدأت تغضب:

ما بكُما ؟!.. لِمَ صمتُّما ؟!.. أخبراها أنها قبيحة وليست مثلكما من «متوسطات» الجمال!

(رافدة): لننهِ الموضوع يا عمة كي لا يتحول لعراك.

(نافجة) بعصبية: لا يوجد أقبح منكُنَّ!.. تكرهن أنفسكن وتستغربون كره الناس لكُنَّ!

بعد هذا النقاش المحموم ساد التوتر والصمت في المكان ولم يتحدث أحد لفترة طويلة لكن (عوراء) وهي أقل المتأثرات بما حدث أشارت بسبابتها لأثر حرقٍ أسفل ذقن (نافجة) وقالت: ما هذا يا عمة ؟

(نافجة) تضرب سبابتها لتبعدها عن وجهها وتقول بتجهم: كي..

(عوراء): من عاقبك بالحرق ؟

(كُميت): هذا علاج وليس عقاباً..

(عوراء) لـ(كُميت): كل الحروق بجسدي كانت عقاباً ولم يكن أيٌّ منها علاجاً.

(رافدة): هل ما زلتِ غاضبة منا يا عمة ؟

(نافجة) وهي تزفر: أنا فقط متحسرة أن فتياتٍ مثلكُنَّ يفكرن بتلك الطريقة!

(رافدة): الأمر ليس بهذا السوء يا عمة.

(نافجة): معكِ حق فهو أسوأ..

(كُميت): نحن آسفات يا قائدة.

(نافجة): لا تعتذرن مني.. انسين ما حدث وتذكرن كلامي فقط.. اعشقن أنفسكُنَّ فلن يعشقها أحدٌ مثلكُنَّ.. ولا ترهنَّ حب أنفسكُنَّ بحب غيركُنَّ لها.. لقد قلتها سابقاً له وسأقولها مرة أخرى لكُنَّ.. «لن أكره حياتي بسببك ولن أحبها لأجلك..»

(عوراء): قلتِها لمن يا عمة ؟

سكتت العرجاء بوجهٍ محتقن وأشاحت بنظرها جانبًا ولم تجب عليها..

(رافدة) لـ(عوراء) وهي تبتسم:

توقفي عن الكلام مع العمة قبل أن تفقدي عينك الأخرى.. ألا ترين أنها مختنقة منكِ!

(عوراء): مني أنا ؟.. ماذا فعلت لها ؟!

(كُميت) وهي تسحب الصبية بعيداً عن (نافجة): اجلسي بجانبي..

(عوراء) وهي تجلس بجانبها: لكني أريد أن أبقى بجانب العمة.

(نافجة): وهي تُشيح بوجهها المحتقن عن أعينهنَّ المراقبة لها:

هذا المكان خانق.. أرغب في الخروج للعراء..

(رافدة): ماذا عن المبيت ليلة هنا ؟

(نافجة) تستلقي مديرة ظهرها للفتيات: لم يبقَ على الفجر الكثير.. سأصبر.

أشارت (كُميت) لبقية الفتيات بأن تقفا وتتبعاها خارج المكان تاركات العرجاء تنام وحدها..

(رافدة) بعد أن دخلن قاعة مجاورة لبهو القصر وبصوت خفيض: لمَ خرجنا ؟

(كُميت): القائدة اكتفت من مضايقاتنا لها لهذا اليوم.. لنتجول في القصر قليلاً حتى يغلبنا النعاس.

(عوراء): لكن العمة منعتنا من ذلك!

(رافدة): أنا موافقة.. لن نبتعد كثيراً.. هل أنتِ معنا يا صبية أم تريدين العودة للعمة ؟

(عوراء) بتردد: لا.. سأذهب معكما.

(كُميت) لـ(رافدة): ألم تقولي بأنكِ تريدين رؤية الحوض الرخامي الذي استخدمته الملكة للاستحمام ؟

(رافدة) بحماس: بلى!.. لكن أين يمكن أن نجده ؟

(عوراء): العمة ذكرت أنه في غرفة العرش لكنها منعتكُما من الذهاب.

(كُميت): نظرة سريعة لن تضر.

(رافدة) متوجهة لبابٍ كبير في القاعة: هيا لنبحث عنه.. ربما يكون خلف هذا الباب

(كُميت) تمسك الصبية من ذراعها قائلة: لا تقلقي.. فقط كوني بجانبي

(عوراء) بتوتر وهي تسير خلفها: حسناً..

بعد بحثٍ لم يدم طويلاً وجد الثلاث غرفة العرش ودخلنها وبالرغم من ظلمة المكان إلا أنهن تمكنَّ من تحديد موقع الحوض الرخامي ووقفن بجانبه يُمعنّ النظر فيه بصمت.

(رافدة): إذاً هنا قضى كل الأطفال المساكين نَحبَهم..

(كُميت): أكاد أشتم رائحة دمائهم المخلوطة بالحليب!

(عوراء) بخوفٍ شديد: هيا لنخرج من هنا!

(رافدة) بسخرية: هل أنتِ خائفة ؟

(عوراء) وهي تصرخ: بالطبع أنا خائفة ؟!.. هل قلباكما ميتان!

(كُميت) ضاحكة: هيا لنخرج من هنا قبل أن تفضح أمرنا بصراخها!

(رافدة) مستوقفة (كُميت) وهي تشاركها الضحك: انتظري.. ألم تقل العمة إن الملكة ماتت في سجن القصر ؟.. هل يا ترى لا يزال رفاتها موجوداً في السراديب ؟

(عوراء) بعصبية خالطها رغبة في البكاء: إياكِ أن تفكري بذلك!

(رافدة) كاتمة ضحكتها: أفكر بماذا ؟

(عوراء) تتفلت من (كُميت): افعلا ما تشاءان أنا عائدة للعمة!

(رافدة) لـ(كُميت) وهي تضحك بقوة:

هيا لنلحق بها قبل أن توقظ العمة وتكون عاقبتنا وخيمة!

(كُميت) ضاحكة: هيا بنا!

خرجت الاثنتان من غرفة العرش للقاعة التي أتين منها ولم تريا الصبية فقالت (رافدة): يبدو أنها تجري بسرعة.. لنسرع قبل أن تصل للعمة!

بعد وصولهما للبهو لم تريا سوى العرجاء على حالها نائمة..

(كُميت) باستغراب: أين ذهبت ؟

(رافدة): لا يوجد طريق آخر يمكنها أن تسلكه غير الذي أتينا منه!

(كُميت) وهي تشير لبوابة القصر الحديدية التي دخلن منها وقد انفرجت قليلاً:

ألم نغلق تلك البوابة بالكامل عند وصولنا ؟

(رافدة) بتوجس: بلى.. لم تكن هكذا عندما تركنا المكان..

(كُميت): هل تظنين أن أحدًا دخل أم أن أحدًا قد خرج ؟

(رافدة): لا يوجد سوى طريقة واحدة لمعرفة ذلك

سارت الاثنتان بحذرٍ شديد نحو بوابة القصر المفتوحة جزئيًّا وعند وصولهما لها أطلتا برأسيهما ولم تريا سوى الباحة المفتوحة التي توسطها التمثال الرخامي للملكة الحمراء.

(رافدة) بصوتٍ خفيض ونظرها للخارج: هل نغلق البوابة ؟

(كُميت) وهي تشاركها النظر وبنبرة صوت مماثلة: ماذا عن (عوراء) ؟

(رافدة): ماذا تقترحين ؟

أخذت (كُميت) خطوة للخارج وهي تقول: يجب أن نتحقق من أنها لم تخرج..

(رافدة) وهي تتبعها: هذه الصبية لا تنفك عن إثارة المشكلات!

تجولت الاثنتان في الباحة وبحثتا في كل مكان وانتهى بهما المطاف تحت التمثال الكبير وهما في حيرة من أمرهما.

(رافدة) بتعجب: أين من الممكن أن تكون قد ذهبت ؟

(كُميت): قد لا تكون خرجت من الأساس.. لنعد للداخل قبل أن تستيقظ العمة وتغضب منا.

قبل أن تتقدم واحدة منهما تجاه بوابة القصر سمعتا نعيقاً آتياً من فوق رأسيهما فوجهتا أنظارهما نحوه لتريا غراباً أسودَ يقف على رأس تمثال الملكة الحمراء.

(رافدة): نعيقه فأل شؤم..

(كُميت): هل أنتِ ممن يؤمنون بهذه الأمور ؟

(رافدة) موجهة نظرها لـ(كُميت): الجميع يعرفون أن نعيق الغراب مؤشر لاقتراب موت أحد.

(كُميت) وهي لا تزال تنظر للغراب: لم أتربَّ على هذا الكلام.. لا تلوميني إذا لم أشاركك تشاؤمك.

(رافدة) بتهكم: فقط خذي الحذر فقد يكون هذا النعيق ينادي عليكِ!

في تلك اللحظة اتسعت عينا (كُميت) وشدت (رافدة) وألقت بها على الأرض واستلقت بجانبها وقبل أن تسألها عن السبب شاهدت سهماً يخترق الرمال حيث كانت تقف فنظرت إليها قائلة:

«ما هذا ؟!.. ما الذي يحدث ؟!»

لم ترد (كُميت) لأنها بدأت بالزحف بسرعة نحو التمثال للاحتماء خلف قاعدته الرخامية العريضة وأشارت لـ(رافدة) باللحاق بها. بعد أن وصلتا وأسندتا ظهريهما لقاعدة التمثال كررت الفارسة الهجدانية سؤالها فأجابتها (كُميت) وهي تحاول اختلاس النظر لرؤية الرامي: هناك من يحاول قتلنا!

(رافدة): هذا أمر جلي!.. سؤالي هو من ولماذا ؟!

مر سهمٌ خاطف آخر أمام وجه (كُميت) عندما حاولت النظر من خلف التمثال ولسرعة حدسها لم يصبها نصل السهم إلا بخدشٍ فوق أنفها فعادت وأسندت ظهرها لقاع التمثال مرة أخرى بجانب أختها مخرجة قوسها وسهماً من سهامها وهي تقول: إنه جيد..

(رافدة) بقلق: هل تستطيعين التغلب عليه ؟

ضرب سهمٌ آخر مكاناً قريباً من أقدامهما بالرغم من أن قاعدة التمثال كانت عريضة جدّاً وكافية لمنع أي ضربة مباشرة نحوهما لكن ذلك السهم فيما يبدو قد أطلق بطريقة مكنته من الالتفاف حول التمثال وإصابة الهدف خلفه.

(رافدة) بتعجب وهي تنظر للسهم المغروس أمامها والذي كاد يصيب ساقها: كيف يستطيع لف السهام بهذا الشكل ونحن محتميتان خلف التمثال ؟!

(كُميت) تشد سهمها على وتر قوسها قائلة: لقد وصل إلى مرحلة متقدمة في تقويس اتجاه الأسهم.. أحسده على هذه المهارة.. أطمح للوصول إليها يوماً ما.

(رافدة) بتهكم خالطه سخط وعصبية شديدة:

نحن ممتنون لتقويمك له!.. هل يمكنك التخلص منه الآن ؟!

(كُميت): سأحاول..

قبل أن تستدير الحجازية لتحاول رمي سهمها تجاه من يهاجمهما انطلقت نحوهما مجموعة كبيرة من السهام هبطت أنصال معظمها في مواقع قريبة جداً من جسديهما لكنها لم تصب أي واحدة منهما.

(رافدة) وهي تضغط بظهرها أكثر نحو القاعدة الرخامية من التوتر: السهام تأتي من عدة زوايا مختلفة أعتقد أنهم أكثر من رامٍ!

(كميت) وهي تشد سهمها مرة أخرى: لا.. رامٍ واحد فقط لكنه سريع.. سريع جدّاً

(رافدة): هل تستطيعين إصابته دون رؤيته ؟

حاولت الحجازية اختلاس النظر مرة أخرى لكنها ما أن أطلت بطرف خمار رأسها حتى مر سهمٌ من خلاله فعادت بسرعة لتحتمي من جديد بعد ما تمكنت من أخذ لمحة سريعة للرامي..

(رافدة): لِمَ لم تطلقي سهمك عليه ؟

(كُميت): لقد حددت موقعه لكني لا أستطيع الخروج أمامه لوقتٍ



كافٍ لإطلاق سهمي تجاهه لأنه سيصيبني بلا شك قبل أن أصيبه فهو أسرع مني بكثير!

(رافدة): هل معنى ذلك أننا أصبحنا في عداد الأموات ؟

(كُميت): ليس بالضرورة.. كل ما يلزمني هو لحظة واحدة فقط يفقد فيها تركيزه ويتشتت انتباهه عني لأتمكن من إصابته إصابة قاتلة.. أحتاج تضليلاً من نوعٍ ما.

(رافدة): تضليلاً مثل ماذا ؟

وجهت (كُميت) أنظارها لـ(رافدة) وأوحت لها دون أن تتكلم بأنها هي الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تستخدماها كتضليل للفت انتباه ذلك الرامي..

(رافدة) بتوترٍ شديد خالطته بعض العصبية: هل جننتِ ؟!.. ألم تقولي بأنه رامٍ بارع ؟! سوف يسقطني بمجرد خروجي أمامه..

(كُميت) بثقة: أعدك بأني سأصيبه قبل أن يصيبك.. أحتاج فقط لحظة واحدة يتشتت فيها تركيزه وسيكون سهمي في قلبه.

(رافدة) بقلق: ألا توجد طريقة أخرى كأن أرمي سيفي تجاهه مثلاً ؟

(كُميت): لن يكون هذا كافياً لتشتيت رامٍ بارع مثله.. صدقيني فأنا أعرف.

(رافدة) بعصبية: هل تفعلين ذلك لأني تكلمت عن لثامك ؟!.. هل تحاولين الانتقام مني!

(كُميت) مبتسمة: أقسم لكِ إنه لن يمس شعرة من رأسك..

(رافدة) على مضض: حسناً.. لكن تذكري شيئًا واحداً!

(كُميت): ما هو ؟

(رافدة): أني لن أسامحك لو حدث لي مكروه.. فقلبي أسود واسألي العمة!

(كُميت) مبتسمة: لن أسمح لذلك بالحدوث.. انتظري فقط إشارتي قبل أن تنطلقي.

وقفت (رافدة) بتوتر شديد تنتظر إشارة (كُميت) لها بالانطلاق..

قبل أن تُعطي الإشارة خرجت (عوراء) من الفرجة الصغيرة لبوابة القصر وبعد رؤيتها لأختيها عند التمثال جرت نحوهما ملوحة بيدها باسمة وهي تنادي عليهما بصوتٍ مرتفع:

أنتُما هنا وأنا أبحث عنكُما بالداخل ؟!.. ما الأمر لِمَ خرجتما ؟!

بدأت (رافدة) تصرخ فيها بأن لا تقترب منهما لكن الصبية لم تفهم مضمون تحذيرات أختها وقبل أن تصل إليها اخترق سهم من سهام الرامي المتربص عنقها أتبعه بآخر في صدرها وثالثٍ ورابعٍ حتى سقطت على الأرض. همت (رافدة) بالجري نحوها لكن (كُميت) المستلقية على الرمال أمسكتها من ساقها صارخة فيها:

لا تفعلي!.. ستلحقين بها!

جلست الهجدانية وهي تبكي على أختها و(كُميت) تشاركها حزنها بصمت..

خلال حزنهما تحدث الغراب الواقف على رأس تمثال الملكة الحمراء قائلاً:

«ليس من الضروري أن يموت غيرها.. أنا هنا لقتل شخصٍ واحدٍ فقط.. أين العرجاء ؟»

(كُميت) هامسة لـ(رافدة): الغراب هو عيناه اللتان يرى بهما..

(الغراب): لا خصومة لي معكما.. دلاني عليها وسأعفو عنكما.. أين هي ؟

(كُميت) بصوتٍ مرتفع للغراب: نحن لا نعرف عن من تتحدث!..
لِمَ أنت متيقن أنها معنا ؟!

(الغراب): لأن عيني في السماء رأتها معكما وأنتُنَّ تسرنَ في القافلة نفسها.. وآثار دوابكُنَّ قادتني إلى هنا.. والآن.. أين هي ؟!

(رافدة) وهي تراقب (عوراء) الملقاة على بعدٍ أمامها ولا تزال مصدومة مما تراه: لقد ماتت.. لقد تسببنا في موتها..

(كُميت) وهي تشد سهماً على قوسها وتوجهه نحو الغراب:

وسنموت نحن أيضاً إذا لم نوقف هذا الرامي..

أطلقت الحجازية سهمها ليخترق رأس الغراب ويسقطه ميتاً..

(الرامي) من بعيد خلف التمثال: كما تشاءان!.. سأقتلكُما وسأجدها بنفسي!

(رافدة) وهي تقف ماسحة دموعها:

استعدي يا حجازية لقتل ذلك الحقير.. أصيبيه بين عينه.. هل تفهمين ؟!

(كُميت) وهي تشد سهماً آخر على قوسها: هذا ما أنوي فعله..

استدارت (رافدة) واستعدت للخروج من خلف التمثال والتوجه نحو الرامي للفت انتباهه لوقتٍ كافٍ لتتمكن (كُميت) من توجيه ضربة قاتلة له وبالفعل بدأت الفارسة الهجدانية بالجري وهي تصرخ تجاهه وفي اللحظة نفسها تدحرجت الرامية الحجازية المستلقية على الأرض وأخذت موقعها كاشفة بدورها عن نفسها وأطلقت سهمها تجاه الرامي.

فتحت (كُميت) عينيها صباح اليوم التالي عندما وقعت أشعة الشمس على أجفانها. جلست ببطء واضعة كفها على رأسها لترى (رافدة) مستلقية على بطنها بجانب التمثال حيث بدأت الانطلاق. نهضت بسرعة وجرت نحو أختها والفزع يجتاح صدرها بأنها قد تكون أخطأت في إصابة الرامي وتمكن هو من إصابتها لكن وما أن قلبتها على ظهرها حتى أفاقت ونهضت هي الأخرى مفزوعة وهي تقول: ما الذي حدث ؟!

(كُميت): كنت سأسألكِ السؤال ذاته..

(رافدة) ملتفتة خلفها حيث كان الرامي: هل رميتِه ؟

(كُميت) تشاركها النظر:

سهمي انطلق.. لكن لم أبقَ مستيقظة لأرى إذا كان قد أصابه أم لا..

(رافدة) موجهة نظرها لأختها: هل فقدتِ الوعي أنتِ كذلك ؟

(كُميت) تنظر في عيني أختها المتسائلة:

نعم.. هل أطلق ذلك الرامي شيئًا حجب عنا رؤيته ؟

(رافدة) معيدة نظرها لموقع الرامي: لو كان فعل لكنا في عداد الأموات!

(كُميت) وهي تنهض وتسير لموقع الرامي: سنعرف الآن..

نهضت (رافدة) وتبعت أختها وعند وصولها لمكان تمركز الرامي ليلة البارحة فوجئتا بجسده المقطع والموزع في أرجاء المكان. فذراعاه وساقاه كانت ملقاة يميناً ويساراً بالإضافة لرأسه وجذع جسده الذي شُطر لشطرين تمزيقاً.

(كُميت) وهي تراقب تلك الجثة الممزقة: ما الذي حدث هنا ؟

(رافدة) تشاركها النظر قائلة: هل سهمك يمكنه القيام بذلك ؟

(كُميت) تشير لبقعة على الأرض حيث غُرس سهمها: سهمي لم يصبه حتى..

(رافدة) بهدوء: كنتِ ستتسببينَ بموتي إذاً ؟

(كُميت): لقد أخطأت التصويب بسبب ذلك الوميض الذي ظهر فجأة وحجب رؤيتي وأفقدني الوعي بعدها مباشرة!

(رافدة) وهي سارحة في رأس الرامي: رأيت الوميض ذاته قبل أن أفقد وعيي أيضاً!

(كُميت) تستدير موجهة نظرها للتمثال والقصر: ما الذي يحدث ؟

(رافدة) تقترب من رأس الرامي وتقول: لقد كان متنوراً..

التفتت (كُميت) نحو أختها ثم سارت ووقفت بجانبها ونظرت لرأس الرامي المفصول وشاهدت سبع نجوم موشومة على خده الأيمن وقالت: من يا ترى فعل ذلك به ؟

(رافدة): لنعد ونخبر العمة..

(كُميت): ماذا عن (عوراء) ؟.. هل ستخبرين العمة بما حدث لها ؟

(رافدة): يجب أن نخبرها..

(كُميت): القائدة سوف ينكسر قلبها عندما تراها ميتة..

(رافدة): لندفنها إذاً قبل إخبار العمة كي لا تُفجع بمنظر جثتها.

(كُميت): فكرة حسنة..

سارت الاثنتان عائدتين وعند تجاوزهما التمثال لم تشاهدا في الأفق جثة (عوراء) فجرتا مسرعتين للمكان الذي سقطت فيه وتوقفتا عنده تنظران للأرض التي وقعت عليها مستغربتين بشدة.

(رافدة): هل تخيلنا ما حدث ؟

(كُميت) تنزل على ركبها وتقبض حفنه من الرمال:

لا.. دماؤها الجافة المختلطة بالرمال تثبت ما رأيناه.. هناك من أخذ جثتها.

(رافدة): لماذا ؟.. وإلى أين ؟

(كُميت) تجول بنظرها حولها خلال نهوضها:

يجب أن نبلغ العمة في الحال فقد يكون هناك متنور آخر في المكان.

بعد دخولهما بهو القصر لإيقاظ (نافجة) وإخبارها بما حدث صعقتا لرؤية (عوراء) مستلقية بجانبها وهي عارية.

(رافدة) بذهول: من وضع جثتها بجانب العمة ؟

(كُميت) تمرر كفها عند أنف الصبية وتقول بتعجب واندهاش: إنها نائمة..

(رافدة): ماذا ؟!.. هل لا تزال على قيد الحياة ؟!

(كُميت) تشير لجسد الصبية بصمت: انظري..

أشارت الحجازية للمواقع التي أصيبت فيها (عوراء) بسهام المتنور وقد كانت الجروح قد برئت لكن أثرها موجود كندبٍ حديثة اندمجت مع ندبها وحروقها الأخرى..

صمتت الاثنتان وحدقت كل منهما بالأخرى باندهاش ولم تنطقا بكلمة..

خلال ذلك فتحت (نافجة) عينيها وعند رؤيتها لهما تقفان فوقها والشمس قد أنارت المكان من خلال السقف المفتوح قالت: لِمَ تحدقان بي هكذا كالشياطين ؟

لم ترد واحدة منهما واكتفتا بالتحديق بها..

(نافجة) وهي تجلس: لِمَ لم توقظاني ؟

(كُميت) لـ(رافدة): سوف أحضر قماش إحدى الخيام لأغطيها.

(نافجة) قبل أن تنتبه للصبية العارية المستلقية بجانبها بسبب النعاس الذي لم تستفق منه تماماً: تغطين من ؟

(رافدة) تجثو عند (عوراء) وتهز جسدها بقوة لإيقاظها وخلال ذلك رأتها (نافجة) وقالت بتعجب: لِمَ هي عارية ؟!.. ما الذي حدث خلال نومي ؟!

جلس الجميع معاً بعد ما صنعت (كُميت) رداءً للصبية من قماش الخيمة وألبستها إياه وحكتا للعرجاء كل ما حدث الليلة الماضية.

(نافجة) وهي مشوشة مما سمعت: سمعتكما لكن لم أفهمكما تماماً..

(رافدة): هذا ما حدث يا عمة لم نزد أو نُنقص شيئًا.

(كُميت): نحن أيضاً لا نجد تفسيراً لما حدث!

(عوراء): أنا لا أذكر شيئًا مما تقولانه.. كل ما أتذكره هو أني عندما تركتكما عدت إلى هنا ونمت بجوار العمة لأني شعرت بالخوف بعد رؤية الحوض الرخامي!

(نافجة): أين هذا المتنور الذي تقولان بأنه هاجمكما ؟

(رافدة): بالخارج خلف التمثال..

(نافجة) وهي تسحب عكازها: لنذهب ونرَ..

ركب الجميع دوابهن التي كانت مربوطة في أحد أركان البهو وخرجن بعد فتح البوابة بالكامل وسرن حتى وصلن لجثة المتنور الممزقة.

(نافجة) من فوق (الغبساء) وهي تشاهد رأس المتنور: سبع نجوم..

(رافدة) من فوق (الشيم): هذا يعني أن المتنور الذي قابلناه في سوق الحجاز سيأتي في أثرنا الآن

نزلت (كُميت) عن دابتها تاركة (عوراء) عليها بعد ما انتبهت لشيء ملقى على الرمال..

(نافجة) لـ(كُميت): لِمَ ترجلتِ عن دابتك ؟

أمسكت الحجازية قوس المتنور ورفعته للأعلى قائلة: هل تسمحين لي يا قائدة بأن أغنم سلاحه ؟

(رافدة): خذيه فلا أظن أن صاحبه سيفتقده..

(نافجة): هل سيكون ذا فائدة لكِ ؟

(كُميت) وهي تتمعن في القوس: هذا القوس مصنوع بجودة عالية

لم أرَ مثيلاً لها من قبل وبلا شك سيكون مفيداً جدّاً.. لكني أحتاج أن أغنم سهامه أيضاً فهي بالجودة ذاتها

(نافجة) وهي تشد لجام فرسها: خذي ما تشائين والحقي بنا..

(رافدة) مستوقفة عمتها: ألن نتحدث فيما حدث يا عمة ؟

(نافجة): ماذا تقصدين ؟

(رافدة) وهي تومئ برأسها تجاه (عوراء) وبصوت مسموع لـ(نافجة) فقط: ما حدث للصبية وكيف لا تزال على قيد الحياة بعد رميها بالسهام وكذلك موت المتنور بهذه الطريقة!

حدقت العرجاء بالصبية التي كانت تلعب بشعر الدابة التي تركب عليها خلال جمع (كُميت) لسهام المتنور المغروسة في الأرض ثم قالت: لا يوجد شيء لنتحدث به.. ولا تثيرا الموضوع معها.. مفهوم ؟

(رافدة): لكن يا عمة..

(نافجة) بصرامة وهي تتوجه لبوابة الخروج : لن أكرر كلامي!

خرجت المجموعة من القصر الأحمر واستأنفت رحلتها جنوباً لحدود «حضرموت»..



الجدعاء

بعد مسيرة ثلاثة أيام وخلال الظهيرة ظهرت في الأفق معالم عمران لمدينة كبيرة فأوقفت العرجاء قافلتها وقالت: لقد وصلنا..

(عوراء): هل هذه «حضرموت»..

(كُميت): هذه أول المدن الشمالية منها.

(رافدة): هل بئر «برهوت» يقع في هذه المدينة يا عمة ؟

(نافجة): لا.. فحسب ما وصفته لي الحجازية فبئر «برهوت» موجود أقصى الشرق وسنحتاج يومين تقريباً لنصل للمنطقة التي يقع فيها، لكن سوف ندخل هذه المدينة للتزود بالمؤن فسوقها من الأسواق الكبيرة والعامرة بالخيرات.

(كُميت): هل زرتِها من قبل يا قائدة ؟



(نافجة): لا لكن سمعتها وشعبية سوقها معروفة وهذه فرصة سانحة لزيارتها.

خلال حديثهن ظهر (زمجد) أمام فرس العرجاء حانياً رأسه:

عذراً على تأخري يا سيدتي..

(نافجة) مبتسمة: أين كنت يا أحمق ؟

(زمجد): لم أستطع الهروب من العاصفة الرملية في الوقت المناسب وتعرضت لإصابة طفيفة استلزمت مني البقاء تحت الأرض لفترة كي أتعافى.. اغفري لي تقصيري..

(نافجة): لقد تدبرنا أمورنا بدونك.. هيا.. لا نريد أن نضيع الوقت.. أريد الوصول للسوق قبل مغيب الشمس.

(عوراء): عمة!

(نافجة): ماذا تريدين ؟

(عوراء): هل أهل هذه البلدة طيبون ؟

(رافدة): ما هذا السؤال الغريب ؟

(عوراء): أريد أن أعرف!

(نافجة) وهي تمعن النظر بالمدينة في الأفق: على الأرجح لا..

(كُميت): كيف عرفتِ يا قائدة ؟.. أنتِ قلتِ للتو إنكِ لم تزوريها من قبل!

(نافجة): لا حاجة لي أن أزورها كي أعرف طباع أهلها..

(عوراء): كيف تعرفين إذاً ؟

(نافجة): الماء يا ابنتي.. الماء.

(عوراء): لم أفهم..

(نافجة): المدينة التي لا تقع على ماء مثل نهرٍ أو بحر أو تشح فيها العيون والآبار أو الواحات المجاورة لها تكون طباع قاطنيها أشد غلظة ونفوسهم أكثر ضيقاً وأصعب معشراً من غيرهم ممن يكون الماء جزءاً من أرضهم ومن حياتهم اليومية، لأن المنطقة أو الأرض الجافة تغشاها الكآبة وأهلها يتطبعون بصفاتها.

(رافدة) بابتسامة ساخرة ونبرة تهكمية:

الحجازية عاشت على أرض مُطلة على البحر وهي ليست حسنة المعشر..

(نافجة) تشد لجام (الغبساء) للتحرك نحو المدينة وهي تقول باسمة: أنتِ آخر من يتكلم عن حسن المعشر يا بدوية..

وصلت قافلة العرجاء إلى سوق المدينة آخر النهار وقبل غروب الشمس تقريباً. تجول الجميع على دوابهن بين الناس عدا (زمجد) السائر على أقدامه أمام (الغبساء) وتزودوا تدريجيّاً بما يحتاجونه ليكملوا رحلتهم نحو بئر «برهوت».

(نافجة) مخاطبة الجميع: هل يحتاج أحدكم شيئًا قبل أن نخرج من المدينة ؟

أجاب الجميع بالنفي فتحركت العرجاء نحو باب المدينة وخلال سيرها لمحت كهلاً يجلس على قارعة الطريق وما لفت انتباهها إليه هو الوشم الكبير على صدره فتوقفت وترجلت عن فرسها وعكزت نحوه وجثت عنده ماسحة بكفها على وشمه بوجهٍ باسمٍ وحزين. تفاجأت الفتيات مما فعلته عمتهن ونزلن خلفها تباعاً ووقفن وراءها وهي تمسح على صدر ورأس ذلك الكهل بطريقة غريبة وكأنها أُم عثرت على طفلها المفقود بعد سنواتٍ من الضياع.

(نافجة) بنبرة تخللها الكثير من الحزن: كيف حال السرب ؟

(الكهل) بصوتٍ متعب ومرهق: لم نعد نُحلق.. أعتقد أني آخر من بقي منهم.

(نافجة) مبتسمة ودمعة تشق طريقها من أحد محاجرها:

أنا وأنت يا رفيق السلاح.. هل تحتاج شيئًا ؟

(الكهل): بعض المال للطعام ؟

أخرجت العرجاء مجموعة من القطع الذهبية التي كانت بحوزتها ووضعتها في كف الكهل وقبضت عليها قائلة:

«ماذا تريد أيضاً ؟»

(الكهل): شيئاً لا يمكن تحقيقه الآن..

(نافجة): قل.. سأسعى لتحقيق ما تريد.

(الكهل): أن أموت في أرض المعركة بكرامة لا على قارعة الطريق من الشيخوخة والمرض.. هل تستطيعين أن تحققي لي ذلك ؟.. هل تستطيعين منحي موتاً مشرفاً ؟

(نافجة): أنت بطل يا عم ومجدك سيُخلد في أذهان كل من خدمتهم ولامست حياتهم..

(الكهل): لا يوجد أبطالٌ على قيد الحياة.. الأبطال الحقيقيون هم من يموتون في أرض المعركة فقط والجبناء هم من يعيشون ليحصدوا أمجادهم..

صمتت العرجاء وأنزلت رأسها قبل أن تنهض من أمامه وتشق طريقها بين بناتها الواقفات خلفها لتركب فرسها وتكمل المسير نحو مخرج المدينة. تبعت الفتيات عمتهن ولم يتحدثن معها إلا بعد تجاوزهم البوابة لمسافة ليست بالطويلة قادتهم لمنطقة صخرية حينها قالت (رافدة):

هل كنتِ تعرفين ذلك الكهل يا عمة ؟

(نافجة) ونظرها للأمام والشمس تغرب عن يمينها:

إنه ‏‏«صرد» عرفته من الوشم المميز الذي يشمون به صدورهم..

(عوراء): صرد ؟

(نافجة): نعم

(عوراء): وما هو الصرد ؟

(نافجة) بضيق: لا شيء.. لنركز على رحلتنا.

قبل أن تغط الشمس بكامل قرصها في الأفق وفي وسط منطقة شبه صخرية خرجت أمام القافلة زوبعة رملية صغيرة دفعتهم للتوقف.

(نافجة): أمر هذه الزوبعة غريب.. فهي لا تتحرك من مكانها!

(زمجد): هذه ليست زوبعة يا سيدتي..

انقشعت الزوبعة كاشفة عن المتنور الذي قابلوه خارج حدود «سوق الحجاز» بعد إنقاذ (كُميت). وقف المتنور مبتسماً بعباءته ذات اللونين الأحمر والأزرق مداعباً خصلته البيضاء المنسدلة من غرة شعره الأسود الطويل.

(عوراء) بحماس: صديقي!

ابتسم المتنور للصبية ثم قال مخاطباً (نافجة): أنا منبهر.. حقاً منبهر.. فما قمتِ به حتى الآن لم يحدث في تاريخنا من قبل.. لم يستطع أحد مقاومة قتلتنا بهذا الشكل.. يجب علينا أن نبدأ باستئجار عرب أكثر لخدمة الطائفة لأنه من الواضح أنكم تملكون قدرات مميزة..

(نافجة) بحنقٍ شديد: العرب ليسوا للسخرة يا فارسي!

(المتنور) مبتسماً: اعذريني لم أقدم نفسي بشكلٍ لائق.. أنا (كلال)..

والبعض يسميني بـ«الحاصد».. لأني أحصد الأرواح كالمزارع الشغوف أول الربيع وقد حان قطافك يا عرجاء..

(نافجة) وقلقها على بناتها يسيطر على تفكيرها: هل ستستغل إرهاقي من السفر للتغلب علي ؟

(كلال) ضاحكاً: وهل تظنين أنكِ تملكين فرصة ضدي سواءً كنتِ متعبة أو بكامل قواك ؟!

(نافجة): لن يضرك إذاً تأجيل حصادك للصبح.. لا يوجد مزارع يحصد محاصيله ليلاً!

(كلال): سأمنحكِ هذا.. خيمي هنا الليلة ولا تتحركي قيد أنملة من مكانك وفي الصباح سآتي لحصد رأسك.

(نافجة): اتفقنا..

هبت الزوبعة مرة أخرى ليختفي (كلال) فيها..

(رافدة) بقلق: عمة..

(نافجة): انصبن الخيام.

(كُميت): بقي معنا خيمة واحدة فقط والأخرى على (عوراء) يا قائدة.

(نافجة) وهي سارحة: أياً كان.. انصبنها.

نفذت الفتيات أمر عمتهن التي بقيت فوق فرسها تراقب غروب الشمس بصمت..

(كُميت) تقترب منها قائلة: لقد انتهينا يا قائدة من نصب الخيمة وأشعلنا ناراً أمامها

(نافجة) دون أن تلتفت إليها:

أحسنتن.. اصطادي لنا بعض الطعام.. أريد أن أتناول وجبة معكُنَّ.

(كُميت): ما الأمر يا قائدة ؟.. تبدين مشغولة البال..

(نافجة): لا شيء.. أحاول أن أستمتع بلحظات الغروب فقط.. هيا لاحقي ما تبقى من ضوء النهار قبل أن تعود الأرانب لجحورها

(كُميت): أمرك

غابت الشمس وافترشت السماء بالنجوم الساطعة ولم تزل العرجاء فوق دابتها تتأمل السماء وبقية الفتيات مجتمعات حول النار يشوين

ما اصطادته (كُميت) من أرانب يراقبن عمتهن باستغراب و(زمجد) يقف عند دوابهن.

(عوراء) وهي تقلب أرنباً على النار: ما بها العمة ؟

(رافدة): أعتقد أن حديثها مع ذلك المتنور هو السبب!

(كُميت): لا.. حديثها مع الكهل هو ما أثر بها أكثر.. لقد رأيت هذا في عينيها.

(رافدة): أياً كان فهذا ليس وقت السرحان.. بعد ما ينقضي الليل سنواجه خصماً مميتاً ويجب أن نستعد..

(كُميت): العمة تترجل عن (الغبساء).. اصمتا ولا تثيرا الموضوع أمامها.

(عوراء): أي موضوع ؟

جلست العرجاء أمام بناتها وعلى وجهها ابتسامة عريضة وبهجة أنارت وجهها ومدت يدها وأخذت أحد الأرانب الناضجة وغرست أسنانها في لحمه وبدأت تمضغه بنهم.

(كُميت) مبتسمة: أتمنى أنه أعجبكِ يا قائدة.



(نافجة) تلعق أصابعها بنهم: هذا أطيب لحمٍ تناولته منذ مدة!

(عوراء): إنه ليس بجنين صغير يا عمة فخذي الحذر.

ضحكت (نافجة) بقوة والفتيات يراقبن تصرفاتها الغريبة بابتسامات مقتضبة..

بعد ما انتهى الجميع من طعامهن جمعت (نافجة) العظام ونهضت وتوجهت لـ(زمجد) الواقف عند الدواب ومدتها له: خذ وتناول عشاءك..

(زمجد) وهو يأخذ العظام من يديها: شكراً يا سيدتي..

عادت العرجاء لبناتها المجتمعات حول النار ووجدتهن يتهامسن بصوتٍ خفيض فجلست أمامهُنَّ قائلة: عن ماذا تتحدثن ؟

نظرت الفتيات بعضهنَّ لبعض بتحرج ثم قالت (رافدة): ما الخطة يا عمة ؟

(نافجة) وهي تلعب بجمرات النار بعصا نحيلة: أي خطة ؟

(كُميت): خطة التغلب على ذلك المتنور الذي سيعود غداً!

(نافجة) تنفخ رأس العصا بعد اشتعالها: لا توجد خطة..

(رافدة): كيف لا توجد خطة ؟

(عوراء): سأتحدث معه فهو صديقي ولن يرضيه أن يلحق الأذى بمن أحب.

(نافجة) ماسحة على رأس الصبية وهي تبتسم:

لن يكون هناك خطط.. سنقضي الليلة فقط معاً ونستمتع بهذا المكان الجميل..

(كُميت): اعذريني يا قائدة لكن.. هل قررتِ الاستسلام ؟

نظرت (نافجة) للحجازية وهي لا تزال مبتسمة دون أن تقول شيئًا..

(رافدة) بنبرة فيها شيء من العصبية: أجيبيها!

(عوراء) بتجهم: لا تصرخي على العمة!

(رافدة) وغضبها يشتد: اخرسي أنتِ!.. أجيبيني يا (نافجة)!.. هل قطعنا كل هذه المسافة لنموت غداً ؟!

(نافجة): لن يموت أحد.. ولن يمسكُنَّ ذلك المتنور.. أعدكُنَّ بذلك.

(كُميت) منزلة لثامها كاشفة عن ابتسامة خفية:

كنت متيقنة من أن القائدة تملك خطة..

(نافجة) تبادلها الابتسام:

وجزء من هذه الخطة هو أن ننام باكراً.. هيا لنذهب للخيمة.

(عوراء): جميعنا ؟.. الخيمة صغيرة!

(رافدة) بتجهم: لا.. ستبقى العمة كعادتها في الخارج فالخيام تخنقها

(نافجة): لا.. الليلة سأبيت معكُنَّ في الخيمة.

(عوراء): ستكون ضيقة علينا!

(نافجة) وهي تهز رأس الصبية: ألا ترغبين في احتضاني ؟!

(عوراء) ضاحكة: بلى!

(نافجة) تنهض مستعينة بعكازها وتهم بالسير نحو الخيمة الصغيرة:
هيا بنا إذاً..

بقيت (رافدة) و (كُميت) تحدقان بعضهما ببعض باستغراب من تصرفات (نافجة) قبل أن تنهضا وتلحقا بها مع (عوراء). حملت

العرجاء عصا طويلة وبدأت برسم دائرة في الرمال حول الخيمة وخلال قيامها بذلك سألتها (كُميت):

ماذا تفعلين يا قائدة ؟

(نافجة) وهي تغلق الدائرة التي رسمتها على الرمال حول الخيمة:

أخبريها يا هجدانية..

(رافدة): هذه طريقة يستخدمها البدو لمنع تسلل العقارب للخيام وهذه المنطقة الصخرية غالباً تعج بها.

(نافجة) ملوحة بيدها للفتيات: هيا ادخلنَ للداخل..

دخلت الفتيات تباعاً لتدخل العرجاء بعدهُنَّ وتستلقي بالرغم من ضيق المكان والتصاق أجسادهِنَّ بعضهِنَّ ببعض.

(عوراء): أخبرتك يا عمة أن المكان سيكون ضيقًا.. لِمَ لم نشترِ خيمة أخرى عندما كنا بالسوق ؟!

(نافجة) مبتسمة: ربما الأقدار شاءت أن نبقى معاً الليلة!

(كُميت): هل لي بسؤال يا قائدة ؟

(نافجة): اسألي ما تشائين..

(كُميت): لو خيرتِ أن تكوني في مكانٍ آخر الآن.. فأين تريدين الذهاب ؟

(نافجة) وهي تزفر باسمة: «هجر».. وهل هناك أرض أشتاق لغيرها ؟

(عوراء): لِمَ هي بالذات يا عمة ؟

(نافجة) وهي تحتضن (عوراء): هجرت «هجر» أول مرة وأنا فتاة في عمركِ تقريبًا لكنها لم تهجرني يوماً قط.. سكنتني وأنا صغيرة ولا تزال تناديني وأنا كبيرة.. هذه الأرض يا ابنتي تصيب قاطنيها بمرض الحنين كلما رحلوا عنها.. مرضٌ لا دواء له إلا غفوة تحت ظل نخيلها أو شربة من ماء عيونها..

(كُميت): تبدو مكانًا جميلاً.. أتمنى زيارتها يومًا ما..

(رافدة): وأنا كذلك..

(عوراء): وأنا أيضًا لكن بشرط أن تكون العمة معي!

(نافجة) تحتضن (عوراء) وتقبل وجنتها: ستزورينها!

(عوراء) متفلتة من حضن (نافجة): لا تعانقيني يا عمة أشعر بالحر!

(نافجة) مبتسمة: حسناً يا خرقاء!

(رافدة): يمكنني الخروج يا عمة والمبيت بالخارج.

(نافجة): لا.. لن يخرج أحد من هذه الخيمة الليلة.. هيا نِمْنَ.

بعد مضي وقتٍ قصير غط الجميع في نومٍ عميق عدا (نافجة) التي كانت تراقبهن وتراقب وجوههن النائمة وتقلباتهن في المكان الضيق وهي مبتسمة. نهضت العرجاء وتسللت خارج الخيمة بهدوء كي لا توقظ بناتها.

أول المستيقظات صباح اليوم التالي كانت (رافدة) التي لم ترَ (نافجة) مكانها فقامت بهز (كُميت) حتى أيقظتها هي الأخرى وسألتها: أين العمة ؟

(كُميت) وهي تفرك النعاس من عينيها:

ربما استيقظت قبلنا أو أنها لم تتحمل ضيق المكان ونامت بالخارج كعادتها..

(رافدة) وهي تنظر لفتحة الخيمة: قلبي مقبوض..

(كُميت) بقلق: لماذا ؟.. هل حدث شيء ؟

نهضت (رافدة) من مكانها وخرجت من الخيمة الصغيرة وخلال خروجها استيقظت (عوراء) وهي تقول بصوتٍ ناعس: عن ماذا تتحدثان ؟

لم ترد عليها (كُميت) وتبعت أختها..

وقفت الاثنتان خارج الخيمة بوجهٍ مصدوم وهما تريان أنهم في مكانٍ مختلفٍ تماماً عن الذي كانوا فيه. رأتا في الأفق سور مدينة غريبة عليهم وأبوابها مفتوحة وقوافل كثيرة تدخلها.

(رافدة) رافعة رأسها وموجهة نظرها للشمس وتقول بتوترٍ شديد:

لقد تجاوز الوقت الظهيرة!.. أين نحن ؟!

(كُميت) بالتوتر نفسه: لا أعرف!.. أنا لم أرَ هذه المدينة من قبل ؟!

(زمجد) من خلفهما وهو ممسك بلجام (لشيم): هذه «هجر»..

(رافدة) ملتفتة عليه: «هجر» ؟!

(زمجد) بهدوء: نعم..

(كُميت): ولِمَ نحن هنا ؟!.. وأين القائدة ؟!

(عوراء) وهي تخرج من الخيمة: ما الأمر ؟.. لِمَ تصرخون هكذا ؟!

(رافدة) بعصبية: تحدث يا فارسي!.. أين العمة ؟! وأين (الغبساء) والدابة الأخرى ؟!

(زمجد) آخذاً بعض الخطوات نحو الفتيات:

يجب أن تعرفن قبل أن أخبركن أن ما حدث لم يكن قراري بل كان قرار السيدة (نافجة)..

(كُميت) بذهن مشتت: أي قرار ؟!

(رافدة) ساحبة سيفها المبروق من غمده وقد بدأت تفقد أعصابها:

تحدث أيها اللعين!.. أين العمة ؟!

(عوراء) وقد بدأت بالبكاء: ما بكم ؟!.. هل حدث مكروه للعمة ؟!

(زمجد): هدئي من روعك سيدة (رافدة).. سأخبركُنَّ جميعاً بكل شيء..

بدأ الجني الأزرق بالكلام وأخبر الفتيات المنزعجات ما حدث بعد أن خلدن للنوم ليلة البارحة..





قافلة السماء

قبل منتصف الليل تسللت (نافجة) من الخيمة الصغيرة وعكزت نحو الدواب وقالت بصوتٍ خفيض كي لا تسمعها الفتيات: أين أنت أيها الفارسي ؟

خرج (زجد) وتشكل أمامها قائلاً: هنا يا سيدتي..

(نافجة) تسير مبتعدة عن المكان: الحق بي..

بعد مسافة من السير توقفت العرجاء وجلست على صخرة وأشارت للجني الأزرق بالجلوس أمامها ففعل.

(نافجة): كم نفساً منا تستطيع نقلها من هذا المكان دون الدواب ؟

(زجد): جميعكن بالإضافة لدابة.. لكن لا أستطيع نقلكن مع جميع الدواب



(نافجة): جيد..

(زمجد): لم أفهم قصدك!

(نافجة): هذا ليس وقت الحمق أيها الفارسي.. الفتيات لن يستيقظن حتى منتصف اليوم التالي.. لقد حرصت على هذا بنفخ طلسمٍ بسيط عليهن قبل قليل.. أريد أن تنقل الجميع عندما أعطيك الإشارة.

(زمجد): سنهرب من المواجهة إذاً مع ذلك المتنور ؟

(نافجة): لا.. أنا سأواجهه ولن أهرب لكن لو حدث وانقلبت الكفة علي وهذا هو الأرجح فستتركني أنا و(الغبساء) والدابة التي تمتطيها (كُميت) مع (عوراء) أما البقية فستنقلهن من هنا على الفور!

(زمجد): إلى أين ؟

(نافجة): إلى أبعد مكان آمن.. «هجر».. «هجر» مكان مناسب..

(زمجد): ولمَ لا آخذك معهن.. أستطيع نقل شخص آخر ودابتك أيضاً.

(نافجة): نفذ فقط ما أمرتك به..

(زمجد): سأنقلهن وأعود لكِ في لمح البصر..

(نافجة): ألم تسمعني أيها الفارسي الأخرق ؟.. لا تعد.. هذا أمر.. خذهن لـ«هجر» وبعدها خذهن حيث يشأن.

(زمجد): لِمَ تريدين الموت وبإمكانك النجاة ؟

(نافجة): وماذا بعدها ؟.. ملاحقة ومطاردة جديدة.. هؤلاء المتنورون سيجدونني دائمًا وأنا لا أقبل أن أكون هاربة وكل من معي سيكون معرضاً للخطر وهؤلاء الفتيات لن يقبلنَ بتركي أواجه الموت وحدي خاصة تلك البدوية العنيدة.. لن أتسبب بموتهن في معركة خاسرة وأن يُنكل بهُنَّ على أرضهنَّ.

(زمجد): هل ستتركين كل شيء عملتِ لأجله ؟

(نافجة): عندما رأيت (كُميت) أول مرة اطمأننت أن أرضنا ستكون بخير ولن يركعها غازٍ أبدًا ووجودي لم يعد مهمّاً بل قد يكون ضارّاً إذا اعتاد هؤلاء المتنورون على التجول في ديارنا.. يجب أن يرحلوا ورحيلهم مرهون برحيلي وهذا ما سيحدث..

(زمجد): إذاً أنتِ متيقنة من الخسارة.. كنت أظن أن الجبال الشامخة لا تهزها رياح خبيثة تعصف بها!

(نافجة): الرياح لا تهز الجبال لكنها تنخرها مع الوقت.. الموت ينادي علي مُنذ سنين وأنا اليوم سألبي نداءه.. ثم ما هذا الاهتمام المفاجئ بحياتي.. هل نسيت أن موتي يعني حريتك ؟

(زمجد): لا أريد حريتي إذا عنى هذا بقاءك على قيد الحياة..

(نافجة) مبتسمة: كلامك المعسول لن يغير رأيي أيها الفارسي.. وعلى أي حال حريتك ستتأخر قليلاً لأني أريدك أن تكون خادماً للصبية من بعدي..

(زمجد): لن يحدث ذلك لأنك ستنتصرين.. أنا واثقٌ من ذلك.

(نافجة): أنا لم أكن يوماً ندًّا لهؤلاء المتنورين.. تيقنت من ذلك منذ أول مواجهة مع أصغرهم!

(زمجد): سيدتي السابقة (قيقبون) كانت لتختلف معكِ في هذا الرأي..

(نافجة): سيدتك السابقة لا تستحم فأي رأيٍ يُمكن أن يُؤخذ منها ؟

ابتسم الجني الأزرق وأنزل رأسه ليخفي الدمعة التي تبعت ابتسامته..

(نافجة): الفارسي يملك مشاعر.. هذه مفاجأة بالنسبة لي!

(زمجد) رافعاً رأسه: كان شرفاً لي خدمتك في السابق..

(نافجة): أريد أن أوصيك بشيء آخر.. واعتبرها وصيتي الأخيرة لذا احفظها كما سألقيها عليك.. رسالة أريدك أن توصلها لبناتي إذا لم تكتب لي النجاة..

(زمجد): كلي آذان صاغية..

قاطعت (رافدة) بدموعها المنهمرة حديث (زمجد) وقالت:

توقف عن الكلام!.. أخبرني فقط.. هل ماتت العمة ؟

(زمجد): يجب أن أكمل وصيتها..

(كُميت) والدموع قد بللت لثامها: لا نريد سماعها الآن.. نريد معرفة ما حدث لها عندما واجهت المتنور..

(عوراء) تبكي دون أن تعلق..

(رافدة) محاولة استجماع نفسها: نريد أن نعرف ما حدث لها قبل سماع وصيتها.. هل تسمح بذلك ؟

(زمجد) لـ(عوراء): هل تسمحين بذلك يا سيدة (عوراء) ؟

(عوراء) وهي تبكي: ولمَ تسألني ؟!

(زمجد): لأن السيدة (نافجة) نقلت خدمتي لكِ.. وأحتاج الإذن لأفعل ما تطلبانه مني

(عوراء) وهي منهارة: لا أعرف!.. افعل ما تريده أختاي!

(رافدة) ماسحة بعض الدموع بكفها وبوجهٍ صارم:

تحدث الآن.. ما الذي حدث للعمة في أرض المعركة..

استأنف الجني الأزرق حديثه:

بعد ما أنهت السيدة حديثها معي عادت للخيمة وأمضت ما تبقى من الوقت القليل قبل الفجر معكُنَّ ولم تخرج إلا بعد حضور ذلك المتنور ومناداته عليها فخرجت له بعد ما أخذت قوس السيدة (كُميت) وسيف السيدة (رافدة) المبروق وعكزت بعكازها حتى وقف كلاهما وجهاً لوجه في ساحة مفتوحة وأنا من خلفها أنتظر أوامرها.

(كلال): العرجاء.. أسطورة.. خرافة.. أم مجرد عجوز نفختها الشائعات.. سنعرف الآن.. هيا.. أطلقي أقوى طلاسمك علي..

(نافجة) تمسك القوس والسهم الذي غنمته (كُميت) من المتنور في القصر الأحمر وهي تحاول التوازن على عكازها لشد سهمٍ عليه:

لن يكون هناك طلاسمُ منطوقة اليوم.. ستواجه فارسة عربية تتوق للموت بكرامة..

انطلق (زمجد) وتشكل مكان قدمها المبتورة ليمنحها التوازن اللازم للسيطرة على سلاحها فقالت:

ابتعد أيها الفارسي.. موتك لن يفيدني وسيحكم على بناتي بالهلاك!

(زمجد) وهو متشكل كقدمها: أعدك بأني سأنسحب عندما تصدرين الأمر بذلك.

(نافجة) وهي تشد السهم على القوس وتوجهه لـ(كلال): لنبدأ هذه المعركة إذاً..

أطلقت العرجاء السهم تجاه المتنور الذي أحاط نفسه بهالة مشعة وقال ضاحكاً:

ما أنتِ فاعلة بهذا السهم الهزيل ؟!

اخترق السهم هالة المتنور بكل سهولة ضارباً صدره وسط مفاجأة

كبيرة منه لكنه لم يصبْه في مقتل..

(كلال) نازعاً السهم من صدره بغضب والدماء تقطر من جرحه:

لقد قللت من شأنكِ يا عربية.. سأبارزك كما تحبين!.. بالسلاح!

أخرج المتنور سيفاً ضخماً من جلبابه واندفع تجاه العرجاء التي رمت بالقوس وسلت السيف المبروق لتصد الضربة الموجهة إليها وبالفعل تمكنت من ذلك لكن قوة الضربة أوقعتها أرضاً فما كان من الجني الأزرق إلا أن أنهضها بسرعة لتتخذ وضع الهجوم مرة أخرى.

(كلال): لنرَ كم من الوقت ستصمدين أمام ضرباتي..

اشتبك الاثنان في قتالٍ محمومٍ بالسيوف وبالرغم من قوة المتنور وبطش ضرباته إلا أن رشاقة العرجاء وخفتها بمعاونة (زمجد) مكنتها من توجيه ضربة أخرى بنصل سيفها لظهر (كلال) فاتحة به جرحاً غائراً.

صرخ المتنور غيظاً مما كان يحدث فهو لم يعتد أن يقاومه أحد بهذا الشكل فرمى سيفه جانباً وبسط كفيه في وجه العرجاء بأعين مغمضة.

(نافجة) وهي نصف منحنية على ركبها ممسكة بسيفها على بعد منه:

الرؤيا تتحقق.. استعد أيها الفارسي للرحيل من هنا..

أطلق المتنور وهجاً أبيضَ كبيراً لم تلحق أن تتحاشاه العرجاء لكنه ضرب سيفها المبروق الذي غير مسار الوهج ليعود لـ(كلال) ويصطدم به بقوة رفعته عن الأرض وأسقطته على ظهره.

(زمجد) بحماس: هذه فرصتك يا سيدتي!.. أجهزي عليه!!

انطلقت العرجاء بسرعة نحو المتنور المُلقى على الأرض وقفزت قفزة عالية بمساعدة الجني الأزرق وأمسكت سيفها بقبضتيها وهمت بالنزول برأس السيف على قلب عدوها. لم يتمكن المتنور من الهرب في الوقت المناسب وتقبل مصيره لكن وقبل أن تغرس العرجاء سيفها في صدره اخترق سهمٌ أحمر برأسٍ أسود ظهرها واستقر فيه ليختل توزانها وتسقط على الأرض ويسقط السيف المبروق بجانبها.

تخلى (زمجد) عن تشكله وجثا عند العرجاء وقال بقلقٍ شديد:

لا تقلقي يا سيدتي سأخرج السهم وأطبب الجرح بالنار فوراً!

(نافجة) تشد الجني الأزرق من خلف عنقه والدماء تخرج من فمها:

السهم مسموم.. لا فائدة من ذلك.. اهرب مع بناتي الآن.. هيا!

(زمجد): لا.. سوف أعالجـ..

(نافجة) باصقة في وجهه بصقة دامية وبصرخة قوية:

اخرج من هنا أيها الفارسي القذر!!

اختفى الجني الأزرق فورًا ومع اختفائه نهض (كلال) ووقف فوق رأس العرجاء المحتضرة وهو يُخرج سيفه الكبير قائلاً:

«لقد كان شرفاً لي قتالك أيتها العرجاء.. حان وقت القطاف.. وكسر رأس الحربة..»

(نافجة) تتوسد الرمال موجهة نظرها للأمام وفمها ينزف دماً:

«هناك حرابٌ كثيرة غيري ستنهض وتنطلق من هذه الأرض.. تذكر ذلك عندما تُغرس إحداها في قلبك..»

(كلال) منزلاً نصل سيفه على عنقها باسماً: سأتذكر..

بقيت الفتيات صامتات بعد ما توقف الجني الأزرق عن سرد

أحداث مواجهة العرجاء مع (كلال) لكن أعينهن لم تتوقف عن ذرف الدموع..

(رافدة): أعدني إليها!.. قد تكون لا تزال على قيد الحياة وتحتاج للمساعدة!

(زمجد): لقد فات الأوان يا سيدة (رافدة).. فرصة نجاتها بعد ذلك السهم المسموم معدومة.. ثم إن تلك كانت رغبتها.. أن لا تتعرض للخطر بسببها.

(كُميت) رابطة من جأشها رغم الدموع:

أكمل يا (زمجد) وأخبرنا بوصية القائدة الأخيرة..

(زمجد): كانت كلماتها لكُنَّ جميعًا بالحرف هي:

«أنا لا أنوي الرحيل..

جسدي فقط هو من سيترككم..

لكن روحي أريدها أن تبقى وتحيا بكم..

استمروا في القتال حتى لا يبقى أعجميٌّ غازٍ على أرضنا..

لا تتوقفوا أبداً عن القتال..

أرضنا تستحقُّ كل قطرة دم تُنزف لأجلها..

لن نكون عرباً إذا رضينا بالمهانة وقبلنا بها..

ولا تفكرن يومًا بالانتقام لي أبداً..

معركتي لم تكن مع المتنورين بل مع غزاة أرضي وأرضكم..

استراحة المحارب الحقيقية هي الموت فقط.. وداعاً يا بُنياتي..»

(عوراء): لا أصدق أن العمة رحلت..

(رافدة): العرجاء لم تمت.. لم تمت!

(كُميت): لقد رحلت.. لا تهيني تضحيتها بالنكران.. لقد قدمت حياتها لما تؤمن به باختيارها ويجب أن نُكرمها بتقبل ذلك.

(عوراء): ماذا سنفعل الآن ؟

(كُميت): أن نفترق وكأننا لم نتقابل يوماً.. أو..

(رافدة) ممتطية جوادها: ننفذ وصية العمة ونستمر بالقتال.

(عوراء): ومن سنقاتل ؟

(كُميت): لنبدأ بمن حرض على قتلها ونسلبه حياته كما سلبها منا.

(عوراء): عن من تتحدثين ؟

(رافدة) وهي تنظر في أعين الحجازية: رأس الأفعى.. الماران..

(عوراء): لكن العمة طلبت منا في وصيتها أن لا نسعى للانتقام لها!

(رافدة) وهي تشد لجام (الشيم) محدقة بأسوار (هجر) : كما كانت تقول العمة دائمًا.. أنا بدوية عنيدة..

انطلقت (رافدة) على جوادها وعند مرورها بجانب (كُميت) مدت ذراعها وحملتها معها وتوجهتا عدواً لـ«هجر»..

(عوراء) منادية عليهما بصوتٍ مرتفع: إلى أين ؟!.. لا تتركاني وحدي!

(زمجد): أنا سوف أنقلك يا سيدتي حيث تشائين.

(عوراء): لكني لا أستطيع ركوبك!.. أم أستطيع ؟

(زمجد) مبتسماً: لا داعي لذلك..



الحِراب اليافعة

اقتربت الفارسة الهجدانية على ظهر جوادها مع أختها الحجازية من مدخل «هجر» وقبل أن تصل رأت (عوراء) تقف مع (زمجد) تنتظرهما بوجهٍ متجهم فشدت اللجام موقفة (لشيم) وقالت مبتسمة:

ألم نتركك خلفنا ؟

(عوراء) بغضب: إذا كنتما لا ترغبان بصحبتي فقولا ذلك بدل أن تتركاني وحدي!

(كُميت) مبتسمة: نحن لم نتركك وحدك.. الفارسي كان معكِ.

(عوراء): لكني أريد البقاء معكما!

(رافدة): نحن لا نملك سوى دابة واحدة ويجب أن نشتري المزيد.



(كُميت): صحيح.. ولهذا سندخل المدينة.. أنا أحتاج قوساً جديداً أيضاً غير هذا القديم فقوس المتنور أخذته القائدة.

(رافدة): وأنا أيضاً أحتاج سيفاً جديداً بدل الذي معي..

(عوراء) بتهكم: ومن أين لكما بالمال لشراء كل هذا ؟

(كُميت) ملتفتة إلى (رافدة) باسمة: الصبية معها حق..

(رافدة): سيحضرها (زمجد) مثلما فعل بالسابق عندما دخلنا «سوق الحجاز»

(زمجد): أنا لن أحضر شيئًا دون أمر من السيدة (عوراء)..

(عوراء) وهي تنظر لهما بنظرة تحدٍّ:

أنتما تحتاجانني أكثر من حاجتي لكما لذا لا تتجاهلاني!

(كُميت) مبتسمة: سمعًا وطاعة يا مولاتي.. هل لديكِ أي أوامرَ أخرى ؟

(عوراء): في الوقت الحالي لا!

(رافدة): ومتى ستهبيننا المال لنشتري لكِ لباساً لائقاً بدل الخرقة التي تلبسينها ؟

(عوراء) بعصبية: لا تستفزيني يا بدوية!

(رافدة) هامسة في أذن (كُميت) ضاحكة: لقد تركت لنا العمة إرثاً ثقيلاً..

(كُميت): ومع ذلك أشعر حقّاً أنها أختي..

(عوراء): بالرغم من أنكما تتهامسان أمامي وهذا غير لائق لكنني سأكون أكرم منكما.. (زمجد)!

(زمجد) حانيًا رأسه: نعم سيدتي..

(عوراء): أحضر لنا بعض المال!

(زمجد): أي نوعٍ من المال ؟ غير مسروق كما كانت السيدة (نافجة) تفضل ؟

(عوراء): أيهما أسرع ؟

(زمجد): المسروق طبعاً.. الآخر سيستغرق وقتاً أطول.. ليلة بضحاها..

صمتت (عوراء) وهي في حيرة من أمرها ثم قالت:

لا.. لا تسرق أحداً.. العمة ستغضب مني لو فعلت.. اذهب وأحضر ما كانت عمتي توصيك به تماماً

(زمجد) وهو يختفي: أمرك..

(رافدة) من فوق دابتها: ما العمل الآن ؟

(عوراء): هل دخول هذه المدينة بمقابل ؟

(رافدة): لا..

(عوراء): إذاً فلندخل وننتظر حتى يعود (زمجد) بالمال.

(كُميت) وهي تترجل عن الجواد:

فكرة جيدة.. أنا متشوقة لرؤية مسقط رأس القائدة..

(رافدة) تنزل هي الأخرى من على ظهر (لشيم) وتسحبه من لجامه لتسير مع أختيها: هذه المدينة هي الشيء الوحيد الذي بقي لنا من ذكرى العمة..

كان الوقت أول العصر والسوق في أوج نشاطه لذا وجدت الفتيات متعة كبيرة في التجول في أرجائه وبين دكاكينه المتنوعة ومشاهدة الناس وهم يبيعون ويشترون، خلال تجولهن مر رجل بجانب

(عوراء) وعندما رأى لباسها المصنوع من قماش الخيام مد لها درهماً فأخذته متعجبة ورحل.

(رافدة) ضاحكة: قد لا نحتاج للجني الأزرق ليحضر لنا المال إذا تجولتِ بقية اليوم بهذا الشكل.

(عوراء) بغضب: ماذا تقصدين ؟!

(كُميت) باسمة: كفي عن مناكفتها!

(عوراء) تلمح خبازاً عن بعد وتبدأ بالسير نحوه:

سوف أشتري لي طعاماً ولن أطعمكما!

(رافدة) تصرخ فيها ضاحكة:

لا تخرجي الدرهم مبكراً فقد تحصلين على الخبز بلا مقابل!

تجاهلت الصبية تهكم (رافدة) وواصلت السير نحو الخباز وعندما وصلت إليه رأت صبيّاً صغيراً يقف وسط الزحام يحاول الوصول لمنصة البيع فتحدثت معه قائلة:

«هل تريد أن أُحضر لك شيئاً معي ؟»

(الصبي) يهز رأسه موافقاً..

أمسكت (عوراء) بمعصمه الصغير وانتظرت دورهما..

(رافدة) لـ(كُميت) وهما تراقبانها من بعد: ماذا تفعل تلك الخرقاء ؟

(كُميت): أعتقد أنها تساعد الصبي الصغير لشراء الخبز.

بعد وصول الصبية مع الصبي للخباز قال لهما بتجهم: ماذا تريدان ؟!

(عوراء): أنا أريد رغيفاً من الخبز.

(الخباز): بالتمر أم بدونه ؟

(عوراء): وهل يؤكل الخبز بالتمر ؟

(الخباز) بسخط: ليس لدي اليوم بطوله!.. ماذا تريدين ؟!

(الصبي): خذيه بالتمر فهو ألذ..

(عوراء) باسمة: حسناً.. ما اسمك بالمناسبة ؟

(الصبي): اسمي (دوسر)..

(عوراء) للخباز: أريد رغيفين بالتمر.. واحداً لي والآخر لصديقي (دوسر)!

خلال ثوانٍ مد الخباز الرغيفين لها بيد وباليد الأخرى أشار قائلاً: ثلاثة دراهم..



(عوراء) تعطي (دوسر) رغيفه وتخرج درهمها: لا أملك سوى واحدٍ..

(الخباز) بغضب: أعيدي الخبز إذاً!

التفتت الصبية على (دوسر) لترى أنه قد قضم من رغيفه قضمة كبيرة وبدأ يلوكها باسماً..

(عوراء) وهي تعيد رغيفها وتضع درهمها فوقه: خذ رغيفي وهذا حق رغيف صديقي..

(الخباز) ملتقطاً الدرهم: بقي نصف درهم!

(عوراء) مبتسمة في محاولة لاستمالة رضا الخباز والتخفيف من سخطه:

أعدك بأني سأحضره لك غداً!

خرج الخباز من محله وأطبق على عنق الصبية قائلاً: هذا المكان ليس للمتسولين!

عندما رأت (رافدة) ما يحدث انطلقت جرياً نحو الخباز ومن ورائها (كُميت) ولم تتوقف عن الجري إلا بعد ما وجهت قبضتها

في وجه الخباز لتطيحه أرضا بأنفٍ نازف وقد بدأ بدوره بالصراخ:

لصوص!.. لصوص!

تجمهر الناس حولهم فسلت (رافدة) سيفها وبدأت تلوح به أمامهم لتفرقهم..

(كُميت) وهي تشد (عوراء) بجانبها وتقول لـ(رافدة) : لا تحدثي جلبة!

(رافدة) وهي لا تزال تلوح بسيفها في وجوه الناس المتجمهرين:

فات الأوان على ذلك!

(عوراء) تشير باسمة لـ(دوسر) بالاقتراب منها وهو لازال يكمل تناول رغيف الخبز: تعال هنا!

سار الصبي الصغير وعند وصوله إليها احتضنته قائلة:

«ابقَ بجانبي كي لا تصاب بمكروه..»

شدت (كُميت) سهماً على قوسها وشاركت (رافدة) في محاولة إرهاب الناس المكتظين حولهم وهي تقول لأختها: هل سنبقى هكذا طيلة اليوم ؟

تفرق الناس فجأة بعد ما سمعوا صراخاً خلفهم يقول: ابتعدوا!

دخل من بين جموع الناس مجموعة من حراس السوق المسلحين وقال قائدهم: ما الذي يحدث ؟!

(الخباز) ينهض ماسحاً نزيف أنفه بظهر يده ومشيراً للفتيات:

هؤلاء اللصوص حاولوا سرقتي!.. انظروا لأسلحتهم المُشهرة!

(قائد حراس السوق): إشهار السلاح جريمة كبيرة!.. ألقوا القبض عليهم!

أطلقت (كُميت) سهمها بين أقدام قائد الحراس لتشتيت انتباهه وفي لحظة خاطفة شدت ذراع (عوراء) التي حملت الصبي وجرت بالاتجاه المعاكس ومن خلفهم (رافدة)، لم تبتعد المجموعة كثيراً حتى تعقبهم حراس السوق وحاصروهم في زقاقٍ ضيق بلا مخرج.

(رافدة) لـ(كُميت) بتوتر وهي ترفع سيفها في وجوه الحراس المقتربين منهم: هل سنقاتلهم ؟

(كُميت) وهي تشد سهماً نحو الحراس:

لو سقط أحدهم قتيلاً على أيدينا فلن نستطيع دخول هذه المدينة مرة أخرى..



(عوراء) من خلفهم وهي محتضنة الصبي: وإذا أمسكونا فسيعاقبوننا أشد العقاب.

(رافدة) تتأهب للانقضاض على الحراس: لا خيار أمامنا إذاً!

قبل أن تشتبك الفتيات معهم توقف الحراس عن الحركة فجأة وكأنهم أصيبوا بالشلل وارتسمت على وجوههم نظرة فزع.

(كُميت) باستغراب وسهمها لا يزال مشدودًا في وجوههم:

ما بهم ؟.. لِمَ تسمروا هكذا ؟

بدأت أطراف الحراس تتلوى وعظامهم تتحطم وهم يصرخون من الألم ولم يتوقفوا حتى خروا جميعاً على الأرض صرعى..

(رافدة) وهي مصدومة: ماذا حدث ؟

(كُميت): هل أصابهم مرض ما ؟

(عوراء): ربما تناولوا طعاماً فاسدًا..

خلال حيرة الفتيات دخلت الزقاق امرأة تلبس لباساً من الحرير قرمزي اللون بأكمامٍ طويلة وتغطي رأسها بخمارٍ أبيض شفاف وما أن رآها (دوسر) حتى تفلت من حضن (عوراء) وجرى نحوها

وكأنه يعرفها، عانق الصبي سيقان المرأة بسعادة كبيرة قائلاً:

شكراً يا خالة لمساعدتي أنا وأصدقائي الجدد!

(المرأة) رافعة الخمار كاشفة عن وجهها الباسم لـ(دوسر) وهي تقول:

لمَ تركتني في السوق.. أين ذهبت ؟

(دوسر): كنت أريد بعض الخبز.. رائحته كانت طيبة!

(رافدة) هامسة في أذن (كُميت): من تلك المرأة ؟

(كُميت) بصوتٍ مسموع لـ(رافدة) فقط:

لا أعرف لكن خذي الحذر منها.. أعتقد أنها هي من قضى على حراس السوق

(عوراء) بانبهار وفمٍ مفتوح وصوتٍ مسموع للجميع: إنها جميلة جدّاً..

اقتربت المراة من الفتيات و(دوسر) لا يزال متعلقاً بإحدى سيقانها مسنداً رأسه الصغير لفخذها وقامت بمد يدها باسطة كفها أمامهن لمصافحتهن:



«ممتنة لكُنَّ لمساعدة صغيري (دوسر)..»

(رافدة) بتوجس دون أن تمد يدها لمصافحتها: من أنتِ ؟

(كُميت) تمد يدها بتحرج للمرأة وموجهة حديثها لـ(رافدة):

لا تكوني فظة يا أختي.. المرأة تحاول مصافحتك!

(المرأة): لا بأس أنا متفهمة لريبتها وحذرها بعد ما رأته..

(كُميت) وهي تصافح المرأة: اقبلي اعتذاري بالنيابة عنا جميعاً يا سيدتي..

(المرأة) وهي تصافح (كُميت) مبتسمة:

لا يوجد شيء لتعتذرن عنه.. أنا (أنهار).. وأنتن ؟



تستمر المغامرة في الجزء الثاني من ثلاثية «العرجاء»

والخامس من ملحمة «بساتين عربستان»

الساحرة الهجينة

«عندما تنوي دفن الذكريات المؤلمة تحقق من أن الحفرة عميقة..»

أنهار

الروائي

أسامة المسلم



تفتح العرجاء عينيها ليلاً..

ترى جروحها مطببة ورأسها في مكانه..

نارٌ تشتعل أمامها..

يجلس بجانبها شابٌ صغير بشعرٍ أسودَ قصير

قرط ماسي يلمع في إحدى أذنيه..

تحاول الجلوس لكنها تعجز عن ذلك من الألم في خاصرتها..

ينتبه لها الشاب فيقول بعربية ركيكة: ما زال الوقت مبكراً على الحركة يا عرجاء..

جروحكِ لا تزال جديدة وتحتاج أيامًا عدة لتبرأ.. السم كان قوياً لكن لا شيء

يستعصي على طرقنا في العلاج..

أعادت العرجاء رأسها للوسادة الناعمة التي وُضعت تحته وقالت بتوجس:

من أنت ؟.. ولمَ لا أزال على قيد الحياة ؟

ابتسم الشاب وهو يحدق بالنار وقال: وفري طاقتك للراحة الآن.. سنتحدث لاحقاً

عاودت العرجاء سؤاله مرة أخرى وقالت: أخبرني على الأقل..

هل أنت عدو أم صديق ؟

أجابها الشاب: لا هذا ولا ذاك.. لكن.. كوني لست عدوك فهذا لا يجعلني

صديقك..

العرجاء وهي تزفر: وأين المتنور الفارسي الذي حاول قتلي ؟.. هل هرب ؟

الشاب الصغير: لا لم يهرب..

العرجاء: هل هو آخرهم ؟

رفع الشاب بقبضته شيئًا كان وراءه ومده أمام وجهها قائلاً:

لا.. سيأتي بعده الكثير.. الكثير جدًا

صدمت العرجاء عندما رأت رأس (كلال) يتدلى من قبضة ذلك الشاب الصغير..



بقدمٍ أو قدمين

طريقي لن يتغير ..

نافجة بنت أملح





